طبقات الشاذلية الكبرى

المسمّى

جامع الكرامات العليّة في طبقات السّادة الشاذليّة

تأليف
أبي علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي المغربي
المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ

وضع حواشيه
مرسي محمد علي

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

طبقات الشاذلية الكبرى

المسمّى

جامع الكرامات العليّة في طبقات السّادة الشاذليّة

تأليف

أبي علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي المغربي

المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ

وضع حواشيه

مرسي محمد علي

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الثانية
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٠٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-3294-6
90000
9782745132949

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فهذا كتاب «طبقات الشاذلية الكبرى» للحسن بن محمد الكوهن الفاسي رحمه الله، نضعه بين أيدي القراء الكرام. وهو كتاب نفيس في بابه متفرد بموضوعه، الذي هو إيراد تراجم لرجالٍ من أقطاب الطريقة الشاذلية الصوفية؛ وقد حوى هذا الكتاب عدداً من التراجم التي انفرد بها ولا نجد لها أيّ مصدر في المراجع السابقة عليه.

وقد جعل المصنّف كتابه هذا في خطبة وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: فيما يتعلق بفضائلهم ومناقبهم ومحبّتهم وتوقيرهم وزيارة أضرحتهم والتبرك بلقائهم ممّا دلّت به الأحاديث والأخبار.

الفصل الثاني: فيما يتعلق بتراجمهم ومناقبهم.

الفصل الثالث: في ذكر مشايخه الذين اجتمع بهم وحصلت له بركتهم من العقد الثالث من قرن المؤلف (الرابع عشر) وما يليه.

الخاتمة: في قصيدة «التوسلات العلية برجال الطائفة الشاذلية» للمصنّف.

ونورد فيما يلي ترجمة للمؤلف من الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢١)، قال بعد أن ذكر تاريخ وفاته بعد سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م:

الحسن بن محمد بن قاسم، أبو علي الكوهن التازي: مؤرخ مغربي، من فقهاء المالكية من أهل فاس. كان يعمل في تجارة الكتب وجمع لنفسه مكتبة خاصة حافلة بالنفائس ووقفها على الزاوية الفتحية بخوخة السويقة في الرباط، وجاور بالحجاز. له كتب، منها: «طبقات الشاذلية الكبرى» ويسمى «جامع الكرامات العلية في طبقات الشاذلية» (وهو الكتاب الذي بين أيدينا)، و«إعلام السائلين عمن أُقبر بمصر من صحابة سيد المرسلين» انتهى.

وقد ذكر المؤلف نفسه في هذا الكتاب كتابين آخرين له، هما: «تحفة الراغبين ونزهة الطالبين في خواص قصيدة الأستاذ شرف الدين»[١]، و«تحفة الصلوات» المسمى بـ«معارج الوصول إلى نفحات الرسول»[٢].



(١) انظر صفحة ٧٦.

(٢) انظر صفحة ١٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خصَّ أولياءه بأنواع الكمالات، وقرَّبهم إلى حضرة قدسه بأشرف العبادات، وجعل منهم أئمةً يُقتدى بهم في سائر الأوقات، فانهلّت عليهم سحائبُ الرحمات، وتحلَّتْ جيادهم بجواهر السعادات، فجبروا الكسير، ووصلوا الحيران، وقرَّبوا السالك إلى حضرة الرحمن، وأنقذوا الهالك من مخالب الشيطان، وردُّوا الشارد بعد البعد والهجران، عمَّت أنوارُهم، فتعطَّرت بشذا عطرها جميعُ الأكوان، وانتشرَ ذكرهم بين الحاضر والبادي في القرى والبلدان، فالمتوسِّلُ بهم إلى الله لا شكَّ ربحان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمدٍ عين الرحمة والجود، الأول في الإيجاد والوجود، الذي انشقَّت من نوره أنوارُ الشاذلية في سماء الشهود، وأينعت أزهارها فانشرحتِ الصدور، وتحلَّتِ الجياد بأسنى العقود، فاقتبسَ من نورها كلُّ من هو من الرِّجال مَعدود، واكتسبَ من جلال جمالها جميعُ العوالم والوجود، ففاح شذا عطرها بين الكائنات، فإذا هو مسك[1] وعنبر[2]، فالواردون على بحرها مستمدُّون من الفيض النبوي بنعتِ أهل الشهود، فوصلوا واتَّصلوا إذ أووا إلى ركنٍ شديد وحبلٍ متين معقود، فبلغوا غاية المقصود، فهم أهلُ الشهود في دار الخلود، وعلى ينابيع الكرم والجود، وأصحابه ووارثيه وحزبه المحمود، ما أفاضت نسماتُ الصبا فيضاً من سحائب الغيب والجود، على قلوب أهل الحقائق والتمكين والشهود.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربِّه ذي العطف والجود، الحسنُ ابن الحاج محمد بن قاسم الكوهن الفاسي محتداً ومسنداً، الشاذلي طريقة ومشرباً، خُويدمُ نعالات السادة الشاذلية، ومحبُّهم في الله، ومن أجله، غفر الله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه، وكافة المسلمين: لمَّا منَّ الله عليَّ بفضله الذي يؤتيه من يشاء من عباده بأخْذي الطريقة الشاذلية، أيَّدَ الله دولتَها العلية، تعلَّقَ قلبي بمحبَّةِ السادات، ومطالعةِ ما لهم من الكرامات، فاستخرتُ الله وتوسَّلت بسيِّدِ السادات،

(١) المِسْكُ: ضربٌ من الطِّيب، وهو مادة دهنيةٌ عطرةٌ سمراء اللون يفرزها أيِّل المسك القطعة منه مسكة. (ج) مِسَكٌ.

(٢) العَنْبَرُ: من الطِّيب.

لتأليف هذه الطبقات، الجامعةِ لتراجمهم ومناقبهم وكراماتهم الزاهرات، وعقدتُ بحولِ الله النيَّة مع ما ليس لي من الخوض حول هذه المهمات، ولكنّي أَقولُ ممتثلاً لقول الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١). وقد لخَّصتُ فيه طبقات السادة الشاذلية، من الذين يُقتدى بهم في طريق أهل الله، وأَسبلت الدموع من مقلتي، وقرعت باب انكساري وذلَّتي، إذ إن حالتي لا تدعو لمثلي أن يحوم حولَ هذه الديار، ولا ممَّن لهم باعٌ طويل ومقدار، إلا من رحم ربي العزيز الغفار. وسمَّيتُ هذا الكتاب: «جامع الكرامات العلية في طبقات السادات الشاذلية» انتخبتُه، وانتقيته، وجمعته، وألَّفته من كتبٍ عديدة، لأئمَّةٍ كبارٍ ذوي مناقب حميدة، ورتبته على خطبةٍ، ومقدمة، وخاتمة، نسأل الله حسنَها، وثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيما يتعلَّقُ بفضائلهم، ومناقبهم، ومحبَّتهم، وتوقيرهم، وزيارة أضرحتهم، والتبرُّكِ بلقائهم، ومصاحبتهم ممَّا دلت به الأحاديث والأخبار.

والفصل الثاني: فيما يتعلَّقُ بتراجمهم ومناقبهم، وهو المقصودُ من الكتاب.

والفصل الثالث: في ذكر مشايخي الذين اجتمعتُ بهم، وحصلتْ لي بركتُهم من العقد الثالث من هذا القرن وما يليه.

والخاتمة: في قصيدة التوسلات العلية برجال الطائفة الشاذلية قدَّسَ الله أسرارهم العلية.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٢، ٨/ ١٧٥، ٩/ ٢٩)، وأبو داود في (السنن ٢٢٠١)، والترمذي في (السنن ١٦٤٧)، والنسائي في السنن (الطهارة ب٥٩)، (الأيمان والنذور ب١٩)، وابن ماجه في (السنن ٤٢٢٧)، والشهاب في (المسند ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ١/ ٤١، ٢١٥، ٢٩٨، ٢/ ١٤، ٦/ ٣٣١، ٧/ ٣٤١)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٥٦)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ٣٤٥)، وابن عبد البر في (التمهيد ٧/ ١٠٦، ٩/ ٢٠١)، وصاحب شرح معاني الآثار (٣/ ٩٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/ ٣٤٢، ٨/ ٤٢)، والحميدي في (المسند ٢٨)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ٩)، والبغوي في (شرح السنة ١/ ٤٠١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١)، وابن المبارك في (الزهد ٦٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٣٨٠، ٣٨١، ٣/ ١٠٠، ١٣٧، ٥/ ٢٤٥، ٢٤٦)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ٥٥)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٣٥١)، والشجري في (الأمالي ١/ ٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٠/ ١١٨، ١١/ ٥٥، ١٤/ ١٨٠)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٤، ٦/ ١٥٣، ٩/ ٣٢٦)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان ٢/ ١٥، ٢٢٧)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٣٦٢)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ٣/ ٩٦).

وها أنا معترفٌ بأني خالٍ عن أحوالهم وذوقهم، جاهلٌ بعلم تحقيقهم، عاجزٌ عن السلوك في طريقهم؛ لكنني محبٌّ لهم، معتقدٌ بصدق أحوالهم، موقنٌ بكراماتهم، ولمَّا كنتُ محبًّا للأولياء والصالحين، وعاشقاً للصوفية والعارفين، مولعاً بكلامهم ومناقبهم؛ سيَّما أهل الحقائق والتمكين، قلتُ في محاسنهم:

هواتفُ الخيرِ قد جاءتْ تُبشِّرُنا ... وصاحَ طيرُ الهنا في مَجمعِ الأُنسِ
وساعدتْنا مَقاديرُ الإله فقد ... جاءتْ مَناقبُهم تزكيةَ النَّفسِ
الجأ إليها مُريد الوصل مُطَّلعا ... فهي الدَّواءُ لتطهيرِ من الرِّجسِ[1]

وأيضاً:

دَعتني دواعي الحبِّ نحو ديارِهم ... فألَّفتُ سِفراً قد حوى لجمالهم[2]
به من كراماتِ الكرامِ ومجدِهم ... ما يَهتدي السَّاري بنورِ وصالهم

فجاء هذا الكتاب ـ بفضله سبحانه ـ وافياً بما فيه، قد تناثر الدُّرُّ من كامل معانيه، سطَّرتْه يدُ القدرة الإلهية، والعناية الربانية، والعواطف المحمدية، أسأل الله العظيم بجاه من قال: «**توسَّلوا بجاهي؛ فإنَّ جاهي عند الله عظيم**»[3] أن يجعله لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني وكافة المسلمين النفعَ العميم، وإنِّي لأرجو ممَّن وقفَ عليه، وحلَّ محلَّ الرِّضا والقبول لديه، أن لا ينساني من صالح دعواته، وأن يغضَّ النَّظرَ عن عثراته؛ فما لمثلي أن يسلمَ من هفواته، وما توفيقي إلا بالله، وبه أصُول وبه أجول، وقد آن الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود، وبعطفة نخبة الوجود، عين الرحمة والجود، صلى الله عليه وآله ما انجلتْ مرآةُ الأنوار في سماء الشُّهود.

---

(١) الرِّجْسُ: القَذَرُ أو العمل القبيح.
(٢) السِّفر: الكِتاب، أو الكتاب الكبير.
(٣) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٢٥).



فيما يتعلَّق بفضائلهم ومناقبهم ومحبَّتهم وتوقيرهم وزيارة أضرحتهم[1] والتبرك بلقائهم ممَّا دلَّت به الأحاديث والأخبار

اعلم أيها الأخ الصالح ـ وفَّقني الله وإيَّاك إلى طاعته ـ أن الطريقة الشاذلية لما ظهرت أنوارها، وأزهرت أثمارها، وتناولتها الأحباب، وسعت إليها الأقطابُ والأنجاب، وذلك على يَدِ أصلِ مَدَدِها، وعنصر مشربها، وقطبِ أقطاب دائرتها؛ السيدِ الجليل، القطب الرباني، والهيكل الفردِ الصمداني، كنز كنوز المعارف، ومنبع شموس الأنوار واللطائف، إمامنا وسيدنا ومولانا أبي الحسن الشاذلي قدِّس سره العزيز، جالتْ قلوبُ أهل العرفان، وأفاضَ عليهم الكريم الحنَّان، بعلوم لم تكن في الحسبان، فشاهدوا التجلّيات الرَّبانية، والنفحات الأقدسية، فأظهروا ما عندهم من المواهب اللدنية، والأسرار المحمدية، فأفردوا لذلك التآليف العديدة، والرَّسائل الوحيدة في فضائل أقطابها منها:

«لطائف المنن»[2] لتاج الدين ابن عطاء الله السكندري قدس سره.

و«درَّةُ الأسرار وتحفة الأبرار» لابن الصباغ قدس سره.

و«المفاخر العلية»[3] لابن عياد قدِّس سرُّه.

---

(١) الضّريحُ: القبر، أو الشَّقُّ في وسط القبر. واللَّحد في الجانب (ج) ضرائح.

(٢) كتاب «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن» في مجلد للشيخ تاج الدين بن عطاء الله أحمد بن محمد الشاذلي الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ ذكر فيه جملاً من فضائل الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي الأنصاري المرسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي التي نقل عنه أو سمع منه ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة المقدمة في تفضيل النبي ﷺ على جميع بني آدم وذكر أقسام الولاية الباب الأول في التعريف بشيخه الثاني في شهادته له الثالث في مجرباته الرابع في علمه الخامس في الآيات التي تكلم في معناها السادس فيما فسره من الأحاديث السابع في تفسير ما أشكل من كلام أهل الحقائق الثامن في كلامه في الحقائق التاسع فيما قاله من الشعر العاشر في ذكره ودعائه، والخاتمة في اتصال نسبة المؤلف إليه، (كشف الظنون ٢/ ١٥٥٤).

(٣) انظر إيضاح المكنون ٤/ ٥٢١.

و«الأنوار القدسية» لسيدي محمد ظافر المدني[١] دفين الآستانة.

وغير ذلك من التآليف التي لا تدخل تحت حصرٍ، وقد وقفتُ على رسالةٍ عجيبة لأستاذنا العارف بالله أنسي وإيناسي سيدي محمد بن مسعود الفاسي قدس سرّه العالي سماها «الفتوحات الربانية في تفضيل الطريقة الشاذلية» ذكر فيها ما به تقرُّ العيون، والحمد والمنة لله. وها أنا أذكر لك ملخَّصَ ما ذكره قال رضي الله عنه:

أهل هذه الطريقة أنوارُهم ظاهرة، وأسرارهم باهرة، في مشارق الأرض ومغاربها، لا تقلُّ شموسهم من السحاب ضياء، وأقمارهم سماء، قلوبُهم لا تزال ممطرة على أرض المريدين، ونجومهم بها يهتدي السالكون والمجذوبون، علومُهم ربانية، وأسرارهم جبروتية، ومعارفهم غيبية، أجلسهم الحقُّ على كراسي أطباق أهل معرفته، فقال لهم: إن أتاكم عليلٌ من فقْدي فداووه، أو من فَرَقي فعالجوه، أو ليس منّي فخذوه، أو جبانٌ في متاجرتي فشجعوه، أو داخلٌ نحوي فشجعوه، أو شاردٌ عنّي فردُّوه، أو متباعدٌ من حضرتي فقرِّبوه وأدنوه، أو غريقٌ في بحار الشهوات فخذوا بيده وأنجدوه، أو منسدلُ الحجاب على قلبه فارفعوه. وقد أطال في هذا المعنى رضي الله عنه.

وفي«الأنوار القدسية» ما نصه: اعلم يا أخي أن طريق القوم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ينالها كلُّ صادقٍ بعبوديته لسيده اعترف، فلا زالوا بصدقهم سالكين، وبشريعة سيد الكونين متمسكين، قائمين بالأذكار والأوراد، آخذين بكمال الاستعداد، سالكين في الطريق بكمال التوفيق، ولذلك اجتهد كلٌّ فيما رآه، فاختلفوا في الأذكار كاختلاف أهل المذاهب أهل الاجتهاد:

وكلُّهم من رسولِ الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَم[٢]

---

(١) محمد ظافر المدني (١٢٤٤ ـ ١٣٢١هـ = ١٨٢٩ ـ ١٩٠٣م).

محمد (ظافر) بن محمد حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي المغربي المدني. متصوف، من فقهاء المالكية، ولد في مسراتة (بطرابلس الغرب) وسكن المدينة فنسب إليها، واستقر شيخاً لزاوية الشاذلية بالآستانة، وتوفي بها. وكان وثيق الاتصال بسلطانها العثماني «عبد الحميد الثاني» يلقنه الذكر ويُعد من حملة عرشه. له كتب منها «الأنوار القدسية» في طرق القوم، و«الرحلة الظافرية» و«أقرب الوسائل في شرح منتخبات الرسائل للدرقاوي» في التصوف، و«النور الساطع والبرهان القاطع»في الطريقة الشاذلية.

الأعلام ٧/ ٧٦، وفهرس المؤلفين ٢٦٤ و٢٦٥، وشجرة النور ٤١١، وهدية العارفين ٢/ ٣٩٩، ومعجم المطبوعات ١٢٥٥، والأعلام الشرقية ٣/ ١٢٥.

(٢) الدِّيم: (ج) الدِّيمة: مطرٌ يدوم في سكون لا رعد فيه ولا برق. (أصلها دومةٌ، وقعت واوها ساكنة بعد كسر فقُلبت ياءً).

فالحاصلُ يا أخي أن ذكرهم ملأ البقاع، وأنَّى لي بحصر مناقبهم ومآثرهم؛ فهم كواكب نورانية، ونفحاتٌ محمدية، غير أني تطفَّلتُ على أبوابهم، ومن شأن أهل الكرم أن لا يطردوا من طرقَ بابهم كرماً منهم، وما ذكرتُ إلا نبذةً يسيرة من بعض أوصاف كمالهم؛ كي ينتفعَ بها السالك والمريد، للتحقُّقِ بأوصافهم، والتشبُّه بأخلاقهم:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلَهم ... إنَّ التشبُّهَ بالكرامِ رباحُ[1]

وأمَّا إظهار فضائلهم ومناقبهم ومزاياهم فقد تقرَّرَ عند الأكابر، أن إظهار فضل الأولياء لينتفع بها الوجود هي من محبتهم، و«**المرء مع من أحب**»[2]، ومحبَّتُهم وتوقيرُهم من محبَّةِ الله والرسول، ومحبوب المحبوبِ محبوبٌ، ولله درُّ القائل:

اسردْ حديثَ الصَّالحينَ وذكرَهم ... فبذكرِهِمْ تتنزَّلُ الرَّحماتُ

وقول الآخر:

حكاياتُهم يُحيي القلوبَ سماعُها ... ويَروي ظما الصَّادي بعذبِ شرابِ

اصطفاهم من حضرته الأقدسية، وصفَّاهم من كادورات الصفاتِ الناسوتية، فتحقَّقوا بحقائق المقامات اللاهوتية فهم:

ملوكُ البرايا ليس يشقَى جليسُهم ... لهم بيضُ راياتِ العُلا في المواقف[3]

حُبُوا وحُظوا خصُّوا اصطفوا ثم قُرِّبوا ... ووَلُّوا وعُلُّوا فوقَ كلِّ الطوائف

نوّر قلوبَهم بالإيمان، وزيَّنها بالإحسان، وتوَّجَهم بتاج العرفان، وسقاهم بكؤوس الوداد، مدامةً من بحرٍ عذب فساد منهم من ساد، وعلا نورُهم فتحلَّتْ منهم الجياد، وسكروا براحِ الهوى فاستمدت منهم الأرواح والأشباح بالأمداد، فيا سعادة من في حماهم أمَّ ولازم الأعتاب، ويا فوز من صاحبهم وتاب إلى ربِّه وأناب، ولنا في هذا المعنى:

استصحبِ القومَ واشربْ من طريقهمو ... وسلسلِ الدَّمعَ كي تبلغ وصالهمو

---

(١) البيت لأبي الفتوح يحيى بن حَبَش بن أميرك، الملقب شهاب الدين السهروردي. انظر وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٢، وفيه «فلاح» مكان «رباح».

(٢) أخرجه البخاري (أدب ٩٦)، ومسلم (برّ ١٦٥)، والترمذي (زهد ٥٠)، (دعوات ٩٨)، والدارمي (رقاق ٧١)، وأحمد بن حنبل ١/ ٣٩٢، ٣/ ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤/ ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩، ٢٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥.

(٣) البرايا: (ج) البَريّة: الخَلْق.

واعلمْ بأنَّ الذي قد رامَ ودَّهمو ... بالعزِّ أضحى عزيزاً من كمالهمو
فكم فتًى هامَ عشقاً في محبَّتهم ... وكم قتيلٍ أتى يرجو ودادهمو
أنا القتيلُ غراماً في محبَّتهم ... ولا أُريدُ سوى بالقلب ذكرهمو
وحقِّ أوصافِ حُسنٍ فيهم ... إنْ يقبلوني فيا عزِّي بقبرهمو

تجلّى لهم المحبوب، فشاهدوا عجائب الغيوب، فهم ملوك، تصرَّفوا بأمر مالك الملوك، فرقُوا إلى أعلى درجات السلوك، فسبحان من أنعم عليهم بفضله، ومنَّ عليهم من فيض امتنانه وجوده وكرمه، وذكرهم في الملأ الأعلى بين ملائكته وأوليائه وأحبائه وأهل ودِّه، وقد قالَ في حقِّهم عزَّ من قائل على لسان رسوله وحبيبه سيد الأواخر والأوائل:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

فهذه آياتٌ من كلام ربِّ العالمين.

وأمَّا الأحاديث، الواردة عن سيِّد المرسلين فكثيرةٌ، منها قوله عليه الصلاة والسلام: **«رُبَّ أَشعثَ أَغبر مدفوعٍ بالأبواب لا يُؤبه له، لو أقسمَ على الله لأبرَّه»**(١).

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٢٣٤، ٢٣٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٣)، ومسلم في الصحيح (البر والصلة ب٤٠ رقم ١٣٠)، (الجنة ب١٣ رقم ٤٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ٢٦٩)، =

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«يقول الله عزّ وجلّ: المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نورٍ، يَغبطهم النبيُّون والشهداء»**[(١)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«إنَّ لله خواصَّ، يُسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس»**. قلنا: يا رسول الله، فكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: **«كان همَّتُهم المسابقةَ إلى ربِّهم عزّ وجلّ، والمسارعةَ إلى ما يُرضيه، وزهدوا في الدنيا، وفي فضولها، وفي رياستها وقيمتها؛ فهانت عليهم، فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً»**[(٢)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«أكثروا من معرفة الفقراء، واتَّخِذوا عندهم الأيادي؛ فإنَّ لهم دولةً»**. قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ فقال ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا إلى من أَطعمكم كسرةً، أو كساكم ثوباً، أو سقاكم شربةً من الدنيا، فخذوا بيده، ثم أفيضوا به إلى الجنة»**[(٣)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«لكلِّ شيءٍ مفتاح، ومفتاحُ الجنَّةِ حبُّ المساكين، والفقراء والصادقين، والصابرين. هم جلساء الله يوم القيامة»**[(٤)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«اللهم، أحيني مسكيناً، وأَمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»**[(٥)].

= والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ١٥٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٩٢٤).

(١) أخرجه مسلم (برّ ٣٨)، والترمذي (زهد ٥٣)، والدارمي (رقاق ٤٤)، والموطأ (شعر ١٣)، وأحمد بن حنبل ٢/ ٢٣٧، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٧٠، ٥٣٣، ٥٣٥، ٣/ ٨٧، ٤/ ١٢٨، ٣٨٦.

(٢) أخرجه ابن حجر في (المطالب العالية ٣٢٩٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ١٧)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٢١٦).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٢٥)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٨٩١٥)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٧٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣١٠).

(٤) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٨٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٥٨٧)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ٢/ ١٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي في (السنن ٢٣٥٢)، وابن ماجه في (السنن ٤١٢٦)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ١٢)، والحاكم في (المستدرك ٤/ ٣٢٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٥٩٢، ١٦٥٩٣، ١٦٦٦٨، ١٦٦٦٩)، والقرطبي في (التفسير ٨/ ١٦٩)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٢)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٢٤٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٦/ ٢٨٩، ٨/ ١٥٢، ٩/ ٢٧٢)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ١٠٥٦٠)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٥٩)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ١١١)، والألباني في (إرواء الغليل ٣/ ٣٥٨، ٦/ ٢٧٢)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥١٤٥، ٥٢٤٤)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٧/ ١٩٤، ٩/ ٧٥)، وابن حجر في (فتح الباري =

قلت: وناهيك بهذا الشرف للمساكين، ولو قال ﷺ: واحشر المساكين في زمرتي. لكفاهم شرفاً، فكيف وقد قال ﷺ: **«واحشرني في زمرة المساكين»**.

والأحاديث الواردة في حقهم كثيرة اقتصرنا على ما ذكرنا منها.

وأما قول المشايخ العارفين: ونعني بهم السادة الصوفية، فقد امتلأتْ بجواهر معانيه الصحائفُ العديدة:

قال الشيخ العارف بالله تعالى أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني قدس سره: ما تعبَّدَ مُتَعبِّدٌ بأكثر من التحبُّب إلى أولياء الله تعالى.

وقال الأستاذ سيِّدُ الطائفتين أبو القاسم الجُنَيد[1] قدس سره: التصديق بعلمنا هذا ولاية. يعني الولاية الصغرى دون الكبرى.

وقال بعض العارفين: إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً حبَّبَ إليه زيارة أوليائه وأحبائه.

وقال سيدي أبو الحسن الشَّاذلي قدس سره: أولياء الله عرائسُ، ولا يَرى العرائسَ المجرمون.

وقال سيدي الشيخ مكين الدين الأسمر قدس سره كلاماً هذا نصه: كما أنَّ للدنيا أبناءً من استندَ إليهم كفاه، كذلك للآخرة أولياء من أحبَّهم واستند إليهم أغناه، ولا تَقلْ: طلبتهم فلم أجدهم، فلو طلبتهم بصدقِ نيةٍ لوجدتهم.

= ١١/ ٢٧٤)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ٢/ ١٧٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٢٠٦، ٣/ ٢٢٩، ٤/ ١٨٩)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٠٢، ٩٧٠٣، ٩٧٠٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٦/ ٥٨)، وابن الجوزي في (الموضوعات ٣/ ١٤١، ١٤٢)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٤٤).

(١) الجُنَيد البغدادي (توفي ٢٩٧هـ = ٩١٠م).

الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم. صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدىٰ به. له «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله «دواء الأرواح» رسالة صغيرة ضمن مجموع في الأزهرية (الرقم ٣٣٥٩٠) ووقفت في الرباط على «جزء» يشتمل على نبذ من الوعظ من كلام أبي القاسم الجنيد، عند حماد بو عياد الموظف في الخزانة العامة بالرباط.

الأعلام ٢/ ١٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١١٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١.

وقال الشيخ سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري قدس سره: إيَّاك يا مسكين أن تقول: إنَّ أولياء الله لم يوجدوا، فتُحجب عن رؤيتهم، وتفوتك صحبتهم ومحبتهم.

وقال الشاذلي قدس سره: أُحذِّرُكم من هذا الباب ـ يعني باب الإنكار على أهل حضرة الله ـ فقد أُخذ منه خلقٌ كثيرٌ من الزُّهاد والعباد، فحسِّن يا مسكين ظنَّك بالله، وبعباد الله، وأكثرْ من محبَّة أوليائه تكن منهم، وتحشر معهم لقوله عليه السلام: **«من أحب قوماً حشر معهم»**.

وقال سيدي أبو المواهب التونسي قدس سره: لا تظنَّ أنَّ نورَ الله يُطفأ من هذه الأمة؛ لأن نورها فيَّاض، ومددها قوي، ألم تسمع قوله عليه السلام: **«أمتي كالمطر لا يُدرى أوّلُها خيرٌ أم آخرها»**[1].

وقال الإمام أبو محمد اليافعي رحمه الله: عليك بالاعتقاد في أهل عصرك من الأولياء والعلماء، وألا تُحرم من الإمداد، ولم تنتفع بأحدٍ منهم.

وقال الشيخ سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه: معرفة الولي أصعبُ من معرفة الله؛ فإن الله معروفٌ بكماله وجلاله، فإذا أرادَ الله أن يُعرِّفَكَ بوليٍّ من أوليائه طوى عنك شهودَ بشريته، وأشهدَكَ وجودَ خصوصيته. وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: **«أوليائي تحت فنائي، لا يعرفهم أحد غيري»**. وهذا من غيرةِ الحقِّ سبحانه على أهل حضرته، فلا يظهرهم إلا لمن كشفَ عن قلبه الحجاب.

وقال العارف بالله شيخُ شيوخنا سيدي أبو بكر البناني رضي الله عنه في «الفتوحات القدسية» ما نصه: اعلم أن نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياقٌ[2] نافع، ينظرُ أحدُهم إلى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ بصيرته حسنَ استعداده، واستئهاله مواهبَ الله تعالى الخاصة، فيقع في قلبه محبَّةُ المُريد الصادق، وينظر إليه نظرةَ محبَّةٍ عن بصيرةٍ، وهم من جنود الله تعالى، فيكسبون بنظرهم أحوالاً سنيةً، ويهبون آثاراً مرضيه.

وقال الشاذلي رضي الله عنه: إني لأوصل الرجل من نفس واحد.

وقال المرسي رضي الله عنه: والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته. يراد به الغنى المعنوي، فهو الغنى الدائم.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في (الاستذكار ١/ ٢٣٩).

(٢) التِّرْياقُ: دواءٌ ضد السُّمّ يمنع امتصاص السُّمّ في المعدة والأمعاء.

فالحاصل يا أخي: عليك بتوقير أهل الله لله في الله، ولا تقع فيهم، فتهلك، نعوذ بالله.

ولقد وقعت لي حكاية أسوقها إليك لتعلم أن نظرهم إكسير[1] أسرع من الكبريت الأحمر[2] الذي يعكس النحاس ذهباً: لما أذنت العناية الربانية باجتماعي بشيخنا الشيخ نسيم الدرمللي قدّس سره، وكان اجتماعي به على غير موعدٍ، وبدون سابق معرفةٍ، فتأهَّلْتُ لمقابلته لما سبق في علم الله الأزلي، فأمدَّني بنظراته، ولقد كانت لها تأثيرٌ عجيب، فهم أهلُ البصائر، وكان ما حصل بعدها وما أنا أحمد الله تعالى عليه الآن. فقد أدركنا بفضله سبحانه بهذه النظرة ما لم نُدركه من قبل حسًّا ومعنًى، ولله الحمد المنَّة.

اعلم يا أخي بقدر تفانيك في محبَّة شيخك تكون عنده، ولقد كنتُ بعد دخولي طريق القوم، وقبل اجتماعي بموصلنا بسلسلة الأنوار سيِّدي ومولاي السيد مُحمد العقاد الحسني رضي الله عنه أطلب من الله ليلاً ونهاراً أن يمنَّ عليَّ بلقائه، والجلوس بين يديه، وذلك لكثرة تعلّقي بمحبَّته، حتى إنك كنت تراني عند ذكره تأخذني العبراتُ، فكان من ذلك أنني عند اجتماعي به لاقاني بما بهر عقلي، وضمني إلى صدره الشريف، وعانقني وقبَّلني، فكان يُخيل للناظر إلينا أنني فارقته من أمد بعيد، والحالُ غير ذلك، إنَّما المحبَّةُ الصادقة هي الموردة لذلك.

ولقد سألته رضي الله عنه في رؤيا مناميَّة: يا سيدي، أُحبُّ أن يكون الفقيرُ في خاطركم، فأجابني رضي الله عنه: لا تقل يكون الفقير في خاطري، بل يكون الشيخ في خاطركم.

فالحاصل يا أخي أن هؤلاء القوم علومهم سماوية، متمسِّكين بالكتاب والسنَّة المحمدية، قال القطب الشعراني رضي الله عنه في «الطبقات الكبرى»: اعلم أن طريق القوم مشيَّدةٌ بالكتاب والسنة، وأنها مبنيةٌ على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، فالتردد إليهم، ومصاحبتهم وتوقيرهم ولاية. وفي الحديث: **«النظر إلى الولي عبادة»**.

وقال شيخ شيوخنا سيدي الأستاذ علي العمراني الحسني رضي الله عنه في كتابه: سبحان مَنْ هيَّأ أقواماً لخدمته، وأقامهم فيها، وهيَّأ أقواماً لمحبته، وأقامهم

---

(١) الإكسير: مادةٌ كان الأقدمون يزعمون أنها تحوّل المعدن الرخيص إلى ذهب.

(٢) الكبريت الأحمر يقال: هو من الجوهر، ومعدنُه خلف بلاد التُّبَّتِ، وادي النمل الذي مرَّ به سليمان على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام؛ ويقال في كل شيء كبريت، وهو يُبسُه، ما خلا الذهب والفضة فإنه لا ينكسر، فإذا صُعِّد، أي أُذيب، ذهب كبريته. والكبريت: الياقوت أو الذهب الأحمر. (لسان العرب ٢/ ٧٦ مادة: كبرت).

فيها، أهلُ الخدمة تجلّى لهم الحقُّ بصفة الجلال والهيبة، فصاروا مستوحشين من الخلق، قلوبُهم شاخصةٌ لما يرد عليها من حضرة الحقِّ، قد نحلت أجسادهم، واصفرّت ألوانهم، وخمصت بطونُهم، وبالشوق ذابت أكبادُهم، وقطعوا الدياجي[١] بالبكاء والنحيب، واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة في الدين، ورغبوا في جنّةٍ عرضها السموات والأرض أعدَّت للمتَّقين، وأهلُ المحبة تجلَّى لهم الحقُّ بصفة الجمال والمحبة، وسكروا بخمر لذيذ القربة، شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العباد ولا من الزهاد، اشتغلوا بالظاهر والباطن، وهو الله، فحجبوا عن كل ظاهر وباطن، زهدوا في التنعُّم والأنعام، واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام، وقد قيل في حقِّهم:

وما قصودُهم جناتِ عدنٍ ... ولا الحورَ الحسان ولا الخياما
سوى نظرِ الجليلِ فذا مُناهم ... وهذا مقصدُ السادة الكراما

قال العارف الكبير شيخنا الشيخ سيدي أبو المواهب فتح الله البناني الرباطي قدس سره:

لله قومٌ سما بالفضلِ طبعُهُمُ ... فخولوا بلطيفِ الصُّنعِ إحسانا
قومٌ مكارمهم تغض العيون حياً ... ويَمنحون لذيذَ الأُنسِ أحيانا
ما شمتُهُم زمناً إلا اهتديتُ بهم ... ترى الفؤاد غداً بالرُّوح ولهانا
ما عوَّدوني سوى الإحسان مكرمةً ... يا حُسنَ ما صنعوا والله أزمانا

وقال أيضاً رضي الله عنه: من زار ولياً من أولياء الله تعالى حيًّا كان أو ميتاً، فإنَّ الترابَ الذي يمشي عليه في طريقِ ذهابه لزيارة ذلك الولي يَنقله اللَّهُ تعالى إلى بلادِ الكفار، فكلُّ من مشي عليه من الكفار أَلقى الله في قلبه الهدايةَ، وأَلهمَهُ كلمةَ التوحيد، فينعكس من الظُّلمة إلى النور، ويكتبُ ثوابُ ذلك إلى الزائر. أو كلام هذا معناه، فانظر يا أخي إلى هذه الكرامة العظيمة، والله يهدي بفضله من يشاء.

فالحاصلُ يا إخواني أنهم رجالٌ وأيُّ رجال! رجال لا تؤويهم دار، ولا يستقرُّ بهم قرار:

رجالٌ أخلصوا لله حقًّا ... فنالوا العزَّ مع كلّ الكمالِ
كساهم ربُّهم ثوب افتخار ... وتوَّجَهُم فصاروا كاللآلي
لهم نورٌ عظيمٌ لو تراهم ... فحازوا الفضلَ مع حُسنِ الخصالِ
سقاهم شربةً من كأسِ أُنسٍ ... فباعوا بالمحبَّةِ كلَّ غالي
وقد مُنعوا الرُّقادَ ولم يناموا ... فخَصَّهُمُ المهيمنُ بالوصالِ

---

(١) دياجي الليل: ظُلماته وحنادسه.

وصلوا فاتَّصلوا، طهَّروا الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبَّته في الآفاق، واتَّزروا بالصدق وارتدوا بالإشفاق، فمنهم من هام على وجهه في البراري والقفار، ولم يَرضوا إلا بصحبة الواحد القهار، ومنهم من استوطنوا الديار، وتَسببوا في سائر الأقطار، ولم يغفلوا عن مناجاة ربهم بالأسحار، وانتصبوا للإرشاد والتسليك مع الذكر والأذكار، فتجلَّى عليهم بالقرب وأباح لهم دار القرار، إذ علمَ بسابق علمه بيعَهم العَجلِ الفاني بالأجلِ الباقي، ركبوا في ميدان السباق، وشمَّروا تشمير الجَهابذة[1] الحذّاق، حتى اتصلوا بالواحد الرزَّاق، فشرَّدهم في الشواهق، وغيَّبهم عن الخلائق، فالنظرُ إليهم اعتبار، ومحبَّتهُم وصحبتهم افتخار، فهم صفوة أبرار، مدحهم الجبّار: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] ووصفهم النبيُّ المختار: «**إن حضروا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا**»[2]. وإن ماتوا لم يشهدوا، فهم أهلُ السبق للسبق، وخيرةُ الله من الخلق، حجبهم الحقُّ عن الخلق، لتعظِّمَ يا فقير جميعَ الخلق، إذ مَنْ عظَّم الخلقَ لأجل الخالق قذفَ الله محبَّتَه في قلوب الخلائق، وقطعَ عنه العلائقَ، فتتقوّى بشرّيتُهُ وروحانيته، فيشاهدُهم بعين قلبه ورأسه مشاهدةَ أهل الشهود والعيان، فالأولياءُ عرائسُ، ولا يرى العرائسَ المجرمون.

اللهم، إنَّا نتوسل إليك بحبِّهم؛ فإنهم أحبّوك، وما أحبُّوك حتى أحببتَهم، فبحبِّك إيّاهم وصلوا إلى حبِّك، ونحن لم نصل إلى حبِّهم بحبِّك إلا بحظِّنا منك، فتمم لنا ذلك مع العافيةِ الكاملة الشاملة، حتى نلقاك يا أرحمَ الراحمين، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ الذي أيّدته بالمعجزات الباهرة، والكرامات الفاخرة، فسطعت شموسُ أنواره في قلوب أمته، فنالوا سعادَتَي الدنيا والآخرة، وعلى آله وأصحابه الذين أوضحوا طريق الهدى للسالكين، ورضي الله عن تابعيهم ومتابعيهم الأتقياء الصالحين، الذين سلكوا أحسنَ المسالك، وأرشدوا الهالكين، وعن ساداتنا الصوفية الأصفياء الذين أضاءت القلوبُ بأنوارهم بعد الظلام الحالك، وعن مشايخنا الذين سلكوا عى نهجهم ودلُّونا على طريق الوصولِ إلى مالك الممالك، وعن إخواننا الذين واصلوا الجهاد فسلكوا أحسنَ المسالك، وعن المسلمين ما تَحرَّكت قلوبُ الشائقين بالمناجاة في ظلامِ الليل الحالك، واسلك بنا يا ربَّنا ببركاتهم أحسنَ المسالك، ونجِّنا بأسرارهم منَ الفتن المَهالك، آمين آمين آمين.

---

(١) الجهابذة: (ج) الجِهْبِذ: النَّقّاد الخبير بغوامض الأمور.

(٢) أخرجه ابن ماجه (فتن ١٦).

فيما يتعلق بتراجمهم ومناقبهم

١

سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه[(١)]

(٥٩١ ـ ٦٥٦)

شيخ الطريقة الشاذلية، وأصلُ مددها، وعنصر مشربها، وقطب دائرتها الذي تدور عليه، وهو السيد الأَجَلُّ الكبير سيدنا وسَندُنا ومولانا القطب الرباني العارف الوارث المحقق بالعلم الصَّمداني، صاحبُ الإشارات العلية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، والمنازلات العرشية، الحامل في زمانه لواء العارفين، والمُقيمُ فيه دولة علومِ المحققين، كهفُ الواصلين، وجلاءُ قلوب الغافلين، منشئ معالم الطريقة ومظهر أسرارها، ومبدئ علوم الحقيقة بعد خفاء أنوارها، ومظهرُ عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها، الدَّالُّ على الله وعلى سبيلِ جنته، والدَّاعي على علمٍ وبصيرةٍ إلى جنابه وحضرته، أوحدُ أهل زمانه علماً وحالاً، ومعرفة ومقالاً، الحَسيبُ ذو النِّسبتين الطاهرتين الروحية والجسمية، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشاهدية، والوراثتين الكريمتين الملكية والملكوتية، المحمدي العلوي الحسني الفاطمي، الصحيح النسبتين، الكريم العنصرين، فحلُ الفحول إمام السالكين، ومعراج الوارثين، الأستاذُ الواصل المربّي الكامل أبو الحسن سيدي عليٌّ الشاذلي الحسني بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس المُبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن ابن

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٣٠٥، ونور الأبصار ٢٣٤، وخطط مبارك ١٤/ ٥٧، والتاج للزبيدي ٧/ ٣٨٨، والرحلة العياشية ٢/ ٢٥٩، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٧٣.

أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب[١] كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء[٢] بنت رسول الله ﷺ. وهذا هو النسب الصحيح لسيدي أبي الحسن الشاذلي على قول، وسيأتي لصاحب «السلوة» رضي الله عنه أن الصحيح في نسبه وهو ما ذكره أعني صاحب «السلوة» عن الإمام القصَّار عن صاحب «النبذة»، وسيأتي بلفظه إن شاء الله تعالى، وهو ما أعني الشيخ سيدنا ومولانا أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه صاحبَ الطريق، ومُظهرَ لواء التحقيق، الذي قال فيه الإمام البوصيري صاحب «البردة»[٣] و«الهمزية» في قصيدة مدحَ بها سيِّدي أبا العباس المُرسي، وشيخَه سيدي أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنهما:

أمَّا الإمامُ الشَّاذليُّ طريقه	في الفضلِ واضحةٌ لعينِ المُهتدي
فانقلْ ولو قدما على آثاره	فإذا فعلتَ فذاك أخذٌ باليدِ
أَفدي عليًّا بالوجودِ وكلُّنا	بوجوده من كلِّ سوءٍ نفتدي
قطبُ الزَّمان وغوثُه وإمامُه	عينُ الوجود لسانُ سرِّ المُوجِدِ
سادَ الرِّجالَ فقصَّرَت عن شأوه	هممُ المَآرب للعُلى والسُّؤدد
فتلقَّ ما يلقي إليك فنطقُه	نطقٌ بروحِ القُدس أيّ مؤيد
وإذا مررتَ على مكان ضريحه	وشممتَ ريحَ النَّدِّ من تُرب ندي[٤]
ورأيتَ أرضاً في الفلاة بخضرةٍ	مُخضرةٍ منها بقاعُ الغرقد[٥]
والوحشُ آمنةٌ لديه كأنَّها	حُشرت إلى حرمٍ بأوَّلِ مسجد

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥، والإصابة ١/ ٣٢٨، وحلية الأولياء ٢/ ٣٥، وابن الأثير ٣/ ١٨٢، وصفة الصفوة ١/ ٣١٩، وتاريخ الخميس ٢/ ٢٨٩ و٢٩٢.

(٢) فاطمة الزهراء (١٨ق هـ ـ ١١هـ = ٦٠٥ـ ٦٣٢م).
فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد. من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات. تزوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «رضي الله عنه» في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينت وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جُعل له النعش في الإسلام، عملته أسماء بنت عميس وكانت قد رأته يصنع في بلاد الحبشة. ولفاطمة ١٨ حديثاً. وللسيوطي «الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة»، ولعمر أبي النصر «فاطمة بنت محمد» ولأبي الحسن الرندي النجفي «مجمع النورين» في سيرتها ومناقبها. (الأعلام ٥/ ١٣٢، وطبقات ابن سعد ٨/ ١١ ـ ٢٠، والإصابة كتاب النساء ت ٨٣٠، والجمع ٦١١).

(٣) البُردةُ: قصيدة في مدح الرسول نظمها الشاعر البوصيري المتوفى نحو سنة ٦٩٥هـ.

(٤) النَّدُّ: ضربٌ من النبات يُتبخَّر بعوده.

(٥) الغرقد: كبار العوسج، وبه سمّي بقيع الغرقد.

ووجدتَ تعظيماً بقلبك لو سَرى ... في جَلْمَدٍ سجدَ الوَرى للجَلمدِ[١]
فقل: السلامُ عليك يا بحرَ النَّدى ... الطَّامي وبحرَ العلم بل والمرشدِ[٢]

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد بن ناصر الدين بن الميلق:

ولو قِيلَ لي من في الرِّجالِ مُكمَّلٌ ... لقلتُ إمامي الشَّاذليُّ أبو الحسنْ
لقد كانَ بحراً في الشرائع راسخاً ... ولا سيَّما علمَ الفرائض والسننْ
ومن مَنهلِ التَّوحيدِ قد عبَّ وارتوى ... فللَّهِ كم أَرْوى قلوباً بها مِحَنْ
وحاز علوماً ليس تُحصى لكاتبٍ ... وهل تحصر الكتّاب ما حازَ من فَنْ
فكنْ شاذليَّ الوقتِ تَحظَ بسرِّه ... وفي سائر الأوقات مُستغنياً بعنْ
فإنِّي له عبدٌ وعبدٌ لعبده ... فيا حبذا عبدٌ لعبدِ أبي الحسنْ
إذا لم أكنْ عبداً لشيخي وقُدوتي ... إمامي وذخري الشاذلي أكنْ لمنْ
فيا ربِّ بالسرِّ الذي قد وهبتَه ... تمنُّ علينا بالمواهب والفطنْ

وما أحسن قول العارف سيدي علي بن عمر القرشي بن الميلق:

أنا شاذليٌّ ما حييتُ فإنْ أَمتْ ... فمَشورتي في النَّاس أن يَتَشذَّلوا

وقال بعضهم:

تمسَّكْ بحبلِ الشاذليِّ ولا ترد ... سواه من الأشياخ إنْ كنتَ ذا لبِّ
فأصحابُه كالشَّمسِ زاد ضياؤها ... على النجمِ والبدرِ المُنير من الحبِّ

وقال آخر:

تمسَّكْ بحبِّ الشاذليِّ فإنَّه ... له طُرقُ التَّسليك في السرِّ والجهرِ
أبو الحسنِ السَّامي على أهلِ عصرهِ ... كراماتُه جلَّتْ عن الحدِّ والحصرِ

وقال آخر:

تمسَّك بحبِّ الشَّاذليِّ فتلقَ ما ... تَرومُ وحققْ ذا المناط وحصّلا
توسَّل به في كلِّ حالٍ تُريدُه ... فما خابَ من يأتي به متوسِّلا

وفي «طبقات» الإمام الشعراني رضي الله عنه ما نصُّه:

ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي ـ بالشين والذال المعجمتين، وشاذلة قريةٌ من إفريقية ـ الضرير، الزاهد، نزيلُ إسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبيرَ المقدار،

---

(١) الجَلْمَدُ: الصخر.
(٢) طما البحر: امتلأ، فهو طامٍ.

عالي المنار، له عباراتٌ فيها رموز، فوَّقَ[١] ابنُ تيمية[٢] سهمَه إليه، فردَّه عليه.

وصحب الشيخ نجمَ الدين الأصفهاني، وابن مَشيش وغيرهما.

وحجَّ مرَّاتٍ، ومات بصحراء عَيْذاب[٣] قاصداً الحجَّ، فدُفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة.

وقد أفرده سيدي الشيخُ تاجُ الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبا العباس بالترجمة، وها أنا أذكر لك ملخَّصَ ما ذكره فيها، فأقول وبالله التوفيق: قد ترجم رضي الله عنه في كتاب «لطائف المنن» سيدي الشيخَ أبا الحسن رضي الله عنه، بأنَّه قطبُ الزمان، والحاملُ في وقته لواءَ أهل العيان، حجَّةُ الصوفية، علَمُ المهتدين، زين العارفين، أستاذُ الأكابر، زمزم الأسرار، ومعدنُ الأنوار، القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه، لم يدخل طريق القوم حتى كان يعدُّ للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهدَ له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية.

جاء رضي الله عنه في هذه الطريقة بالعجبِ العُجاب، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله عنه يقول: ما رأيتُ أَعرفَ بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

ومن كلامه رضي الله عنه: عليك بالاستغفار، وإنْ لم يكن هناك ذنب، واعتبرْ باستغفار النبيِّ ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترف ذنباً قطُّ وتقدَّسَ عن ذلك، فما ظنُّك بمن لا يخلو عن العيب والذنب في وقت من الأوقات؟

وكان رضي الله عنه يقول: إذا عارضَ كشفُكَ الكتابَ والسنَّةَ فتمسَّكْ بالكتاب والسنة، ودعِ الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمنَ لي العصمة بالكتاب والسنة، ولمَ يضمنْها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

وكان رضي الله عنه يقول: لقيتُ الخَضِرَ عليه السلام في صحراء عَيْذاب فقال لي: يا أبا الحسن، أصحبك الله اللطيف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل.

---

(١) فوَّقَ السهم: جعل له فُوْقاً (الفُوْق من السهم: حيث يُثبَّت الوتر منه).

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١٤٤، وفي فوات الوفيات ١/ ٣٥ ـ ٤٥، والدرر الكامنة ١/ ١٤٤، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٣) عَيْذَابُ: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. (معجم البلدان ٤/ ١٧١).

وكان رضي الله عنه يقول: إذا جاذبتكَ هواتفُ الحقِّ، فإيَّاكَ أن تستشهدَ بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات، وتردَّه فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيءٍ من ذلك بالعقل.

وكان رضي الله عنه يقول: إذا عرضَ لك عارضٌ يصدُّكَ عن الله فاثبتْ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

وكان يقول: كلُّ علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميلُ إليه النَّفسُ، وتلتذُّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتدِ به، وبالخلفاء، والصحابة، والتابعين من بعده، وبالأئمة الهداة المبرَّئين عن الهوى ومتابعته تسلمْ من الشكوك، والظنون، والأوهام، والدَّعاوى الكاذبة المُضلَّة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبد الله ولا علم ولا عمل، وحسبُكَ من العلم العلم بالوحدانية، ومن العملِ محبَّة ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة الصحابة، واعتقاد الحقِّ للجماعة. قال رجلٌ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددتَ لها؟**» قال: لا شيء، إلا أني أُحبُّ الله ورسوله. فقال: «**المرء مع من أحب**»[1].

وكان يقول: إذا كثرَت عليك الخواطرُ والوساوس، فقل: سبحان الملك الخلّاق ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠].

وكان يقول: لا تجِدُ الرُّوحَ والمدد، ويصحُّ لك مقام الرِّجال، حتى لا يبقى في قلبك تعلُّقٌ بعلمك ولا جدِّك ولا اجتهادك، وتيأسَ من الكلِّ، دون الله تعالى.

وكان رضي الله عنه يقول: من أحصنِ الحصون من وقوع البلاء على المعاصي الاستغفارُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

وكان يقول: إذا ثقل الذِّكرُ على لسانك، وكثرَ اللغو[2] في مقالك، وانبسطتِ الجوارح في شهواتك، وانسدَّ بابُ الفكرة في مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك، أو لكمون إرادة النِّفاق في قلبك، وليس لك طريق إلا طريق الإصلاح، والاعتصام بالله، والإخلاص في دين الله تعالى، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل من المؤمنين، فتأمَّلْ هذا الأمر إن كنت فقيهاً!

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) اللَّغْوُ: ما لا يُعْتَدُّ به من كلام وغيره ولا يُحصلُ منه على فائدة ولا نفع.

وكان رضي الله عنه يقول: ارجعْ عن منازعة ربِّك تكن موحِّداً، واعملْ بأركانِ الشرع تكن سنياً، واجمع بينهما تكن محققاً.

وكان يقول: قيل لي: يا عليُّ، ما على وجه الأرض مجلسٌ في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرضِ مجلسٌ في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المُنذري، وما على وجه الأرض مجلسٌ في علم الحقائق أبهى من مجلسك.

وكان يقول: من أحبَّ أن لا يُعصى الله تعالى في مملكته فقد أحبَّ أن لا تظهر مغفرتُه ورحمته، وأن لا يكونَ لنبيه ﷺ شفاعة.

وكان يقول: لا تَشمُّ رائحةَ الولاية وأنت غيرُ زاهدٍ في الدنيا وأهلِها.

وكان رضي الله عنه يقول: أسبابُ القبضِ ثلاثةٌ: ذنبٌ أحدثْتَه، أو دنيا ذهبتْ عنك، أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك، فإن كنتَ أذنبتَ فاستغفر، وإن كنتَ ذهبتْ عنك الدُّنيا فارجع إلى ربِّك، وإن ظُلِمتَ فاصبر واحتملْ، هذا دواؤك، وإن لم يُطلعْكَ الله تعالى على سببِ القبض فاسكن تحت جريان الأقدار؛ فإنها سحابةٌ سائرة.

وكان رضي الله عنه يقول: رأيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما حقيقةُ المتابعة؟ فقال: رؤيةُ المتبوع عند كلِّ شيءٍ، مع كلِّ شيءٍ، في كلِّ شيءٍ.

وكان يقول: الشيخ من دلَّكَ على الراحة، لا من دلَّكَ على التعب.

وكان يقول: من دعا إلى الله تعالى بغيرِ ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدْعي.

وكان يقول: من آداب المجالس للأكابر التخلّي عن الأضداد، والميل والمحبة والتخصيص لهم، وترك التجسس على عقائدهم.

وكان يقول: إذا جالستَ العلماء فلا تحدِّثْهم إلا بالعلوم المنقولة[1]، والروايات الصحيحة، إمَّا أن تُفيدهم، وإما أن تستفيد منهم، وذلك غايةُ الرِّبح منهم، وإذا جالست العُبَّاد والزهَّاد فاجلسْ معهم على بساط الزهد والعبادة، وحلَّ لهم ما استمرؤوه، وسهِّل عليهم ما استوعروه، وذوِّقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصدِّيقين ففارقْ ما تَعلمُ تظفرْ بالعلم المكنون.

وكان يقول: إذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها، فهو والتراب سواء.

(١) علوم المنقول: ما عُلم من طريق الرواية أو السماع، كعلم اللغة أو الحديث ونحوهما، وهو يقابل المعقول.

وكان يقول: إذا لم يُواظبِ الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعات، فلا تعبأنَّ به.

وكان يقول: من غلبَ عليه شهودُ الإرادة، تفسَّختْ عزائمُه؛ لسرعة المراد وكثرته، واختلاف أنواعه، وأَيُّ وقفةٍ تسعه حتى يحلَّ، أو يعقد، أو يعزم، أو ينوي شيئاً من أموره مع تعدد إرادته، واضمحلال صفاته، أين أنت من نور مَنْ نظر واتَّسعَ نظره بنور ربِّه، ولم يشغله المنظورُ إليه عمَّن نظر به، فقال: «**ما من شيءٍ كان ويكون إلا وقد رأيته...**»[1] الحديث.

وكان رضي الله عنه يقول: إذا استحسنتَ شيئاً من أحوالك الباطنة أو الظاهرة، وخفت زواله، فقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

وكان يقول: ورد المحقّقين إسقاطُ الهوى، ومحبَّةُ المولى. أَبَتِ المحبَّةُ أن تستعمل محباً لغير محبوبه. وفي رواية أخرى: وِردُ المحقّقين ردّ النفس بالحقِّ عن الباطل في عموم الأوقات.

وكان يقول: لا يتمُّ للعالم سلوكُ طريق القوم إلا بصحبة أخٍ صالحٍ، أو شيخٍ ناصح.

وكان يقول: لا تؤخِّرْ طاعات وقتٍ لوقت آخر؛ فتعاقب بفواتها أو بفوات غيرها أو مثلها جزاءً لما ضيعت من ذلك الوقت، فإنَّ لكلِّ وقتٍ سهماً، فحقُّ العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، وأما تأخيرُ عمر رضي الله عنه الوتر[2] إلى آخر الليل فتلك عادةٌ جاريةٌ، وسنَّةٌ ثابتة ألزمه الله تعالى إيَّاها مع المحافظة عليها، وأنَّى لك بها مع الميل إلى الراحات، والرُّكون مع الشهوات، والغفلةِ عن المشاهدات، هيهات هيهات هيهات.

وكان رضي الله عنه يقول: من أراد عزَّ الدارَيْن فليدخلْ في مذهبنا يومَيْن. فقال له قائل: كيف لي بذلك؟ قال: فرِّقِ الأصنام عن قلبك، وأرحْ من الدنيا بدَنَك، ثم كن كيف شئت، فإن الله لا يعذِّبُ العبدَ على مدِّ رجليه مع استصحاب التواضع للاستراحة من التعب، وإنَّما يُعذّبه على تعب يصحبه التكبر.

وكان يقول: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة[3]، وإنَّما

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٣٢، ٥٧، ٢/ ١٢، ٩/ ١١٦)، ومسلم في السنن (الكسوف ب٣ رقم ١١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٣٤٥)، وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ٤٠٣).

(٢) الوِترُ من العدد: ما لم يكن زوجياً، وهو ضد الشفع، ومنه صلاة الوتر.

(٣) النُّخالةُ: ما يبقى في المُنخل بعد نَخْل الدقيق.

هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

وكان يقول: من لم يزدَدْ بعلمه وعمله افتقاراً لربّه وتواضعاً لخلقه فهو هالك.

وكان يقول: سبحان من قطعَ كثيراً من أهل الصلاح عن مصلحتهم كما قطع المفسدين عن موجدهم.

وكان يقول: الزم جماعة المؤمنين، وإن كانوا عصاةً فاسقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم رحمةً بهم، لا تعززاً عليهم، ولا تقريعاً لهم.

وكان يقول: كُلْ من طعام فسقة المسلمين، ولا تأكلْ من طعام رهبان المشركين، وانظر إلى الحجرِ الأسود، فإنه ما اسودّ إلا من مسِّ أيدي المشركين دون المسلمين.

وكان رضي الله عنه يقول: سمعتُ هاتفاً يقول: كم تُدندنُ مع من يُدندن، وأنا السميع القريب، وتَعريفي يُغنيك عن علم الأولين والآخرين، ما عدا علم الرسول ﷺ، وعلم النبيين عليهم الصلاة والسلام.

وقيل له مرةً: مَنْ شيخُك؟ فقال: كنت أَنتسبُ إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحدٍ، بل أعومُ في عشرةِ أبحرٍ: محمد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، والروح الأكبر.

قال الشيخ أبو العباس المرسي: ومات الشيخُ عبدُ السلام بن مشيش رضي الله عنه مقتولاً، قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب.

وكان يقول: من علم اليقين بالله تعالى وبما لك عند الله تعالى أن تتعاطى من الخلق ما لا تُصغَّر به عند الحقِّ تعالى مما تكرهُهُ النفوسُ الغوية كحمل متاعك من السوق، وجمع الحطب للطعام، وجعله على رأسك، والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجةٍ من حوائجها، وركوبك خلفها على الحمار، وغيره، وأمَّا ما تُصغَّر به في أعين الخلق ممَّا للشرع عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لك ارتكابه.

وكان يقول: إن كنتَ مؤمناً مُوقناً فاتَّخذِ الكلَّ عدواً، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧].

وكان يقول: الصادقُ المُوقن لو كذَّبه أهلُ الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكيناً.

وكان يقول: لا تُعطى الكراماتُ مَن طلبها وحدَّثَ بها نفسه، ولا من استعملَ

نفسَه في طلبها، وإنَّما يُعطاها من لا يَرى نفسه ولا عمله، وهو مشغولٌ بمحابِّ الله تعالى، ناظرٌ لفضل الله، آيسٌ من نفسه وعمله، وقد تظهر الكرامةُ على من استقام في ظاهره، وإن كانت هَناتُ[١] النفسِ في باطنه، كما وقع للعابد الذي عَبَدَ الله في الجزيرة خمس مئة عام، فقيل: ادخل الجنة برحمتي. فقال: بل بعملي[٢].

وكان يقول: ما ثَمَّ كرامةٌ أعظمُ من كرامة الإيمان، ومُتابعةِ السنة، فمن أُعطيهما وجعلَ يشتاقُ إلى غيرهما فهو عبدٌ مفترٍ كذاب، أو ذو خطأ في العلم بالصواب، كمن أُكرم بشهود الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب.

وكان يقول: كلُّ كرامةٍ لا يصحبها الرِّضا من الله، وعن الله، والمحبَّة لله، ومن الله، فصاحبها مُستدرَجٌ مَغرور، أو ناقصٌ هالك مثبور.

وكان رضي الله عنه يقول: للقطبِ[٣] خمسَ عشرة كرامة، فمن ادَّعاها أو شيئاً منها فليبرز: أن يمدَّ بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويُكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويُكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين، وانفصال الأول عن الأول، وما اتَّصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وحكم ما بعد، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكلِّ علمٍ وبكلِّ معلومٍ بدءاً من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه.

وكان يقول: سمعت هاتفاً يقول: إن أردتَ كرامتي فعليك بطاعتي، وبالإعراض عن معصيتي.

وكان يقول: كأنّي واقفٌ بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال: لا تأمن مكري في شيءٍ، وإن أمَّنْتُكَ؛ فإن علمي لا يُحيط به محيط، وهكذا درجوا.

وكان يقول: لا تركن إلى علم ولا مددٍ، وكن بالله، واحذر أن تنشرَ علمَك ليصدقَك الناس، وانشر علمك ليصدّقك الله تعالى.

وكان يقول: العلومُ على القلوب كالدراهم والدنانير[٤] في الأيدي، إن شاء الله تعالى نفعك بها، وإن شاء ضرَّك.

---

(١) الهنات: (ج) الهَنَة: الشيء الحقير أو اليسير الذي لا يحسُنُ الاهتمام به.
(٢) أخرجه أبو داود (أدب ٤٣)، وأحمد بن حنبل ٢/ ٣٢٣.
(٣) القُطْبُ من القوم: سيّدهم.
(٤) الدراهم: (ج) الدرهم: «فارسية» الفضة المطبوعة المتعامل بها، أو هي وحدة للوزن قديمة تعادل في مصر (٣,١٢) غراماً، وفي دمشق (٣,٢) غراماً، وأطلقها المولدون على النقود كافة. الدنانير: (ج) الدينار: نقد ذهبي. و ـ: عملة في بعض الدول العربية.

وكان يقول: قرأتُ ليلةً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩] فنمت، فرأيتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: أنا ممن يَعلمُ، ولا أُغني عنك من الله شيئاً.

وكان رضي الله عنه يقول: من أقبلَ على الخلقِ الإقبالَ الكلّيَّ قبلَ بلوغِ درجات الكمال سقطَ من عين الله تعالى، فاحذروا هذا الدّاءَ العظيم، فقد تعلَّقَ به خلْقٌ كثير، وقنعوا بالشهوة وتقبيلِ اليد، فاعتصموا بالله يهدكم إلى الطريق المستقيم.

وكان يقول: من الشهوةِ الخفية للولي إرادتُهُ النُّصرة على من ظلمه، وقال تعالى للمعصوم الأكبر: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم.

وكان يقول: إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها، فليكن الفرقُ في لسانك موجوداً، والجمعُ في سرّك مشهوداً.

وكان يقول: كلُّ اسم تستدعي به نعمةً، أو تستكفي به نقمةً فهو حجابٌ عن الذات، وعن التوحيد بالصفَات، وهذا لأهل المراتب والمقامات، وأمّا عوامُّ المؤمنين فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون، ومن أجورهم من الله لا يُبخسون.

وكان رضي الله عنه يقول: لو علم نوحٌ عليه الصلاة والسلام أنَّ في أصلاب قومه من يأتي يوحِّدُ الله عزّ وجلّ ما دعا عليهم، ولكان قال: «**اللهم، اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**»[1] كما قال رسول الله ﷺ، فكلٌّ منهما على علمٍ وبينة من الله تعالى.

وكان يقول: لا أجرَ لمن أخذَ الأجر والرشا على الصلاة والصيام، وتنعَّمَ بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرؤوس والاشتغال بالأذكار، وجنايةُ هؤلاء بالإضافات ورؤية الطاعات أكثرُ من جنايتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات، وحسبُهم

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٢١٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٤٤١)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ١١٧)، والطبري في (التفسير ١/ ١٣)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٤١٩)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ١٩٩، ٨/ ٢٧٣، ١٤/ ١٥٦)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٢٢٢)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٣/ ١٨٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣١٣، ٣/ ٦٨، ٢٨٣)، وصاحب (مناهل الصفا ١٦)، والآجري في (الشريعة ٤٦٠)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٩٥)، والطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ١٤٦، ٢٠١) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٤، ٧/ ٩٣، ١٠٨، ٣٦٠، ٨/ ٢٥٨)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٣/ ٢١٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٩٨٨٣، ٣٥٥٦٣)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٩٩، ٩٨٧٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٣٧٣، ١٢/ ٢٨٢).

ما يظهر عليهم من الطاعات وإجابة الدعوات والمسارعة إلى الخيرات، ومِنْ أَبغضِ الخلقِ إلى الله تعالى مَنْ تملَّقَ إليه في الأسحار بالطاعات؛ ليطلب مسرَّته بذلك، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وكان يقول: العارفُ بالله تعالى لا تنغِّصُهُ حظوظ النفس؛ لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يتركُ، إلا إن كانت الحظوظ معاصي.

وكان يقول: إذا أهانَ الله عبداً كشف له حظوظ نفسه، وسترَ عنه عيوبَ دينه، فهو يتقلَّبُ في شهواته حتَّى يهلكَ ولا يشعر.

وكان يقول: إذا تركَ العارفُ الذِّكر على وجه الغفلة نَفَساً أو نفسين، قيَّضَ اللَّهُ تعالى له شيطاناً فهو له قَرين، وأمَّا غيرُ العارف فيسامح بمثل ذلك، ولا يُؤخذ إلا في مثل درجة أو درجتين، أو زمنٍ أو زمنين، أو ساعةٍ أو ساعتين على حسب المراتب.

وكان يقول: من الأولياء من يَسكرُ من شهود الكأس، ولم يذق بعدُ شيئاً، فما ظنُّكَ بعد ذوق الشرابِ وبعد الري؟

واعلم أنَّ الري قلَّ من يفهم المُراد به، فإنه مزجُ الأوصاف بالأوصاف، والأخلاقِ بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، وأمَّا الشربُ فهو سُقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتَّى يسكَر، وأمَّا الكأس فهو معرفةُ الحقِّ التي يُعرف بها من ذلك الشراب الطهور المخلص الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين، فتارةً يشهدُ الشارب تلك الكأسَ صورية، وتارةً يشهدها معنويةً، وتارةً يشهدها علميةً، فالصورية حظُّ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظُّ القلوب والعقول، والعلمية حظُّ الأرواح والأسرار، فيا له من شراب ما أعذبه! فطوبى لمن شربَ منه ودام، وأطال في معنى ذلك.

وكان يقول: إياك والوقوعَ في المعصية المرَّة بعد المرة؛ فإنَّ مَنْ تعدى حدود الله فهو الظالم، والظالم لا يكون إماماً، ومن ترك المعاصي، وصبرَ على ما ابتلاه الله، وأيقنَ بوعد الله ووعيده فهو الإمامُ، وإن قلَّتْ أتباعُه.

وكان رضي الله عنه يقول: مريدٌ واحدٌ يَصلح أن يكون محلاً لوضع أسرارك خيرٌ من ألف مريد لا يكونون محلاً لوضع أسرارك.

وكان يقول: إنَّنا لننظرُ إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان، وصرنا نستدلُّ به تعالى على الخلق، هل في الوجود شيءٌ سوى الملك المعبود الحقّ؟ فلا نراه، وإن كان ولا بدّ من رؤيتهم فتراهم كالهباء في الهواء، إن مسستهم لم تجد شيئاً.

وكان يقول: إذا امتلأ القلب بأنوار الله تعالى، عميت بصيرتُهُ عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين.

وكان يقول: ذهب العمى، وجاء البصر. بمعنى فانظر إلى الله تعالى، فهو لك مأوى، فإن تنظر فبه، أو تسمع فمنه، وإن تنطق فعنه، وإن تكن فعنده، وإن لم تكن فلا شيءَ غيره.

وكان يقول: البصيرةُ كالبصر أدنى شيءٍ يقع فيها يعطِّلُ النظر، وإن لم ينته الأمر إلى العمى، فالخطرةُ من صفات الشرِّ تشوّشُ نظرَ البصيرة، وتكدّر الفكر والإرادة، وتذهب بالخير رأساً، والعمل به يذهبُ بصاحبه عن سهم من الإسلام، فإن استمرَّ على الشرِّ تفلَّتَ منه الإسلام سهماً سهماً، فإذا انتهى إلى الوقيعة في العلماء والصالحين، وموالاة الظالمين حباً للجاه والمنزلة عندهم فقد تفلَّتَ منه الإسلام كلُّه، ولا يغرَّنَّكَ ما توسم به ظاهراً، فإنه لا روحَ له، فإنَّ روحَ الإسلام حبُّ الله ورسوله، وحبُّ الآخرة والصالحين من عباده.

وكان يقول: نظرُ الله عزَّ وجلَّ لا يمتدُّ منه شيءٌ إلا خلقه، ولا يقفُ في نظره، ولا ينعطف عن منظوره، جلَّ نظرُ ربِّنا عن القصور والنفوذ، والتجاوز والحدود.

وكان رضي الله عنه يقول: أركزُ الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها، ثم انظر هل ترى للعين أيناً، أو ترى للكون كانا، أو ترى للأمر شأناً، وكذلك بعد وجودها.

وكان يقول: من ادَّعى فتحَ عين قلبه وهو يتصنَّعُ بطاعة الله تعالى، أو يطمعُ فيما في أيدي خلق الله فهو كاذب.

وكان يقول: التصوفُ تدريبُ النفس على العبودية، وردُّها لأحكام الربوبية.

وكان يقول: الصوفي يرى وجودَه كالهباء في الهواء، غير موجود ولا معدوم حسبما هو عليه في علم الله.

وسئل رضي الله عنه عن الحقائق. فقال: الحقائق هي المعاني القائمة في القلوب، وما اتَّضح لها، وانكشف لها من الغيوب، وهي منحٌ من الله تعالى وكرامات، وبها وصلوا إلى البرِّ والطاعات، ودليلُها قوله للحارث: «كيف أصبحت؟» قال: «أصبحت مؤمناً حقاً...»[1] الحديث.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ٣٠٢)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١١/ ٤٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٢٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٦٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٩٨٨، ٣٦٩٨٩، ٣٦٩٩١)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٥٥٢)، وابن القيسراني في (تذكرة الموضوعات ٦٠٤)، وابن أبي شيبة في (الإيمان ١١٥).

وكان رضي الله عنه يقول: من تحقَّقَ الوجود فني عن كلِّ موجود، ومن كان بالوجود ثبت له كلُّ موجود.

وكان يقول: أثبت أفعال العباد بإثبات الله تعالى، ولا يضرُّك ذلك، وإنَّما يضرُّكَ الإثباتُ بهم ومنهم.

وكان يقول: أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى؛ لما حقَّقَهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية.

وكان يقول: حقيقةُ زوال الهوى من القلب حبُّ لقاء الله تعالى في كلِّ نَفَسٍ من غير اختيار حالةٍ يكون المرء عليها.

وكان يقول: حقيقةُ القرب الغيبةُ بالقرب عن القرب لعظم القربة.

وكان يقول: لن يصلَ العبدُ إلى الله وبقي معه شهوةٌ من شهواته، ولا مشيئةٌ من مشيئاته.

وكان يقول: الأولياءُ يُغنون عن كلِّ شيءٍ بالله تعالى، وليس لهم معه تدبيرٌ ولا اختيار، والعلماء يدبّرون، ويختارون، وينظرون، ويقتبسون، وهم مع عقولهم وأوصالهم دائمون. والصالحون وإن كانت أجسادُهم معرسةً ففي أسرارهم الكزازة[1] والمنازعة، ولا يصلح شرحُ أحوالهم إلا لوليٍّ في نهايته، فحسبك ما ظهر من صلاحهم، واكتفِ به عن شرح ما بطن من أحوالهم.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تختر من أمرٍ شيئاً واختر أن لا تختار، وفرَّ من ذلك المختار فرارَك من كلِّ شيءٍ إلى الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وكلُّ مختارات الشرع وترتيباته فهي مختارُ الله، ليس لك منه شيءٌ، ولا بدَّ لك منه، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني، والعلم الإلهي، وهي أرضٌ لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى، فافهم.

وكان يقول: كلُّ ورعٍ لا يُثمر لك العلم والنور، فلا تعدَّ له أجراً، وكل سيئةٍ يعقبها الخوف والهرب إلى الله فلا تعدَّ لها وزراً.

وكان يقول: لا تَرقى قبل أن يُرقى بك، فتزلَّ قدمُك.

وكان يقول: أشقى الناس من يعترض على مولاه، وأركس[2] في تدبير دنياه، ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه.

---

(١) الكَزازةُ: الإنقباض واليُبْس.

(٢) أركسه: ركسه أي ردَّ أوله على آخره وقلبه على رأسه. و ـ في الشرّ: ردّه وارتكس: انتكس.

وكان يقول: مراكز النفس أربعة: مركزٌ للشهوة في المخالفات، ومركزٌ للشهوة في الطاعات، ومركزٌ في الميل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات.. ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وكان يقول: إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقةُ النفس بقطع إرادتها، وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يُرجى من حياتها.

وكان يقول: إن من أشقى الناس من يحبُّ أن يعاملَهُ الناسُ بكلِّ ما يريد، وهو لا يجدُ من نفسه بعضَ ما يُريد، وطالبْ نفسك بإكرامك لهم، ولا تطالبهم بإكرامهم لك، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤].

وكان يقول: قد يئستُ من منفعة نفسي لنفسي، فكيف لا أيأسُ من منفعةِ غيري لنفسي؟ ورجوتُ الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي؟!

وكان يقول: إن أردت أن لا يصدأَ لك قلبٌ، ولا يلحقك همٌّ ولا كربٌ، ولا يبقى عليك ذنبٌ فأكثر من قول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلا هو، اللهم ثبّت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي.

وكان يقول: لا كبيرة عندنا أكبرُ من اثنتين: حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل بالرضا؛ لأنَّ حبَّ الدنيا رأسُ كل خطيئة، والمقام على الجهل أصلُ كلِّ معصيةٍ.

وكان يقول: إن أردتَ أن تصحَّ على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك، واقطعِ الطمع من ربِّك أن يعطيك غير ما سبق لك، ثم أمسك ما شئت يكون كما تريدُ.

وكان يقول: إن أردت أن تكونَ مُرتبطاً بالحقِّ فتبرَّأْ من نفسك، واخرج عن حولك وقوتك.

وكان يقول: إن أردتَ الصدقَ في القول فأكثر من قراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ٩٧]، وإن أردت الإخلاصَ في جميع أحوالك فأكثر من قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وإن أردت السلامة من الشرِّ فأكثر من قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]. قلت: قال بعضُهم: وأقلُّ الإكثار سبعون مرَّةً كلَّ يومٍ إلى سبع مئة.

وكان يقول: أربعٌ لا ينفعُ معهم علمٌ: حبُّ الدنيا، ونسيانُ الآخرة، وخوفُ الفقر، وخوف الناس.

وكان يقول: أصدقُ الأقوال عند الله تعالى قول: (لا إله إلا الله) على النظافة، وأدلُّ الأعمال على محبَّته تعالى لك بغضُ الدنيا واليأسُ من أهلها على الموافقة.

وكان يقول: لا تسرفْ بترك الدنيا فيغشاك ظلمتُها، وتنحل أعضاؤك لها، فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمَّة، أو بالفكرة، أو بالإرادة، أو بالحركة.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تَقوى لمحبِّ الدنيا، إنَّما التَّقوى لمن أعرضَ عنها.

وكان يقول: إذا توجَّهتَ لشيءٍ من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوي، يا عزيز، يا عليم، يا قدير، يا سميع، يا بصير.

وكان يقول: إذا وردَ عليك مزيدٌ من الدنيا أو الآخرة فقل: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

وكان يقول: خصلةٌ واحدة إذا فعلها العبدُ صار إمامَ الناس من أهل عصره، وهي الإعراضُ عن الدنيا، واحتمالُ الأذى من أهلها.

وكان يقول: إذا تداين أحدُكم فليتوجَّهْ بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى، فإنَّ كلَّ ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه.

وكان يقول: إن عارضَك عرضٌ معلوم هو لك، فاهرب إلى الله منه هروبَكَ من النار، وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة.

وكان رضي الله عنه إذا تداين يقول: اللَّهُمَّ، عليك تداينت، وعليك توكَّلتُ، وإليك أَمري فوَّضتُ.

وكان يقول: خصلةٌ واحدةٌ تُحبط الأعمال، ولا ينتبُه لها كثيرٌ من الناس وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩].

وكان يقول: لا يتركُ منازعةَ الناس في الدنيا إلا المؤمنُ بالقسمة.

وكان يقول: رأيتُ في النوم صائحاً يصيح في جو السماء: إنَّما تُساق لرزقك، أو لأجلك، أو لما يقضي الله به عليك، أو بك، أو لك، وهي خمسةٌ لا سادس لها.

وكان يقول: كلُّ حسنةٍ لا تثمر نوراً أو علماً في الوقت فلا تعدَّ لها أجراً، وكلُّ سيئة أثمرت خوفاً من الله تعالى ورجوعاً إليه فلا تعدَّ لها وزراً.

وكان يقول: حسنتان لا يضرُّ معهما كثرةُ السيئات: الرضا بقضاء الله، والصفحُ عن عباد الله.

وكان يقول: إياك أن تقفَ مع الخلق، بل انفِ المضارَّ والمنافع عنهم؛ لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفرَّ إلى الله منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم، أو لك ولهم، ولا تخف خوفاً تغفلُ به عن الله تعالى، وتردّ القدر إليهم تهلك.

وكان يقول رضي الله عنه: من فارقَ المعاصي في ظاهره، ونبذَ حبَّ الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سرِّه أتته الزوائدُ من ربِّه، ووكَّلَ به حارساً يحرسه من عنده، وأخذ الله بيده خفضاً ورفعاً في جميع أموره، والزوائدُ هي زوائد العلم واليقين والمعرفة.

وكان رضي الله عنه يقول: لا يُوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي، إلا إن كانت لم تخطر له على بال، فإنَّ حقيقةَ الهجر نسيانُ المهجور، هذا في حق الكاملين، فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة والمجاهدة.

وكان يقول: لا يتزحزحُ العبد عن النار إلا إن كفَّ جوارحَه عن معصية الله، وتزيَّنَ بحفظ أمانة الله، وفتَحَ قلبَه لمشاهدة الله ولسانَه وسَرَّه لمناجاة الله، ورفعَ الحجابَ بينه وبين صفات الله، وأشهده الله تعالى أرواحَ كلماته.

وكان يقول: الغلُّ هو ربطُ القلب على الخيانة والمكر والخديعة، والحقدُ هو شدَّة ربطِ القلب على الخيانة المذكورة.

وكان يقول: اتقِ الله في الفاحشة جملةً وتفصيلاً، وفي الميل إلى الدنيا صورةً وتمثيلاً.

وكان يقول: عقوبةُ ارتكاب المحرمات بالعذاب، وعقوبةُ أهل الطاعات بالحجاب؛ لما يقع لهم فيها من سوء الأدب، وعقوبة المراكنات تركُ المزيد، وعقوبة القلق والاستعجال هلاك السر.

وكان يقول: من اعترضَ على أحوال الرجال فلا بدَّ أن يموت قبل أَجله ثلاثَ موتات أُخَر: موتٌ بالذلِّ، وموتٌ بالفقر، وموتٌ بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجدُ من يرحمُهُ منهم.

وكان الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه يقول: الناسُ يدعون إلى باب الله تعالى، وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يُدخلُهم على الله.

وكان الشاذلي رضي الله عنه يقول: من النِّفاقِ التظاهر بفعل السنة، واللَّهُ

يعلمُ منه غيرَ ذلك، ومن الشرك بالله اتخاذُ الأولياء والشفعاء دون الله، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وكان يقول: من شفعَ طلباً للجاه والمنزلة، أو لعرضِ الدنيا، عذَّبه الله على ذلك ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ [التوبة: ١٥].

وكان يقول: من سوء الظنِّ بالله أن يُستنصرَ بغير الله من الخلق، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ [الحج: ١٥].

وكان يقول: أوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال: جدّد بصر الإيمان تجدِ الله في كلِّ شيءٍ، وعند كلِّ شيءٍ، ومع كلِّ شيءٍ، وفوق كلِّ شيءٍ، وقريباً من كلِّ شيءٍ، ومحيطاً بكلِّ شيءٍ، بقربٍ هو وصفه، وبإحاطةٍ هي نعته، وعدِّ عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وامحق الكلَّ بوصفه ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: ٣] كان الله ولا شيءَ معه.

وكان رضي الله عنه يقول: من غفلَ قلبُه اتخذ دينه هزواً، ومن اشتغلَ بالخلق اتَّخذ دينه لعباً.

وكان يقول: إذا كان من يعملُ على الوفاق لا يَسلمُ من النفاق، فكيف بغيره؟

وكان رضي الله عنه يقول: الكاملون حاملون لأوصاف الحقِّ، وحاملون لأوصاف الخلق، فإن رأيتهم من حيث الخلق رأيتَ أوصاف البشر، وإن رأيتهم من حيث الحقِّ رأيت أوصاف الحقِّ التي زيَّنهم بها، فظاهرهم الفقرُ، وباطنهم الغنى تخلُّقاً بأخلاق رسول الله ﷺ. قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٨] أفتراه أغناه بالمال؟ كلا، وقد شدَّ الحجرَ على بطنه من شدَّة الجوع، وأطعمَ الجيشَ كلَّه من صاع[1]، وخرج من مكَّة على قدميه ليس معه شيءٌ يأكله ذو كبد إلا شيءٌ يواريه إبطُ[2] بلال.

وكان يقول: ضيقُ اليد شرفٌ لكلِّ الناس، أو لقطبٍ، أو خليفةٍ، أو أمينٍ لا يخون الله تعالى برؤية نفسه على من يُنفق عليه من العيال والفقراء طرفةَ عين.

وكان يقول: العلوم التي وقع الثناءُ على أهلها وإن جلت فهي ظلمةٌ في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحرِ الذات، وغموض الصفات، فكانوا

(١) الصّاعُ: مكيال تُكال به الحبوب ونحوها وهو عند فلاحي الشام نصف المُدّ الشامي؛ أي: يُعادل (٩) لترات (ج) أَصْوُعٌ.

(٢) الإبط: باطن المنكب في الإنسان والدواب وباطن الجناح في الطير. والتذكير أعلى (ج) آباط.

هناك بلا همٍّ، وهم الخاصَّةُ العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم، فلهم فيها نصيبٌ على قدر إرثهم من مورّثهم، قال النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**»[1] أي يقومون مقامَهم على سبيل العلم والحكمة، لا على سبيلِ التحقيق بالمقام والحال؛ فإنَّ مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد جلَّت أن يلمحَ حقائقها غيرُهم.

وكان يقول: كلُّ وارثٍ في المنزلة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] كما فضَّل بعضَهم على بعضٍ كذلك فضَّل ورثتَهم على بعض، إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعينٌ للحقِّ، وكلُّ عينٍ يشهد منها على قدرها، وكلُّ وليٍّ له مادةٌ مخصوصة.

وكان يقول: الأولياء على ضربين: صالحون وصدّيقون، فالصالحون أبدالُ[2] الأنبياء، والصدّيقون أبدال الرسل، فبينَ الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والرسل، منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ يشهدونها عين يقين، وهم قليلون، وفي التحقيق كثيرون، ومادةُ كلِّ نبيٍّ وكلِّ وليٍّ بالأصالة من رسول الله ﷺ، لكن من الأولياء من يشهدُ عينه، ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته، فيفنى فيما يردُ عليه، ولا يشتغلُ بطلب مادته؛ بل هو مستغرقٌ بحاله لا يرى غيرَ وقته، ومنهم طائفةٌ أيضاً مُدُّوا بالنور الإلهي، فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق، وذلك كرامةٌ لهم، لا يُنكرها إلا من يُنكرُ كرامات الأولياء، نعوذ بالله من النُّكران بعد العرفان.

وكان يقول: أول منزلٍ يَطؤه المحبُّ للترقي منه إلى العُلا النفسُ، فإذا اشتغلَ بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها، أشرقَ عليه أنوارُ المنزل الثاني وهو القلب، فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه، ولم يبقَ منه عليه شيءٌ أشرقَ عليه أنوارُ المنزل الثالث وهو الروح، فإذا اشتغل بسياسته وتمتْ له المعرفةُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٢٢٣)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٧١، ٣٣٨، ٤٥٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٨٦٧٩)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ٤١، ١٣/ ١٦٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٦)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٧)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٢، ٨٣)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٣٣٦)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٤)، والسيوطي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٣٠، ٢٤٧).

(٢) الأبدالُ: (في الصوفية) إحدى طبقاتها، يزعمون أنه إذا مات بدلٌ من الأبدال حلَّ محله آخر.

هبَّ عليه أنوارُ اليقين شيئاً فشيئاً إلى تمام نهاياته، وهذه طريق العامَّة، وأمَّا طريقُ الخاصَّة فهي طريق ملوكٌ تضمحل العقولُ في أقلِّ القليل من شرحها.

وكان يقول: ومَنْ أمدَّه اللَّهُ تعالى بنورِ العقلِ الأصلي، شهدَ موجوداً لا حدَّ له ولا غاية، بالإضافة إلى هذا العبد، واضمحلَّت جميعُ الكائنات فيه، فتارةً يشهدُها فيه كما يشهدُ البنَّاءُ بيتاً في الهواء بواسطة نورِ الشمس، وتارةً لا يشهدُها لانحراف نور الشمس عن الكوة[١]، فالشمسُ التي يُبصرُ بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، وإذا اضمحلَّ هذا النور ذهبت الكائنات كلُّها، وبقي هذا الموجود، فتارة يفنى وتارةً يبقى، حتى إذا أُريد به الكمال نُودي فيه نداءً خفياً لا صوتَ له، فيُمدُّ بالفهم عنه، إلا أنَّ الذي يشهدُه غيرَ الله تعالى ليس من الله في شيءٍ، فهناك ينتبه من سكراته، فيقول: يا ربِّ أثبتني، وإلا أنا هالك. فيعلمُ يقيناً أنَّ هذا البحر لا يُنجيه منه إلا الله عزَّ وجلَّ، فحينئذٍ يقال له: إن هذا الموجودَ هو العقلُ الذي قالَ فيه رسولُ الله ﷺ: **«أولُ ما خلقَ الله العقل»** فأعطي هذا العبد الذلّ والانقياد لنور هذا الموجود، إذ لا يقدرُ على حدّه وغايته، فإذا أمدَّ الله هذا العبدَ بنورِ أسمائه، قطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦] ثم أمدَّه الله تعالى بنور الروح الرباني فعرف هذا الموجود، فرقي إلى ميدان الرُّوح الرباني، فذهب بجميع ما تحلّى به هذا العبد، وما تخلّى عنه بالضرورة وبقي كَلا موجود، ثم أحياه الله تعالى بنور صفاته، فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني، فلمَّا استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول: هو الله، فإذا لحقته العنايةُ الأزلية نادته، ألا إنَّ هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحدٍ أن يصفه بصفةٍ، ولا أن يُعبّرَ عنه بشيءٍ من صفاته لغير أهله، لكن بنور غيره يعرفه، فإذا أمدّه الله بنور سرِّ الروح، وجد نفسه جالساً على باب ميدان السرِّ، فرفع همَّتَهُ ليعرف هذا الموجود الذي هو السرُّ، فعمي عن إدراكه، فتلاشت جميعُ أوصافه، كأنه ليس بشيءٍ، فإذا أمدَّه اللَّهُ تعالى بنور ذاته أحياه حياةً باقيةً لا غاية لها، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة، ووجد نور الحقِّ شائعاً في كلِّ شيءٍ لا يشهد غيره، فنُودي من قريبٍ: لا تغترَّ بالله، فإنَّ المحجوبَ من حُجب عن الله بالله، إذ محالٌ أن يحجبه غيره، وهناك يحيا حياةً استودعها الله تعالى فيه. ثم قال: يا ربِّ، أعوذُ بك منك حتى لا أرى غيرك. وهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العليِّ الأعلى، وهو طريقُ المحبّين الذين هم أبدالُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وما يُعطيه الله تعالى لأحدِهم من بعد هذا المنزل، لا يقدرُ أحدٌ أن يصفَ منه ذرةً،

---

(١) الكُوَّةُ: خرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء (ج) كُوى.

والحمدُ لله على نعمائه. وأمَّا طريقُ المحبوبين الخاصة بهم فإنّه ترقٍّ منه إليه به، إذ مُحالٌ أن يُتوصَّلَ إليه بغيره، فأولُ قدمٍ لهم بلا قدم، إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيّبهم بين عباده، وحبَّب إليهم الخلوات، وصُغِّرت لديهم الأعمالُ الصالحات، وعُظِّم عندهم ربُّ الأرضين والسموات، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوبَ العدم، فنظروا فإذا هم لا هم، ثم أردفَ عليهم ظلمةَ غيبتهم عن نظرهم، فصارَ نظرُهم عدماً لا علَّة له، فانطمست جميعُ العلل، وزالَ كلُّ حادثٍ، فلا حادثَ ولا وجود، بل ليس إلا العدمُ الذي لا علَّة له، فلا معرفة تتعلّق به، اضمحلّت المعلومات، وزالتِ المرسومات زوالاً لا علَّة فيه، وبقي من أشير إليه لا وصفَ له ولا صفة ولا ذات، واضمحلَّتِ النعوتُ والأسماء والصفات كذلك، فلا اسم له ولا صفة ولا ذات. فهنالك ظهرَ من لم يزل ظهوراً لا علَّة فيه، بل ظهرَ بسرِّه لذاته في ذاته ظهوراً لا أولية له، بل نظر في ذاته لذاته في ذاته، وهناك يحيا العبدُ بظهوره حياةً لا علَّة لها، وصار أولاً في ظهوره لا ظاهراً قبله، فوجدتِ الأشياءُ بأوصافه، وظهرتْ بنوره في نوره سبحانه وتعالى، ثم يغطسُ بعد ذلك في بحرٍ بعد بحر إلى أن يصلَ إلى بحرِ السرِّ، فإذا دخل بحر السرِّ غرق غرقاً لا خروجَ له منه أبَدَ الآباد، فإن شاء الله تعالى بعثه نائباً عن النبيِّ ﷺ يُحيي به عباده، وإن شاء ستره، يفعلُ في ملكه ما يشاء، فهذا عنبرةٌ من طريقة الخصوص والعموم فتنبَّه اهـ.

قلتُ: وإنَّما سطَّرنا لكل يا أخي هذه الأمور الخاصَّة بالمكمَّلين من أهل الله تعالى تشويقاً لك إلى مقاماتهم، وفتحاً لباب التصديق لهم إذا سمعتهم يذكرون مثل ذلك كما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب ـ يعني طبقاته ـ وهذا الكلام لم أجده لغيره من الأولياء إلى وقتي هذا، فسبحان المُنعم على من يشاء بما يشاء، والله أعلم. انتهى كلامُ الشعراني رحمه الله.

وفي خاتمة «نور الأبصار» ما نصُّه: تتميمٌ في الكلام على مناقب القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كانت ولادته رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وقد نقل ابن عياد نسبَه من كتاب «اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية» للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله: هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصيّ بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اهـ.

وفيه أنه لم ين من أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب، وأن

الذي أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى[١] كما نص عليه غيرُ واحد.

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: لم يكن لأحدٍ من أولاد الحسن عقبٌ غيرُ اثنين منهم، وهما: الحسن، وزيد اهـ. فصوابه محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب، اللهم إلا أن يقال: إن ولد الابن ابن.

قال بعضُهم: علي أبو الحسن السيد الشريف زعيمُ الشاذلية، نسبةً إلى شاذلة، قريةٌ بإفريقية قرب تونس، نشأ ببلده، واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يُناظر عليها مع كونه ضريراً، ثم انتهج التصوف، وجدَّ واجتهد حتى ظهر صلاحُه وخيره، وطار في الفضائل طيره، وحُمِدَ في الطريق سُراه[٢] وسيره، نظم فرقَّق ولطَّف، وتكلَّم على الناس فقرَّط الآذان وشنَّف[٣]، وطافَ وجال، ولقي الرجال، وقدم الإسكندرية من المغرب، وصار يُلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب، وينفعُ الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب.

وكان إذا ركب تمشي أكابرُ الفقراء والدنيا حوله، وتُنشر الأعلام على رأسه، وتُضرب الكوسات[٤] بين يديه، ويأمر النقيب أن يُنادي أمامه: من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي رضي الله عنه، ثم تَحوَّل إلى الديار المصرية، وأظهر فيها طريقته المرضية، وسيرته النبوية، وكان يقرأ «ابن عطية»[٥] و«الشفا»[٦].

---

(١) الحسن المُثنَّى (توفي نحو ٩٠هـ = نحو ٧٠٨م).
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، الهاشمي، كبير الطالبيين في عهده. كان وصيّ أبيه ووليّ صدقة جده، ووفاته في المدينة. وكان عبد الملك بن مروان يهابه. واتهم بمكاتبة أهل العراق وأنهم يمنُّونه بالخلافة، فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فأمر عامله بالمدينة بجلده فلم يجلده العامل، وكتب للوليد يبرئه. وقيل للحسن: ألم يقل رسول الله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقال: بلى، ولكن والله لم يَعْنِ رسول الله بذلك الإمارة والسلطان ولو أراد ذلك لأفصح لهم به. الأعلام ٢/ ١٨٧، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ١٦٢.

(٢) السُّرَى: السير بالليل.

(٣) قرَّط الفتاة: ألبسها القُرط.
شنَّف المرأة: اتخذ لها قُرطاً. و ـ الآذان بكلامه: أمتعها به.

(٤) الكوسات: مفردها الكُوس: الطَّبل، ويقال: هو معرَّب (لسان العرب ٦/ ٢٠٠ مادة: كوس).

(٥) أي كتاب ابن عطية المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للإمام أبي محمد عبد الحق ابن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٦، وقد أثنى عليه أبو حيان وقال: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وقيل: كتاب ابن عطية أقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص. (كشف الظنون ٢/ ١٦١٣).

(٦) كتاب «الشفا في تعريف حقوق المصطفى» للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى =

وأخذ عنه العزُّ بن عبد السلام، وله أجزاء محفوظة، وأحوالٌ بعين العناية ملحوظة، وقيل له: من شيخُك؟ فقال: أما فيما مضى فعبدُ السلام بن مَشيش، وأمل الآن فإني أستقي من عشرةِ أبحرٍ: خمسةٍ سماوية، وخمسة أرضية اهـ.

قال أبو الحسن صاحب الترجمة: سألتُ الله أن يجعلَ القطب من بيتي، فإذا النداء: يا علي، قد استجبنا لك.

وكان يقول: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلسٌ في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عزِّ الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلسٌ في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المُنذري، وما على وجه الأرض مجلسٌ في علم الحقائق أبهى من مجلسك.

وكان رضي الله عنه يحضر مجلسَه أكابرُ العلماء؛ كابن الحاجب(١)، وابن

= القاضي اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤، وهو على أربعة أقسام، **القسم الأول**: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً وفيه أربعة أبواب **الأول**: في ثنائه تعالى عليه وفيه عشرة فصول. **الثاني**: في تكميله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً. **الثالث**: فيما ورد من صحيح الأخبار لعظم قدره عند ربه وفيه اثنا عشر فصلاً. **الرابع**: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وفيه ثلاثون فصلاً، **والقسم الثاني**: فيما يجب على الأنام من حقوقه (عليه الصلاة والسلام وفيه أربعة أبواب) **والقسم الثالث**: فيما يستحيل في حقه وما يجوز وما يمتنع ويصح وهو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات وفيه بابان، **والقسم الرابع**: في تصرف وجوه الأحكام على من تنقّصه أو سبه وفيه بابان. وقال: وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة في حكم من سب الله سبحانه وتعالى ورسله ملائكته وكتبه وآل النبي ﷺ وفيه خمسة فصول. وهو كتاب عظيم النفع كثير الفائدة لم يؤلف مثله في الإسلام. (كشف الظنون ٢/ ١٠٥٢ ـ ١٠٥٣).

(١) ابن الحاجب (٥٧٠ ـ ٦٤٦هـ = ١١٧٤ ـ ١٢٤٩م)
عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب. فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية وكان أبوه حاجباً فعرف به. من تصانيفه «الكافية» في النحو، و«الشافية» في الصرف، و«مختصر الفقه» ويسمى «جامع الأمهات» و«المقصد الجليل» و«الأمالي النحوية» و«الإيضاح» في شرح المفصل للزمخشري و«الأمالي المعلقة عن ابن الحاجب» وغير ذلك.
الأعلام ٤/ ٢١١، ووفيات الأعيان ١/ ٣١٤، وخطط مبارك ٨/ ٦٢، وغاية النهاية ١/ ٥٠٨، ومفتاح السعادة ١/ ١١٧.

عبد السلام عز الدين(١)، وابن دقيق العيد(٢)، وعبد العظيم المُنذري(٣)، وابن الصلاح(٤)، وابن عصفور(٥)، فكانوا يحضرون ميعاده(٦) بالمدرسة

---

(١) ابن عبد السلام (٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ = ١١٨١ ـ ١٢٦٢م).
عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ، فأقام شهراً، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة «صفد» للفرنج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدعُ له في الخطبة، فغضب وحبسه ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لوظائفك فقال: لا وتوفي بالقاهرة. من كتبه «التفسير الكبير» و«قواعد الشريعة» و«الفوائد» و«قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» و«الفتاوى» وغير ذلك.
الأعلام ٤/ ٢١، وفوات الوفيات ١/ ٢٨٧، وطبقات السبكي ٥/ ٨٠ ـ ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨.

(٢) ابن دقيق العيد (٦٤١ ـ ٦٨٥هـ = ١٢٤٤ ـ ١٢٨٦م).
موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، سراج الدين ابن دقيق العيد. فقيه، له شعر حسن انتهت إليه رئاسة الفتوى بقوص (في صعيد مصر) ومولده ووفاته فيها. له «المغني» في فقه الشافعية قال الأدفوي: ما أظنه أكمله، وهو أخو تقي الدين أحمد بن علي المعروف مثله بابن دقيق العيد. وذاك أعلم وأشهر. الأعلام ٧/ ٣٢٥، والطالع السعيد ٣٨٠.

(٣) المُنذري (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ = ١١٨٥ ـ ١٢٥٨م).
عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين. له «الترغيب والترهيب» و«التكملة لوفيات النقلة» و«أربعون حديثاً» و«شرح التنبيه» و«مختصر صحيح مسلم» و«مختصر سنن أبي داود» أصله من الشام، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية «بالقاهرة» وانقطع بها نحو عشرين سنة، عاكفاً على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث. مولده ووفاته بمصر. وصنف محقق كتابه «التكملة» بشار عواد معروف كتاب «المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة».
الأعلام ٤/ ٣٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢١٢، وفوات الوفيات ١/ ٢٩٦، وطبقات الشافعية ٥/ ١٠٨.

(٤) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، ووفيات الأعيان ١/ ٣١٢، وطبقات الشافعية ٥/ ١٣٧، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢١، ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٧ ثم ٢/ ٢١٤.

(٥) ابن عُصْفُور (٥٩٧ ـ ٦٦٩هـ = ١٢٠٠ ـ ١٢٧١م)
علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره. من كتبه «المقرب» و«الممتع» و«المفتاح» و«الهلال» و«المقنع» و«السالف والعذار» و«شرح الجمل» و«شرح المتنبي» و«سرقات الشعراء» و«شرح الحماسة». ولد بإشبيلية. وتوفي بتونس.
الأعلام ٥/ ٢٧، وفوات الوفيات ٢/ ٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٠، وعنوان الدراية ١٨٨.

(٦) الميعاد: وقت الوعد. و ـ: موضعه (ج) مواعيد.

الكاملية من القاهرة، ويقرأ «ابن عطية» و«الشفا» ويمشون بين يديه إذا خرج.

وكان رضي الله عنه يقول: إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم على الله بي.

قال الشيخ أبو العباس المرسي: والله ما ذكرتُه في شدَّةٍ إلا انفرجت، ولا في أمرٍ صعب إلا هان. قال: وأنت يا أخي إذا كنتَ في شدَّةٍ فأقسم على الله به، وقد نصحتك، والله يعلم ذلك.

قال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي: كنت أترضَّى على الشيخ في كلِّ ليلةٍ كذا وكذا مرة، وأسأل الله به في جميع حوائجي، فأجدُ القبول في ذلك معجلاً، فرأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني أترضَّى على الشيخ أبي الحسن في كلِّ ليلةٍ بعد صلاتي عليك، وأسألُ الله به في حوائجي، أفترى عليّ في ذلك شيئاً إذ تعدَّيتك؟ فقال لي: أبو الحسن ولدي حساً ومعنًى، والولدُ جزءٌ من الوالد، فمن تمسَّكَ بالجزء فقد تمسَّك بالكلِّ، وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألته بي اهـ. من «شرح البناني» على «الحزب».

وحج مراراً.

قال ابن دقيق العيد: ما رأيت أعرفَ بالله منه، ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائب الإسكندرية: إنه يقدُم عليكم مغربيٌّ زنديق[١]، وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه. فدخل الإسكندرية، فآذوه، فظهرت كراماتٌ أوجبت اعتقاده رضي الله عنه.

قال الشعراني في خاتمة «المنن»: حكى الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله أنَّ سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يقول: لا يكملُ عالمٌ في مقام العلم حتى يُبتلى بأربعٍ: شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسدَ العلماء، فإن صبر علىَ ذلك جعله الله إماماً يُقتدى به.

ولما شاع أمرُه في بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كلِّ جانب، ورموه بالعظائم، وبلغوا في أذيَّته حتى منعوا الناس من مجالسته، وقالوا: إنه زنديق. ولما أراد السفرَ إلى مصر كتبوا إلى سُلطان مصر مكاتبات: إنه سيقدم عليكم مصرَ مغربيٌّ من الزنادقة، أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين، وإيَّاكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه، فإنه من كبار الملحدين، ومعه استخداماتٌ من الجن[٢]. فما وصلَ الشيخُ إلى مدينة الإسكندرية حتى وجدَ الخبر بذلك سابقاً على

---

(١) الزِّنديقُ: مَنْ يُبطن الكفر ويخفيه ويُظهر الإيمان.

(٢) الجِنُّ: خلاف الإنس، سُمُّوا بذلك لاستتارهم عن الناس. الواحد جنّيٌّ، وهي جنّيّة.

مقدمه، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. فبالغ أهل الإسكندرية في إيذائه، ثم رفعوا أمرَه إلى سُلطان مصر، وأخرجوا له مَراسيم فيها ما يُباح به دمُ الشيخ، فمدَّ يده إلى سُلطان المغرب، وأتى منه بمراسيم تُناقض ذلك، فيها من التعظيم والتبجيل ما لا يُوصف، تاريخُه متأخرٌ عن مراسيمهم، فتحيَّر السلطان، وقال: العمل بهذا أولى. وأكرمه، وردَّه إلى الإسكندرية مكرماً، ولمّا تزايد عليه الأذى توجَّه إلى الله تعالى، وذلك أنه أرسلَ له سُلطان مصر يَسأله الدُّعاءَ، ويتعطَّفُ بخاطره، فكفَّ الناسُ عنه الأذى حرمةً للسلطان، وبعضهُم داوم على الأذى، وكتبوا فيه للسلطان وقالوا: يا مولانا، إنه سيماوي. فتغيَّر السلطان، ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب بالزغل[1] وأنه كيماوي[2]، وحذَّروا الناس من مجالسته، واتَّفقَ خازندار[3] السلطان محمد بن قلاوون[4] وقع في أمرٍ يوجب القتل عند الملوك، فأمرَ بشنقه، فهرب، واختفى بالإسكندرية، وأقام عند الشيخ، فبلغ الخبرُ السلطان، فكتب إليه: ما كفاك ضربَ الزغل حتى أنك تؤوي غريم السلطان، فأرسلْه ساعةَ وصول كتابنا إليك، وإلا فعلنا بك وفعلنا. فلم يُرسله الشيخ، فغضب السلطان، وأرسل يتوعَّدُ الشيخ بالقتل، ويقول له: كيف تُتلفُ مماليك السلطان؟ فلمَّا وصل إليه الخبر مع شخصٍ من أخصَّاء السلطان قال له الشيخ: معاذ الله أن نتلفَ أحداً من مماليك السلطان، وإنَّما نحن نصلحه. ثم قال لقاصد السلطان: ائتنا بما شئتَ من الرصاص من حواصل السلطان حتى أُريك الإصلاح. فأتى بشيءٍ كثيرٍ، فألقاه الشيخ في فسقية[5] جامع من غير ماء، وقال للخازندار: بُلْ على هذا الرصاص. فبال عليه، فصار ذهباً خالصاً، فقال له: أهذا إصلاحٌ أم إفساد؟ فقال: إصلاح. ثم أمرَ القاصدَ بحمل ذلك إلى خزانة السلطان، فوزنوا ذلك فوجدوا خمسة قناطير[6]، فقال: هذا هديةٌ لمولانا السلطان، وقل له يرضى عن مملوكه. فرضي عنه، ثم إن السلطان نزل إلى زيارة الشيخ في الإسكندرية، وأضمر في نفسه أن يعلّمَه صنعةَ

(١) الزَّغَلُ: الغِشُّ.

(٢) الكيماوي: نسبة إلى الكيمياء (عند القدماء): تحويل بعض المعادن إلى بعض وعلى الخصوص تحويلها إلى الذهب.

(٣) الخازندار: أمين الصندوق.

(٤) انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ١١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١ و١١٥ ثم ٩/ ٣.

(٥) الفَسْقِيَّةُ: الحوض، وحوض من الرخام ونحوه مستدير غالباً تمجُّ فيه الماء نافورة، ويكون في القصور والحدائق والميادين العامة (ج) فساقي.

(٦) القناطير: (ج) القِنْطار: وزن مائة رطل.

الكيمياء، فقال له: كيمياؤنا التقوى، فاتَّقِ الله يُعلّمك حرفَ (كن)، ثم لم يزل مُعظِّماً للشيخ حتى مات اهـ.

وحكى المُرسي رضي الله عنه عن شيخه صاحب الترجمة قال: صلَّيتُ خلفه صلاةً فشهدتُ ما بهر عقلي، شهدتُ بدنَ الشيخ والأنوار قد ملأته، وانبثَّتِ الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النَّظرَ إليه.

وقال المُرسي رضي الله عنه: جلتُ في الملكوت[١]، فرأيتُ أبا مدين مُتعلِّقاً بساق العرش، فقلت له: ما عُلومك؟ فقال: أحدٌ وسبعون. فقلت: ما مقامك؟ قال: رابعُ الخلفاء، ورأس السبعة. قال: فقلت: فما تقولُ في الشاذلي؟ قال: زادَ عليَّ بأربعين علماً، وهو البحر الذي لا يُحاط به.

ولمّا دخل الشاذلي رضي الله عنه الإسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطي، فوقفَ بظاهرها، فاستأذنه فقال: طاقيةٌ لا تسَعُ رأسين، فماتَ أبو الفتح في ليلته، وذلك أن من دخلَ بلداً على فقيرٍ بغيرِ إذن ـ فمهما كان أحدُهما أعلى من الآخر ـ سلبه أو قتله، فلذلك ندبوا الاستئذان.

ومن كلامه رضي الله عنه: إن أردتَ أن لا يَصدأ لك قلبٌ، ولا يلحقَكَ همٌّ ولا كربٌ، ولا يبقى عليك ذنبٌ فأكثر من الباقيات الصالحات[٢].

وقال: من أحبَّ أن لا يُعصى الله تعالى في مملكته فقد أحبَّ أن لا تظهرَ مغفرتُه ورحمته.

وقال رضي الله عنه: لا يشمُّ رائحةَ الولاية من لم يزهد في الدنيا وأهلِها، إذا افتقرتَ فسلِّم، وإذا ظُلمَت فاسكن تحت جريان الأقدار؛ فإنها سحابةٌ سائرة.

وقال رضي الله عنه: من آداب مجالسة الأكابر عدمُ التجسس على عقائدهم، ومن آداب مجالسة العلماء عدمُ تحديثهم بغير المنقول.

وقال رضي الله عنه: رأيت أنّي مع النبيين عليهم الصلاة والسلام فقلت: اللهم، اسلك بي سبيلهم مع العافية عمّا ابتليتهم؛ فهم أقوى مني. فقال لي: قل: وما قدَّرتَ علينا من شيءٍ فأيِّدنا فيه كما أيدتهم.

وقال رضي الله عنه: نمتُ ليلةً في سياحتي، فطافت بي السِّباعُ إلى الصبح،

---

(١) الملكوت: الملك العظيم، أو العز والسلطان، وملكوت السماوات والأرض: ما فيها من آيات وعجائب، وملكوت الله: سلطانه وعظمته.

(٢) الباقياتُ الصالحاتُ: الأعمال الباقية الأثر. أو: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو الصلوات الخمس.

فما وجدت أُنساً كتلك الليلة، فأصبحتُ فخطر لي أنَّه حصلَ لي من مقام الأُنس بالله شيءٌ، فهبطت وادياً فيه طيورُ حجلٍ[١] فأَحسَّتْ بي فطارت، فخفق قلبي رُعباً، فنوديت: يا من كان البارحة يأنَسُ بالسباع، ما لك وجلتَ من خفقات الحجل؟ لكنك كنت البارحة بنا واليومَ بنفسك.

وكلامه رضي الله عنه كثيرٌ عالٍ كبير تركناه مخافةَ التطويل، وقد أفردَ ابن عطاء الله ما يتعلَّقُ بالشيخ بالتأليف فكان مجلداً حافلاً، وقد ذكر الشيخ الشعراني في «طبقاته» نبذةً عظيمة من كلامه فعليك به.

قلت: وقد تقدَّمت برمَّتها.

ثم قال: قال أبو الحسن صاحبُ الترجمة رضي الله عنه: رأيتُ الخضر عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، أصحبَك الله اللطيف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل.

وصية

وصية عظيمة للشيخ: وجدتها في «حياة الحيوان»[٢] قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كن مُتمسِّكاً بهذه الصفات الحميدة تفزْ بسعادة الدارين: لا تتَّخذْ من الكافرين ولياً، ولا من المؤمنين عدواً، وارحل بزادك من التقوى في الدنيا، وعُدَّ نفسك من الموتى، واشهد لله تعالى بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وحسبك عملٌ صالح وإن قلَّ، وقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشرِّه ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فمن كان متمسِّكاً بهذه الصفات الحميدة ضمنَ الله عزَّ وجلَّ له أربعةً في الدنيا: الصدقَ في القول، والإخلاصَ في العمل، والرزقَ كالمطر، والوقايةَ من الشر، وأربعةً في الآخرة: المغفرةَ العظمى، والقربةَ الزُّلفى، ودخولَ جنة المأوى، واللحوقَ بالدرجة العليا.

---

(١) الحَجَلُ: طير في حجم الحمام، أحمر المنقار والرجلين، طيب اللحم. الواحدة حَجَلَةٌ.

(٢) كتاب «حياة الحيوان» للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨، وهو كتاب مشهور في هذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق في العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة رتبه على حروف المعجم وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتاباً ومائة وتسعة وتسعين ديواناً من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى في كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا، وفرغ من مسودته في شهر رجب سنة ٧٧٣. (كشف الظنون ٦٩٦).

وإن أردت الصدق في القول فداوم على قراءة: [﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١]، وإن أردت الرزق كالمطر، فداوم على قراءة][1]: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١١٣]. وإن أردت السَّلامةَ من شرِّ الناس فداوم على قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ [الناس: ١١٤]. وإن أردتَ جلب الخير والرزقَ والبركة فداومْ على قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين، نعم المولى ونعم النصير. واقرأ سورة الواقعة، وسورة يس، فإنه يأتيك الرزق كالمطر.

وإن أردتَ أن يجعلَ اللَّهُ لك من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالزم الاستغفار.

وإن أردت أن تأمنَ ممَّا يروعك ويفزعك فقل: «**أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ غضبه وعقابه، ومن شرِّ عباده، ومن شرِّ همزات الشياطين وأن يحضرون**»[2].

وإن أردت أن تعرف أيَّ وقتٍ تُفتح فيه أبوابُ السماء، ويُستجاب به الدعاء فاشهدْ وقتَ نداء المُنادي فأجبه، ففي الحديث «**من نزل به كربٌ أو شدّة فليُجبِ المنادي**»[3] والمنادي هو المؤذن.

وإن أردت أن تسلمَ من أمرٍ يريبك فقل: «**توكلتُ على الحيِّ الذي لا يموت أبداً، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ وكبِّره تكبيراً**». [ففي الحديث: «**ما كربني أمرٌ إلا تَمثَّلَ لي جبريل، فقال: يا محمد، قلْ: توكَّلت على الحيِّ الذي لا يموت أبداً، وقل: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ وكبره تكبيراً**»[4]][5].

وإن أردتَ أن تنجو من همٍّ أو غمٍّ أو خوفٍ يصيبك فقل: «**اللهم، إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ**

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة مستدركة من حياة الحيوان (ص٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (الطب ب١٩)، والترمذي في (السنن ٣٥٢٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/٦)، والحاكم في (المستدرك ١/٥٤٨)، وعبد الرزاق في (المصنف ١٩٨٣١)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/٤٥٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/٤١، ٥/١٤)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ١٨٥).

(٣) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤١١).

(٤) أخرجه الحاكم في (المستدرك ١/٥٠٩)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/٦١٩)، والسيوطي في (الدر المنثور ٤/٢٠٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٢٤)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ١١٣).

(٥) ما بين حاصرتين مستدرك من حياة الحيوان.

اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلتَهُ في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك أن تجعلَ القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهابَ همِّي وغمِّي»[١] فيذهب عنك همُّك وغمُّك وحزنك.

وإن أردت أن يُداويك الله تعالى من تسعةٍ وتسعين داءً أَيسرُها الهم، فقل ما ورد في الحديث: «**لا حول ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم**»[٢] فإنها دواءٌ ممَّا ذكر.

وإن أردت أن تؤجرَ ممَّا يُصيبك من مُصيبةٍ فقل: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ، عندك أحتسبُ مصيبتي، فأجرني فيها، وأَبدلني خيراً منها. ومنه: حسبُنا الله ونعم الوكيل، توكَّلنا على الله، وعلى الله توكلنا.

وإن أردتَ أن يذهب همُّك ويُقضى دينُك فقل ما ورد عنه ﷺ حين سأله السائل فقال: «**ألا أعلمك كلاماً إذا قلتَه أَذهبَ الله همَّك وقضى دينك؟**» قال: بلى يا رسول الله. قال: «**قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللَّهُمَّ، إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذُ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبُخل، وأعوذ بك من غلبةِ الدَّين، وأعوذ بك من قهر الرجال**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٣٩١، ٤٥٢)، والحاكم في (المستدرك ١/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم الرازي في(علل الحديث ٤٧٢)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٤٩)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٣٧٢)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٣٣٥)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٧٦)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣٢٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٣٦، ٣٤٣٥)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠٥، ١٠٦)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٥١٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٦١٦)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٦)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ٢١٠)، والذهبي في (الطب النبوي ٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٣٦٤)، والبخاري في (الصحيح ١/ ١٥٩)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٥٢٠، ٣/ ٤٢٢، ٤/ ٩٢، ٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٨، ٥/ ١٤٥ ـ ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٦٥، ٦/ ٩، ٣٩١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧٧١، ١٩٥٦، ١٧٩٥٧، ٢٠٩٨٢، ٢١٠١٣، ٢٣١٩٠، ٢٣٢٧٤، ٢٣٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٢٣، ٧/ ٩٩، ٨/ ٩٧، ٩٨)، والنسائي في (السنن ٨/ ٢٥٧، ٢٥٨)، والترمذي في (السنن ٣٤٨٤، ٣٥٠٣)، وأبو داود في (السنن ١٥٤١، ١٥٤٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ٣٠٤، ٩/ ١٢٥)، والحاكم في (المستدرك ١/ ٥٣٣)، والشجري في (الأمالي ١/ ٢٢٧)، والبخاري في (الأدب المفرد ٨٠١)، وابن حجر في (فتح الباري ٩/ ٥٥٤، ١١/ ١٧٣، ١٧٨)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٤٥٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٩٣، ٣٧٦٣، ٣٨٢١)، والقرطبي في (التفسير ٣/ ٤١٦)، والزبيدي =

وإن أردتَ أن توفَّق للخشوع فاترك فضول النظر.

وإن أردت أن توفَّق للحكمة فاترك فضول الكلام.

وإن أردت أن توفَّق لحلاوة العبادة فعليك بالصوم وقيام الليل والتهجُّد(١) فيه.

وإن أردت أن توفَّق للهيبة فاترك المزاحَ والضحك، فإنهما يسقطان الهيبة.

وإن أردت أن توفَّق للمحبَّة فاترك فضول الرَّغبة في الدنيا.

وأن أردت أن توفَّق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسُّس على عيوب الناس؛ فإنَّ التجسس من شُعب النفاق، كما أنَّ حُسن الظنِّ من شُعب الإيمان.

وإن أردت أن توفَّق للخشية فاترك التوهُّمَ في كيفية ذات الله تعالى، تسلم من الشك والنفاق.

وإن أردت أن توفَّق للسلامة من كلِّ سوءٍ فاترك الظنَّ السيئ بكلِّ الناس.

وإن أردتَ العزلة، فاتركِ الاعتقاد في الناس وتوكَّل على الله.

وإن أردت أن لا يموت قلبك فقل كلَّ يومٍ أربعين مرة: يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنت.

وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يومَ القيامة يومَ الحسرة والندامة فأكثر من قراءة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشقاق: ١].

وإن أردتَ أن يُنوِّر وجهُك فداوم على قيام الليل.

وإن أردت السلامة من عطشٍ يوم القيامة فلازمِ الصوم.

وإن أردت أن تسلمَ من عذاب القبر فاحترز من النجاسات، وأكل المحرمات، وارفضِ الشهوات.

وإن أردت أن تكون أغنى الناس فلازم القناعة.

وإن أردت أن تكون خيرَ الناس فكن نافعاً للناس.

وإن أردت أن تكون أعبدَ الناس فكنْ متمسِّكاً بقوله ﷺ: **«من يأخذ عني هؤلاء الكلمات ليعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟»** قال أبو هريرة(٢): قلت: أنا يا

= في(إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠٠)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٦١٤)، والبغوي في (شرح السنة ٥/ ١٥٥، ١١/ ٢٤)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٥٨٠، ٩٦٨٨)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٤/٢٢٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ٣/ ١٩٢)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٦٧٦).

(١) تهجَّد: استيقظ في أثناء الليل للصلاة وغيرها.

(٢) أبو هريرة (٢١ق هـ ـ ٥٩هـ = ٦٠٢ ـ ٦٧٩م). =

رسول الله. فأخذ بيدي وعدَّ خمساً، وقال: «**اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسنْ إلى جارك تكن مؤمناً، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مسلماً، ولا تُكثرِ الضحك، فإن كثرة الضحك تميتُ القلب**»(١).

وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين، فاعبدِ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك(٢).

وإن أردت أن يكملَ إيمانُك فحسِّن خلقك.

وإن أردتَ أن يحبَّك الله فاقضِ حوائج إخوانك المسلمين. ففي الحديث: «**إذا أحبَّ الله عبداً صيَّر حوائج الناس إليه**»(٣)

وإن أردت أن تكون من المُطيعين فأدّ ما فرضَ الله عليك.

وإن أردتَ أن تلقى الله نقياً من الذنوب فاغتسل من الجنابة، ولازم غسل الجمعة تلقَ الله تعالى يوم القيامة وما عليك ذنب.

وإن أردتَ أن تُحشر يوم القيامة في النُّور الهادي، وتسلمَ من الظُّلمات لا تظلمْ أحداً من خلق الله تعالى.

= عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة. صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم صحبة النبي فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. وكان يفتي.

الأعلام ٣/٣٠٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٠، والإصابة الكنى ت١١٧٩، والجواهر المضية ٢/٤١٨.

(١) أخرجه التبريزي في (مشكاة المصابيح ٥١٧١)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٤، ٢/ ١٥٧) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٤٣٥٢).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ١٣٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٤٠، ٤/ ٢١٨)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٠٩٦، ٣٠٩٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/٢٦٨، ٣/ ٥٩٢، ٤/٢٤٧)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ١٧٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/ ١١٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٢٣٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٢٤، ٧/ ٤٥٣، ١٠/ ٥٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٠٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ٢٩٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٢٥٠، ٥٢٥١، ٥٢٥٦، ٥٢٧٩، ٤٤١٥٤)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٣/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٥٩٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٣٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٧) بلفظ «إذا أراد الله بعبد خيراً صير حوائج الناس إليه».

وإن أردت أن تقلَّ ذنوبك فالزم دوام الاستغفار.

وإن أردت أن تكونَ أقوى الناس فتوكَّلْ على الله.

وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطَّهارة الكاملة.

وإن أردتَ أن تكون آمناً من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحدٍ من خلق الله تعالى.

وإن أردتَ أن يُستجاب دعاؤك فاجتنب الرِّبا[١] وأكلَ الحرام، وأكل السُّحت[٢].

وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الأشهاد فاحفظ فرجَك ولسانك.

وإن أردت أن يسترَ الله عليك عيبَك فاسترْ عيوب الناس؛ فإن الله ستَّارٌ يحبُّ من عباده الستِّيرين.

وإن أردت أن تُمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار، والخضوع، والخشوع، والحسنات في الخلوات.

وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق، والتواضع، والتصبُّر على البلية.

وإن أردت السلامةَ من السيئات العظام فاجتنب سوءَ الخلق والشحَّ[٣] المُطاع.

وإن أردتَ أن يسكن عنك غضبُ الجبار فعليك بإخفاء الصدقة، وصلةِ الرحم.

وإن أردت أن يقضيَ الله عنك الدَّين فقل ما قاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله، وقال عليه الصلاة والسلام له: **«لو كان عليك مثلُ الجبال ديناً أدَّاهُ الله عنك، فقل: اللَّهُمَّ، اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»**[٤]. وفي الحديث: **«لو كان على أحدِكم جبلٌ من ذهبٍ ديناً فدعا بذلك لقضاه الله عنه»**[٥] وهو: **«اللَّهُمَّ فارجَ الهمِّ، كاشفَ الغمِّ، مُجيبَ دعوة المضطرين، رحمنَ الدنيا والآخرة، ورحيمهما، أنت تَرحمني، فارحمني برحمةٍ تُغنيني بها عمَّن سواك»**[٦].

---

(١) الرِّبا: الزيادة والفضل.

(٢) السُّحت: الحرام، وما خَبُث من المكاسب كالرشوة ونحوها.

(٣) الشُّحُّ: البخل مع حرص.

(٤) أخرجه الترمذي (دعوات ١١٠).

(٥) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٩)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٦١٥)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ١٧٢).

(٦) أخرجه الحاكم في (المستدرك ١/ ٥١٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٥٥٦١، ١٥٥٦٢)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٦١٥)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ٩)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٩)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/ ٤٤١).

وإن أردت أن تنجوَ من هلكةٍ فالزم ما في الحديث: **«إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم»**[١] فإنّ الله تعالى يصرف عنك ما شاءَ من أنواع البلاء. والوَرْطة: بفتح الواو، وإسكان الراء الهلاك.

وإن أردت أن تأمن من قوم خفتَ شرَّهم فقل ما ورد في الحديث: **«اللَّهُمَّ، إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بكَ من شرورهم»**[٢]. أو تقول: **«اللَّهُمَّ، اكفنا بما شئتَ، وكيف شئت، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير»**[٣].

وإن أردت أن تأمنَ سلطاناً فقل ما ورد في الحديث: **«لا إله إلا الله الحليم الكريم، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، لا إله إلا أنت»**[٤]. ويُستحب أن تقول ما تقدم: **«اللهم، إنَّا نجعلك في نحورهم...»** إلخ. وفي الحديث: **«إذا أتيت سلطاناً مُهاباً، تخافُ أن يسطو عليك فقل: الله أكبر، الله أكبر، اللَّهُ أعزُّ من خلقه جميعاً، الله أعزُّ وأكبرُ مما أخاف وأحذر، والحمد لله رب العالمين»**[٥].

وإن أردت ثبات القلب على الدين فادعُ بما أُسندَ مرفوعاً أنه كان من دعائه ﷺ: **«اللهم ثبّت قلبي على دينك»**[٦]. وفي روايةٍ **«يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي على دينك»**[٧]. اهـ.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤١٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ٩)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٣٣١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في (السنن ١٥٣٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٤١٥)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٣٢٨)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٤٤١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٠٠٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠٥)، والنووي في (الأذكار النووية ١١٤، ٢٠٢).

(٣) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة ٢/ ٢١٦).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٠٦، ٤٥٦)، والحاكم في (المستدرك ١/ ٥٠٨، ٣/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/ ١٩٦، ٢٧٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٠٠، ٣٤٣٩، ٣٨٦٧، ٣٨٦٨، ٣٩٠٧، ٤٩٩٢، ٤٩٩٣، ٤٩٩٦، ٥٠٠٥، ٢١٥٣٦، ٢٨٥١٩)، وابن المبارك في (الزهد ٧٧، ٨٨)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٣٥٧)، وابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٥٩٧)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٧/ ٢٣٠)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢٨٠)، والنسائي في (تهذيب خصائص علي ١٩).

(٥) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٣٨٣٤).

(٧) أخرجه الترمذي في (السنن ٢١٤، ٣٥٢٢، ٣٥٨٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١١٢، ٢٥٧، ٦/ ٩١، ٢٥١، ٢٩٤، ٣١٥)، والحاكم في (المستدرك ٢/ ٢٨٨، ٢٨٩)، =

توفي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه سنة ستٍّ وخمسين وست مئة، وهو قاصد الحجَّ في شهر رمضان، ودفن بصحراء عَيْذاب بحميثرا من الصَّعيد، وكان ماؤها أُجاجاً[١] فعذب.

ومن كراماته زيادة على ما سبق، ما نقله ابن بطوطة في «رحلته»، قال: أخبرني الشيخ ياقوت العرشي عن شيخه الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه: أنَّ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يحجُّ كلَّ سنةٍ، فلمَّا كان في آخر سنةٍ خرجَ فيها، قال لخادمه: استصحب فأساً وقفةً[٢] وحنوطاً[٣]. فقال له الخادم: لماذا يا سيدي؟ فقال: في حميثرا سوف ترى. وحميثرا بصعيد مصر في صحراء عيذاب، فلما بلغ حميثرا اغتسلَ الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وصلّى ركعتين، فقبضه الله تعالى في آخر سجدةٍ من صلاته، ودُفن هناك.

قال: وقد زرت قبره، وعليه قبَّةٌ مكتوب عليها نسبه إلى الحُسين رضي الله عنه كذا بالنسخة التي بيدي، وهو مخالفٌ لما مرَّ من أن نسبه ينتهي إلى الحسن، ومن حفظَ حجَّةٌ، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وفي «سلوة الأنفاس» في ترجمة الشيخ الإمام الفرد الهمام السيِّد الجليل الفاضل أبي حفص سيدنا ومولانا عمر ابن سيدنا ومولانا إدريس الأزهر ابن سيدنا ومولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه ما نصُّه: وكفاه ـ يعني سيدنا ومولانا عمر رضي الله عنه ـ فضلاً وفخراً وشرفاً وذكراً، أنَّ من ذرّيته الشيخَ الإمام مفتي الإسلام القطبَ الشهير، والغوث الكبير، شيخَ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة،

= والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٢٣٤، ٧/ ٣٧٥)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/ ٣٦، ٣٧، ٢٠٩، ٢١٠، ١١/ ٣٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٨٢، ١٦٨٤، ١٦٨٧، ١٦٩٤، ٣٧٢٧، ١٨٠١٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٤٤)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١٠/ ١٥)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ١٠١، ١٠٣، ١٠٤)، وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٣٧٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٣٠٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٢١٠، ١٠/ ١٧٦)، وابن حجر في (المطالب العالية ٤٦٢، ٤٩٤٠)، والبغوي في (شرح السنة ١/ ١٦٥، ١٦٦)، وابن الجوزي في (زاد المسير ٣/ ٣٤٠)، والنووي في (الأذكار النووية ٣٤٩)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٥٢)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ١٣، ٣/ ٥٧٥)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ٢٠)، والطبري في (التفسير ٣/ ١٢٥)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٥)، وابن أبي شيبة في (الإيمان ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨).

(١) الأُجاجُ: الشديد الملوحة أو المرارة.

(٢) القُفَّةُ: وعاءٌ ذو مقبضين من ورق النخل أو نحوه.

(٣) الحَنُوطُ: كُلُّ طيب يُخلط للميت.

تقي الدين أبا الحسن سيدي عليَّ بن عبد الله بن عبد الجبار الغِماري المالكي الشاذلي العيذابي رضي الله عنه، على ما هو التحقيق في نسبه، حسبما حرَّره الأستاذُ القصار، والإمام الأقصرائي في كتابه «نفحات الصفا»، وصاحب «النبذة المفيدة» قبلهما، وهو تقيُّ الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبطُ الإمام الشاذلي المذكور.

وما عند ابن عطاء الله في «لطائف المنن» وتبعه البوصيري في «داليته» وغيره من رفع نسبه من طريق محمد بن الحسن السبط غلطٌ واضح، نبَّه عليه القصار، وغيره، لأنَّ محمداً هذا لم يعقب كما نصَّ عليه ابن حزم في «فهرسته» وغيره، وكذا ما في شرح «**المواهب**» من أنه من ذرِّية محمد ابن الحنفية لا يصحُّ أيضاً، وفي «الروضة المقصودة» للشيخ أبي الربيع مولانا سليمان بنِ محمد الحَوّات[1] رحمه الله ما نصُّه: والقطبُ الشاذلي رضي الله عنه ينتهي نسبُه إلى مولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنه من طريق ولده عمر دفين جامع الشرفاء من فاس مع أبيه، حسبما حرَّره الشيخ النَّظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصَّار القيسي الغرناطي ثم الفاسي، نقلاً عن «النبذة المختصرة المفيدة» لسبط القطب الشاذلي رضي الله عنه اهـ.

ورفعُ نسبه رضي الله عنه على ما هو التحقيق هكذا: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف ـ وقيل ثقيف موضع يوسف ـ ابن يوشع بن ورد بن علي المكني بأبي طالب ـ وقيل بطال بدل علي ـ ابن أحمد بن محمد بن عيسى ـ المكني بأبي العيش ـ ابن يحيى بن إدريس الثالث بن عمر المخاضي ـ نسبه لسكناه بالمخاض ظاهر طنجة ـ ابن إدريس المثنى ابن إدريس الأكبر ابن عبد الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

منشؤه رضي الله عنه

منشؤه رضي الله عنه بالمغرب ببني زرويل من الأخماس قرب شفشاون،

---

(١) الحَوّات (١١٦٠ ـ ١٢٣١هـ = ١٧٤٧ ـ ١٨١٦م).
سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني الفاسي الشهير بالحوات. أديب له اشتغال بالتاريخ من أهل المغرب. ولد بشفشاون وسكن وتوفي بفاس وانقرض عقبه. من كتبه «البدور الضاوية» في التعريف بأهل الزاوية الدلائية، مجلد ضخم، و«قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون» يعني الدباغية، و«ثمرة أنسي في التعريف بنفسي» و«الروضة المقصودة في مآثر بني سودة» وغير ذلك وولي نقابة الأشراف بفاس إلى أن توفي عن نحو ٧٠ عاماً.
الأعلام ٣/ ١٣٣، واليواقيت الثمينة ١٥٨، وشجرة النور ٣٧٩، وسلوة الأنفاس ٣/ ١١٦.

ومبدأ ظهوره بشاذلة قرية من قرى إفريقية قرب تونس، سكنها مدَّة وإليها نُسب، ونزل الإسكندرية، وحجَّ مراراً، ومات بصحراء عَيْذاب قاصداً الحج، فدفن هناك بحميثرا من الصحراء المذكورة. وذلك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة، وكانت ولادته على الصحيح ببلاد غمارة سنة إحدى وسبعين وخمس مئة على ما ذكره بعضهم، وقيل: بل إنَّما كانت بعد التسعين وخمس مئة.

وأشهر الطُّرقِ بالمشرق والمغرب طريقتُهُ، وله طريقتان: طريقةُ تبرُّكٍ أخذها عن الشيخ الولي سيدي محمد بن حِرازم ابن الأستاذ أبي الحسن علي بن حِرازم. وطريقةُ إِرادةٍ وهي التي أخذها عن الأستاذ القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، واشتملت طريقتُه على السُّلوك، والجذب، والمُجاهدة، والعناية، والأدب، والقرب، والرعاية، وتشيدت بالعلمين الظاهرِ والباطن من سائر أطرافها، وقرنت بصفات الكمال شريعةً وحقيقةً من جميع أكنافها.

وقد نقل الأستاذ زرُّوق عن بعض المشايخ من أهل الورع أنَّه كان يقول: للحالف أن يحلف ولا يستثني على أنَّ طريقَ الشاذلية عليها كانت بواطنُ الصحابة رضي الله عنهم.

وللبوصيري رحمه الله:

إنَّ الإمـامَ الشَّـاذلـيَّ طـريـقُـهُ ... في الفضلِ واضحةٌ لعينِ المُقتدي
فـانـقـلْ ولـو قَـدَماً عـلـى آثـاره ... فـإذا فـعـلْـتَ فـذاك أَخـذٌ بـالـيـدِ

وأحواله ومناقبه أفردت بالتآليف اهـ.

قلت: والتآليف في التعريف بالأستاذ سيدنا ومولانا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه استقلالاً كثيراً منها: «لطائف المنن» لابن عطاء الله رضي الله عنه، و«المفاخر العلية» لابن عياد رضي الله عنه، و«الأذكار العلية والأسرار الشاذلية» له أيضاً، و«درة الأسرار وتحفة الأبرار فيما للأستاذ الولي العارف المحقق الصديق القطب الغوث أبي الحسن علي، من الأحوال والمقامات والخوارق والكرامات والدعوات والأذكار» للعالم الجليل أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم الحُميدي المعروف بابن الصباغ رضي الله عنه، وغير ذلك من التآليف فيه وفي أسرار طريقه ووجوه فضيلتها، جعلنا الله من أهلها.

وقد وقفت على تأليف عجيبٍ للأستاذ الإمام الجِهبذ الهُمام[1] العارف الرباني والولي الصَّمداني القدوةِ الأمجد، المربّي الأوحد، المرحوم بكرم الله أبي

---

(١) الهُمامُ: السيد الشجاع السخي.

عبد الله سيدي محمدِ بن محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن عقبة المدغري الحاجي قبيلةً الفاسي الشاذلي طريقةً، المدني خرقةً وإرادةً، رضي الله عنه ونفعنا به، ذكر فيه خمسةً وعشرين وجهاً من الوجوه التي فضلت بها الطريقُ الشاذلية غيَرها من الطُّرق، ولنتمِّمَ الفائدة بذكرها هنا تقويةً وتنشيطاً لقلوب السالكين، وترقيةً لهمم الإخوان الصادقين.

غيرَ أنِّي أذكر مختصرَها برمَّته نصاً، ومطوَّلَها مختصراً أو بالمعنى تقريباً وتسهيلاً وتبشيراً، وأُشير إلى ما اندمجَ فيه ـ أعني المطوَّلَ من المباحث الرفيعة ـ تنبيهاً لمن أرادَ مُراجعتها فيه، وعلى الله الكمال، وإليه المرجعُ في الحال والمآل.

فنقول مستعيناً بالله الكريم المِفضال، وعطفةِ سيد الأرسال صلى الله عليه وآله وسلم عددَ ما وسعه علمُ الله الكبير المُتعال:

الوجه الأول: أنهم مُختارون من اللَّوح المحفوظ.

الثاني: أنَّ مجذوبَهم يرجع إلى الصحو.

الثالث: أنَّ القطب لا يكون إلّا منهم.

الرابع: أنَّهم مأمونون من السَّلب.

الخامس: أنَّ المُريد إذا أتاهم يلقِّنونه الاسمَ الأعظم؛ لأنه للتعلق، وهو اسمُ الذات، ولذلك يقال لهم الذاتيون، وهذا الاسمُ مخصوصٌ بهم، وإذا ما أُطلق عند القوم فالمُرادُ بهم أهل الطريقة الشاذلية.

السادس: أنَّ شيخَ التربية لا ينقطع من طريقهم إلى يوم القيامة.

السابع: أنَّ الولي لا تكملُ ولايته إلا إذا ختَمَ بالطريق الشاذلية.

الثامن: أنَّ بواطنهم منطويةٌ على ما كانت منطوية عليه بواطن الصحابة رضي الله عنهم من التوحيد الخالص الذي هو توحيدُ الأنبياء والرُّسل عليهم السلام.

التاسع: أنّ المبتدئ إذا دخلَ طريقهم بصدقِ طويةٍ، وحسنِ سريرةٍ، يجتمع من أول وهلة[1] بالنبي ﷺ يقظةً، وتدوم معه إلى أن يحصل له الوصول، ويتمكّن فيه، فحينئذٍ لا يُفارقُه النبي ﷺ أبداً، ثم ساق مقالةَ الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وهي: والله لو غابَ عنّي رسول الله ﷺ طرفةَ عين، ما عددتُ نفسي من المسلمين.

وذكر أنَّ سيدي أبا العباس المُرسي، وسيدي أحمد بن عطاء الله، وسيدي

(١) الوَهْلَةُ: الفَزْعةُ، يقال: رأيته أول وهلة؛ أي: أول شيء.

علي وفا، ووالده سيدي محمداً بحر الصفا، وسيدي داود الباخلي، وسيدي أحمد زرّوق، وأستاذ شيوخنا سيدنا ومولانا العربي الدرقوي، وتلميذه الأستاذ سيدي محمد بن حمزة ظافراً المدني قدّس الله أرواحهم الطاهرة، وأسرارَهم العزيزة، كلُّهم قالوا مثل مقالة الإمام الشاذلي رضي الله عنهم، وعنهم.

قال: وهذا خاصٌّ بأهل الطريقة الشاذلية، وإن كان غيرُهم من أهل الطُّرق لهم الاجتماع به ﷺ، لكن لم ينخرقِ الحجاب بينهم وبينه مثلَ ما انخرقَ لأهل الطريقة الشاذلية رضي الله عنهم، وثبتنا على منهجهم القويم.

العاشر: شهادةُ من عاصر الإمام الشاذلي رضي الله عنه من سلاطين العلماء، وسادات العصر الأعيان الفضلاء، كالأستاذ عزِّ الدين بن عبد السلام، والإمام القسطلاني، وابن دقيق العيد، والمُنذري، وشمس الدين الأصفهاني، وتقيِّ الدين السُّبكي، وابن سراقة، وابن عُصفور بولايته وخصوصيته وظهوره بالحقِّ المُبين، وكلُّهم أخذوا عنه العهودَ والأوراد، وكانوا يحضرون معه في مجالسه الذِّكر والسماع، ويتبرَّكون بدروسه التفسيرية والحديثية في المدرسة الكاملية بمحروسة مصر.

وذَكرَ أنَّ جماعةً من أولياء وقته، وعلماء زمانه أيضاً، وكذا من أتى بعدهم من أهلِ المشرق والمغرب مدحوا طريقَه المباركة نظماً ونثراً، وسردَ جملةً منهم، وذكر بعض ما لهم في ذلك رضي الله عنهم.

الحادي عشر: أنَّ أهل الديوان رضي الله عنهم وجعلنا منهم كلُّهم شاذلية، ولا يدخل أحدٌ من أهل الدائرة والعدد للديوان إلا إذا تشذَّلَ، وإن بلغَ الولاية في طريق غيرها. فإذا دخل الدِّيوان أخذَ الطريقة الشاذلية عن الغوث، لأنَّها أمانٌ للولي من السلب وسوءِ الخاتمة، والعياذ بالله.

الثاني عشر: أنَّ المريد إذا دخلَ الطريقة الشاذلية صادقاً مخلصاً قاطعاً للعوائق والعلائق، حصل له الفتحُ في أقربِ وقتٍ وأسرع مدة، لأنها طريقة الاجتباء. قال الله تعالى؛ ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] وإن كانت بدايتها إنابة، ونهايتها اجتباء.

الثالث عشر: أنَّ الطريق الشاذلية طريقةُ التربية بالهمَّة والحال والمقال، ثم ساقَ ما يشهدُ لهذا الموضوع من كلام الله تعالى، وكلامِ أهل التواضع والفتحِ والخشوع.

الرابع عشر: أنَّهم جامعون بين الشريعة والحقيقة، ظواهرهم معمورةٌ بالمتابعة في الماضي والآت، وبواطنُهم مستنيرةٌ بمشاهدة أنوار الذات، وأنَّهم لا

يحجبون بجمعٍ ولا فرقٍ، يعطون كل ذي حقٍّ حقَّه، ويوفون كلَّ ذي قسطٍ قسطه، وهذه حالة كُمَّلِ العارفين رضي الله عنهم، وجعلنا منهم آمين.

الخامس عشر: أنَّ علومهم مؤيَّدة بالكتاب والسنة.

السادس عشر: أنَّ إمامها الأكبر سيدي أبا الحسنِ الشاذلي رضي الله عنه كان هيكلاً ذاتياً، ولطيفة ربانية، وأنه وكذا جميع من اتَّصل بسند طريقه إلى قيام الساعة، كلُّهم ذاتيون، وأنه لا تطلق هذه النسبة على غيرهم من أرباب الأحوال المجاذيب وأهل الشطحات[١]، ولو ظهرتْ منهم الخوارقُ بكثرةٍ، فإنهم من عامَّة الأولياء الصفاتيين، لا من خواصِّهم الذاتيين، وبين معنى الذاتيين والصفاتيين بما يسرُّ البال، فراجعه تحظَ بكلِّ نوال، وتَطربْ في الحال والمآل.

السابع عشر: أنَّ الإمام المهدي الذي يكون آخرَ الزمان رتبتُه في الولاية كرتبةِ سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما. لأنه خليفةُ الله، وهيكلُ ذاته لطيفةٌ إلهية، وذاتٌ صمدية. ثم علل ذلك رضي الله عنه بما يُثلج[٢] الصدر.

الثامن عشر: أنه لم يثبت عن أحدٍ من مشايخ الشاذلية انجذابُ أَحدٍ من مريديهم حتى غاب عن إحساسه، وفني عن عالم جنسه، حتى هتكَ أسرار الحقيقة، وتفوَّهَ بما نهت عن إظهاره الشريعة، إذ لا يصدرُ هذا إلا من ضعفِ المُشاهدة، إمَّا من الأستاذِ حيث زقَّهُ بما لا يطيقه، لعدم تمكنه، وإمَّا لضعف استعداد التلميذ، وفتورِ مجاهدته، أو وقوفه مع شهوته، وبسط الكلام في هذا الموضوع بما يُسرُّ أهلَ الخشوع.

التاسع عشر: أنه لا تُطلق سلسلة الذهب عند أهل الله إلا على أهل الطريقة الشاذلية؛ لأنها مسلسلةٌ بالأقطاب، ومُعنعنةٌ بهم.

العشرون: أنهم لا يخفون أنفسَهم ولا ولايتهم، ثم علَّل ذلك رضي الله عنه بما يسرُّ البالَ بحول الله الكبير المتعال.

الحادي والعشرون: أن الطريقة الشاذلية طريقةُ الغنى بالله والفقر إلى الله ورفض ما سواه، ثم بسط الكلامَ على هذا الموضوع وبين أسرارَ تخلّيهم رضي الله عنهم عن الدنيا القاطعة عن الله، وذكر سندَهم في لبس الخرقة[٣] والمرقعة[٤]، وبعضَ الأكابر من السلف والخلف الذين لبسوها، وسرد جماعةً من تلاميذ الشيخ

---

(١) شطح في السير أو في القول شطحاً: تباعد واسترسل.
(٢) ثلج صدره بكذا: انشرح.
(٣) الخِرْقَةُ: القطعة من الثوب الممزق (ج) خِرق.
(٤) المرقَّعةُ: من لباس الصوفية، سميت بذلك لما فيها من الرُّقع.

الأكبر مولانا العربي الدرقوي الذين كانوا يُلبسونها ويَلبسونها رضي الله عنهم، وأكرمنا بما به أكرمهم بمنِّه آمين.

وذكر أن كثرتهم ـ نفعنا الله بهم ـ بلغت حداً لا يدخلُ تحت حصرٍ، وجلُّهم علماءُ فضلاء. ثم ذكر سببَ كثرتهم وانتشارهم في الوجود شرقاً وغرباً، بدواً وحضراً، وبيَّنَ بعضَ أحوالهم في التوكُّل على الله، وما أنتجه لهم من كمال الراحة الحسِّية والمعنوية، ومقصود الأكابر المشايخ باجتماع المريدين عليهم بياناً يقضي بكمال الفتح، والتيسير في الحس والمعنى، في المقام والمسير.

الثاني والعشرون: أنّ القطب الكامل مولانا عبد السلام بن مَشيش رضي الله عنه ضمنَ له النبي ﷺ أنّ طريقَه لا ينقطع منها شيخُ التربية إلى يوم القيامة، ثم استدلَّ على ذلك بدلائلَ قطعية، لا مُتكلَّمَ فيها عند أهل النهى.

وبيَّن بعضَ أحوال أهل هذه الطريقة المباركة في كمالِ التراحم والتناصح في الله، وما هم عليه من كمالِ الغضِّ والصفح، والاعتناء بإصلاح بواطنهم التي هي بيتُ القصيد بإجماع أهل الرأي السديد.

الثالث والعشرون: أنّهم يعاملون أعداءهم بما يعاملون به أحبابهم من مكارم الأخلاق، والسرُّ في ذلك.

الرابع والعشرون: انتشارُ رجالِ هذه الطريقة في الأرض انتشارَ الشمس في الطول والعرض، وانتفاعُ الوجودِ بأذكارهم ومذاكراتهم، والتوسُّلِ بإمامها إلى الله تعالى في قضاء الحوائج والمُهمات في الماضي والآت، وأنَّ أهل المحشر يزدحمون يومَ القيامة على الطريقة الشاذلية، جعلنا الله منهم.

الخامس والعشرون: الجوابُ عن كون أهل هذه الطريقة المباركة المحمدية مختارين من اللوح المحفوظ، وهل ذلك كان في عالم الأشباحِ أو في عالم الأرواح؟ ولماذا لا يكون القطب إلا منهم دائماً؟ وبسط الكلام رضي الله عنه في أسرارِ هذا الموضوع، وبيَّن أنّ الأستاذ الحيَّ لا بدَّ لكلِّ أحدٍ منه، وإن بلغ ما بلغ، وأنه لا يصحُّ الاكتفاء بالأموات في طلب الوصول، لأن الولادة المعنوية كالولادة الحسية. وذكر ما يؤيِّدهُ ذلك نقلاً وعقلاً، وسنده في الطريق. ووفاة أستاذ شيوخنا مولانا العربي الدرقوي رضي الله عنه ورحمه، وسنده في الطريق، وذكر أيضاً أنَّ الأستاذ الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه سمع هاتفاً يُنوّه بالأستاذ مولانا عبد السلام بن مَشيش يومَ ولادته، وأنّه مشى إليه من طريق الطي يومها، ومسح عليه، ودعا له رضي الله عنه، وأن سيدَنا ومولانا عبدَ السلام ابن مَشيش

أستاذُ الأقطاب الثلاثة: سيدي أبي الحسن الشاذلي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي أحمد البدوي رضي الله عنهم، وذكر أيضاً السرَّ في اختصاص هذه الطائفة بالقطبانية الكبرى دون غيرها من الطرق.

ثم ختم رضي الله عنه بأسرارٍ عجيبة، وفوائدَ غريبةٍ، فعليكم بما بسطه فيها يا أهل الفتح تظفروا بكل خيرٍ وربح، جزاه الله خيراً، وكافاه بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ بمنّه وكرمه آمين.

٢

سيدي عبد السلام بن مشيش[١]

(... ـ ٦٢٢)

قطبُ دائرة المحققين، أستاذُ أهل المشارق والمغارب، وسندُ الواصلين إلى أنجح المطالب، سيدنا ومولانا عبد السلام ابن سيدنا مَشيش ابن سيدنا أبي بكر الحسني الإدريسي.

كان رضي الله عنه قطبَ الوجود، وبقية أهل الشهود، الغوث الفرد، الجامع لأسرار المعاني، غوث الأمة، وسراج الملّة، صاحب العلوم اللدنية، والمعارف الربانية، الجامع بين علم الشريعة والحقيقة[٢]، لم تطلع الشمسُ على مثله في زمنه.

له كراماتٌ وخوارق لا تدخل تحت حصرٍ، منها: أنه يوم ولادته سمع سيدي عبدُ القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا به آمين، هاتفاً يقول: يا عبد القادر، ارفع رجلك عن أهل المغرب، فإنَّ قطبَ المغرب قد ولد في هذا اليوم، فتمشّى

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٩، ومخطوطات الرباط ٢/ ١٩٥، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ٦٩، وطبقات الشاذلية ٥٨، وشرح محمد بن علي الخروبي للصلاة المشيشية في خزانة الرباط (د٢٤٥)، ومعجم المطبوعات ١٥٥٣، ومرآة المحاسن ١٨٧، والنبوغ المغربي الطبعة الثانية ١/ ١٥١، وشوارق الأنوار.

قيل في هامش الأعلام: قلت: في اسم أبيه خلاف قيل: هو بشيش، واشتهر بمشيش، وقيل: سليمان الملقب بمشيش. وفي سنة وفاته روايات: سنة ٦٢٢، ٦٢٥، والأول أشهر. وفي فهرس دار الكتب المصرية ٨/ ١٦٥ ذكر رسالة منسوبة إليه: «شجرة الشرف» ٥٥ ورقة في السلالة النبوية جاء خطأ أنه فرغ من تأليفها سنة ١١٣٦ فإن صح أنها له فالتاريخ لكتابتها لا لتأليفها. وقال الخروبي في «شرح تصلية ابن مشيش» هو أبو محمد، عبد السلام بن مشيش ويقال: بشيش، وكان بعض من لقينا من الأشياخ يقول: مشيّش بتشديد الشين.

(٢) انظر حديث القشيري عن الشريعة والحقيقة برسالته ص٨٢ ـ ٨٣.

الأستاذ عبد القادر إلى جبل الأعلام بالمغرب، حيث مولد سيدي عبد السلام، وأتى إلى أبيه سيدي مَشيش، وقال له: أخرجْ لي ولدك. فخرّجَ له أحدَ أولاده، فقال له: ما هذا أريد. فأخرج له أولادَه كلَّهم، وقال له: ما بقي إلا ولدٌ واحد ولد في هذا اليوم. فقال له سيدي عبد القادر: عليَّ به؛ فهو الذي أُريده. فأخرجه سيدي مَشيش، فأخذه سيدي عبد القادر، ومسحَ عليه، ودعا له.

وكان رضي الله عنه إذا أهلَّ هلال رمضان يمتنعُ عن ثدي أمه، فإذا أذَّنَ المغربُ قاربه، وارتضع منه.

ويكفيك في فضله أنّه أستاذُ الأقطاب الثلاثة: سيدي إبراهيم الدُسوقي، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي أبي الحسن الشاذلي رحمهم الله.

توفي رضي الله عنه شهيداً قتله ابن أبي الطواجن، ودفن بموضعه بجبل الأعلام بثغر تطوان، وبُني عليه مقامٌ، وضريحٌ، وقبة قصيرة.

ومقامُه من الأماكن التي يُستجاب عندها الدعاء، وهذا ممَّا لا شكَّ فيه، وقد جرَّب ذلك غيرُ واحدٍ، ومقامه في أرضِ المغرب، كمقام الشافعيِّ بمصر، وفيه يقول القائل:

اطلبْ بسرِّ ابن مَشيش ما تُريد تَنَلْه وإن كان عنكَ بعيد

وكان رضي الله عنه يقول: من زارَ قبري حرَّم اللَّهُ جسده على النار.

اللهم انفعنا بمحبَّته، وأمتنا على حبّه وأثره آمين.

٣

سيدي عبد الرحمن الزيّات

(. . . ـ القرن الخامس)

شيخ مولانا عبد السلام بن مَشيش العارفُ الرباني، والغوث الصمداني، الشريف سيدي عبد الرحمن المدني العطَّار، الملقب بالزيَّات، لسكناه بحارة الزيَّاتين بالمدينة المنورة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وكان رضي الله عنه من أكابرِ أولياء الله تعالى، وكان من رجالِ الغيب، وكان غوثاً كاملاً، فرداً جامعاً، أتى إلى مولانا عبد السلام بن مَشيش لمَّا وقعَ له الجذب، وهو ابن سبع سنين، فدخلَ عليه، وهو عليه سيما أهل الله، فقال له: أنا شيخك. وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاماً مقامْ، وقال له: أنا واسطتك في كلِّ حالٍ ومقامْ.

وقد سُئل بعد ذلك سيدي عبدُ السلام: هل كنت تأتيه أو يأتيك؟ قال: كلٌّ ذلك كان. قيل له: طياً أو نشراً؟ فقال: طياً.

توفي رضي الله عنه بالمدينة في القرن الخامس.

وأما شيخُه الذي أخذَ عنه فهو القطب الرباني، والعارف بالله الصمداني، غوثُ الزمان، ووسيلة أهل العرفان، من أقامه الله في أحواله مسير القطب سيدي تقي الدين الفقير النهروندي الواسطي العراقي المتوفّى ببلدته نهروند من أعمال واسط بالعراق، سنة أربع وتسعين وخمس مئة.

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين، صحبَ سيدي أبا العلمين أحمد الرفاعي رضي الله عنه، ولبس منه خرقةَ التصوف، ومدحه بقصيدةٍ مباركة، وكان ممَّن صحبه في حجِّه الذي وقعت له فيه منقبة مدِّ اليد المشهورة، وهو من أحدِ شهود تلك الواقعة الميمونة، ولزم صحبته زمناً، حتى شملته عين عنايته بالقبول، أمدنا الله بمددهم آمين.

٤

سيدي أبو العباس المرسي[١]

(... ـ ٦٨٦)

إمام دائرة المحققين، قطب الأصفياء، وسُكُردان[٢] الأولياء، أحدُ صدور المقرّبين، صاحبُ الكرامات الظاهرة، والمآثر العالية الزاهرة، القدوة المحقِّقُ سيدي أبو العباس أحمد المُرسي الأنصاري الشاذلي رضي الله عنه، ونفعنا بعلومه آمين.

كان رضي الله عنه من أكابر العارفين، لم يرثْ علمَ الشاذلي رضي الله عنه غيرُه، وهو أجلُّ من أخذ عنه الطريق، ولم يضع رضي الله عنه كتباً. وكان يقول: علومُ هذه الطائفة علومُ تحقيق، وعلومُ التَّحقيق لا تسعها عقول عموم الخلق. وكذلك شيخُه أبو الحسن الشاذلي قدّس سرُّه، كان يقول: كُتبي أصحابي.

وقال في حقِّه:

وَوارثُ علمِ الشَّاذليِّ حقيقةً ... وذلك قطبٌ فاعلموه وأوحدُ

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/١٨٦، وفي الرحلة الورثيلانية ١٨٩، وفي طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١١٤.

(٢) السُّكُرْدان: شبه خزانة يُحفظ فيها المشروب والمأكول.

وكان رضي الله عنه يُوصي الأستاذ زكيَّ الدين الأسواني، ويقول له: يا زكي الدين، عليك بأبي العباس، فواللَّهِ ما من وليٍّ إلا وقد أظهره الله عليه، يا زكيُّ، أبو العباس هو الرجل الكامل.

وكان الأستاذُ أبو العباس يقول عن نفسه: واللَّهِ، ما سار الأولياءُ والأبدال من قاف[1] إلى قاف حتى يلقوا واحداً مثلنا، فإذا لقوه كان يغنيهم.

وكان رضي الله عنه يتحدَّثُ في سائر العلوم، ويقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يُشاركونا فيما نحن فيه.

وكان في المعارف والأسرار قطبَ رحاها، وشمس ضحاها، تقول إذا سمعت كلامه: هذا كلام مَنْ ليس وطنه إلا غيب الله، هو بأخبار أهل السماء أعلمُ منه بأخبار أهل الأرض.

وكان لا يتحدَّثُ إلا في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشعبه الأربع، والأسماء، والحروف، ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين والأملاك والمقربين من العرش، وعلوم الأسرار، وإمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة، وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلوم الإفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده.

وكان يقول: واللَّهِ، لولا ضعفُ العقول لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله.

وكان يُمسك بلحيته ويقول: لو علم علماءُ العراق والشام ما تحت هذه الشعرات، لأتوها ولو سعياً على وجوههم.

وكان يقول لي: أربعون سنة ما حُجبتُ عن رسول الله ﷺ طرفةَ عين، ولو حُجبت طرفةَ عين ما عددت نفسي من المسلمين.

وبلغ رضي الله عنه من زهده أنه مكثَ بالإسكندرية ستاً وثلاثين سنةً ما رأى وجهَ مُتولّيها ولا أرسلَ إليه، وطلبه المتولي يوماً للاجتماع به، فأبى، وقال: والله،

---

(١) قافٌ: مذكور في القرآن ذهب المفسرون إلى أنه الجبل المحيط بالأرض، قالوا: وهو من زبرجدة خضراء وإن خضرة السماء من خضرته، قالوا: وأصله من الخضرة التي فوقه وإن جبل قاف عِرْقٌ منها، قالوا: وأصول الجبال كلها من عرق جبل قاف، ذكر بعضهم أن بينه وبين السماء مقدار قامة رجل، وقيل: بل السماء مطبقة عليه، وزعم بعضهم أن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى، ومنهم من زعم أن ما وراء معدود من الآخرة ومن حكمها، وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وهو الستار لها عن الأرض، وتسميه القدماء البرز، (معجم البلدان ٤/ ٢٩٨).

إني ألقى الله ولا أراه. فكان الأمر كذلك، وكانت تأتيه الأمراءُ والملوك لتزوره، فكان يغلبُ عليه القبضُ، ولا ينبسط في مجلسهم.

وكان رضي الله عنه يقول: والله ما دخلَ بطني حرامٌ قط. وكان له ستون عرقاً تضرب إذا مدَّ يده إلى شبهة، وكان النور يتلألأ في أصابعه.

وأُعطي رضي الله عنه النُّطقَ بسائر اللغات والألسن.

وكان ساكناً خط المقسم بالقاهرة، فكان كلَّ ليلةٍ يأتي الإسكندرية، فيسمعُ ميعاد الأستاذ أبي الحسن، ثم يرجع إلى القاهرة.

وكان رحمه الله يقول: أطلعني الله على الملائكة ساجدةً لآدم عليه السلام فأخذت بقسطي من ذلك، فإذا أنا أقول:

ذابَ رسمي وصحَّ صدقُ فنائي ... وتجلَّتْ للسرِّ شمسُ سمائي
وتنزَّلت في العوالم أُبدي ... ما انطوى في الصفاتِ بعد صفائي

وله رحمه الله كلامٌ كثير من هذا القبيل مبسوط في «لطائف المنن» اللهم مدَّنا وأحبتنا بمدده، وانفعنا ببركاته آمين.

وكانت وفاته رحمه الله سنة ست وثمانين وست مئة، ودفن بمسجده بالإسكندرية، ومقامه رحمه الله مشهورٌ بين أهل مصر بأسرها، يعرفُهُ الكبير والصغير، ويتوسَّلُ به إلى الله الأميرُ والفقير، اللهم انفعنا به آمين.

٥

أبو الحسن الشُّشْتري(١)

(... ـ ٦٦٨)

العالم والوزير، والأستاذ الجليل الكبير، وسلطان الواصلين، الإمام الأوّاه سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله الشُّشتري الأندلسي المغربي الشاذلي.

كان رحمه الله من أبناء الملوك، فأبوه كان أميراً بقرية شُشتر من عمل وادي آش، فجذبه الحقُّ إليه، فخلع ما كان عليه من لبس الأمراء، وارتدى ملابس الفقراء.

وصحب الأستاذ ابن سَبْعين رحمه الله، وجاء إليه، وقال له: مُرادي دخولُ الطريق، ومشاهدة أسرار القوم. فقال له: حتى تبيع متاعك، وتخلعَ ثيابك،

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/٣٠٥، ونفح الطيب ١/٤١٦، والفهرس التمهيدي ٣٠٢، وعنوان الدراية ١٤٠ ـ ١٤٣، وشعر الظاهرية ١٧٠، ١٧١.

وتلبس قشابة[١]، وتأخذ بنديراً، وتدخل في السوق تفعل ذلك اليوم. ففعل جميع ذلك، ولبس القشابة، ومسك العصا، وأخذ البندير، ودار في الأسواق، وصار يدخل السُّوقَ أمام حوانيت التجار، ويضرب بالبندير، ويقول: بدأت بذكر الحبيب. فبقي ثلاثة أيام، وخُرقت له الحجب، فشاهدَ العجب، فجعل يُغنّي في الأسواق:

شُـويِّـخ مـن أرضِ مِـكْـنـاس	فـي وسـطِ الأسـواق يـغـنـي
أش عـلـيَّ نـا مـن الـنـاس	وأش عـلـى الـنَّـاس مـنّـي
أش حـدّ مـن حـدّ	افـهـمـوا ذي الإشـاره
وانـظـروا كـبـر سـنـي	والـعـصـا والـغـراره[٢]
هـكـذا عـشـت بـفـاس	أش عـلـيّ نـا مـن الـنـاس

وأش عـلـى الـنـاس مـنـي

وما أحسن كلامه إذا يخطر في الأسواق:

وتـرى أهـل الـحـوانـت	تـلـتـفـت لـو بـالأعـنـاق
بـالـغـرارة فـي عـنـقـو	بـعـكـيـكـز وبـغـراق
شـيـخ يـبـنـي عـلـى سـاس	كـإنـشـاء الله بـيـتـي
أش عـلـيَّ نـا مـن الـنـاس	وأش عـلـى الـنـاس مـنـي

وله رضي الله عنه ديوانٌ كبير غالبُه في كلام القوم، وأذواقهم، ومقطعات جليلة الشأن. فمن محاسن شعره ومواعظه:

إنْ تُـرِدْ وصْـلَـنـا فـمـوتُـكَ شـرطٌ	لا يَـنَـالُ الـمـوتَ مـا فـيـه فـضـلـةْ
طَـهِّـرِ الـعـيـنِ بـالـمـدامـعِ سَـكْـبـاً	مِـنْ شـهـودِ الـسِّـوى تـزلْ كُـلُّ عِـلّـةْ

وهو يشير قدّس الله سره إلى مقام الفناء.

ومن نظمه في اسم الصدر:

ألـف قـبـل لامـيـن	وهـاءُ قُـرَّةُ الـعـيـن
ألـف أولُ الاسـم	ولامـيـن بـلا جـسـم

إلى آخر المنظومة...

---

(١) القَشِبُ والقَشِيبُ: الجديد والخَلَقُ. وفي الحديث: أنه مرّ وعليه قشبانيتان؛ أي بُردتان خلقان، وقيل: جديدتان. (لسان العرب ١/ ٦٧٤ مادة: قشب).

(٢) الغِرارةُ: كيس كبير من الخيش ونحوه تُوضع فيه الحبوب، وهو أكبر من الجُوالق (ج) غرائر.

ومن مُقطّعاته قدّس سره:

يا قاصداً عينَ الخبر غطاه أينُك
الخمرُ منك والخبر والسرُّ عندك
ارجعْ لذاتك واعتبرْ ما ثمَّ غيرُك

ومقالاته رضي الله عنه مقالاتُ العارفين، ومَواجيد المحبين، وأشعاره كلُّها ذوقٌ وشراب، وأسرار لا يَفهمها إلا أهلُ الأذواق والإشارات، وكراماته رضي الله عنه كثيرة.

ساحَ سياحاتٍ طويلةً، وورد مصر، واستوطن دمياط[1]، وصارَ مُرابطاً بها إلى أن توفي سنة ثمان وستين وست مئة، ودفن برباطه.

وله مقامٌ عظيمٌ يُزار، عليه جلالةٌ عظيمة ومهابة وأنوار، وأهل تلك الناحية يتوسَّلون به إلى الله في قضاء مصالحهم. اللهم أمدّنا وأحبتنا بمدده آمين.

٦

أبو عبد الله السائح

(... ـ ٦٨٤)

سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد المغربي الدمنهوري الشهير بالسائح.

مولده رضي الله عنه بالمغرب، وساحَ طويلاً حتى وصل مكَّةَ، وتولّى بها مشيخة الإقراء في الحرم.

وورد إلى دَمنهور[2] وأقام بها، وأخذَ الطريق عن شيخه سيدي أبي الحسن الشاذلي، وصار خليفتَهُ على فقراء دمنهور، وتبحَّرَ في العلوم، وربّى مُريدين كثيرين.

توفي سنة أربع وثمانين وست مئة، ودفن بزاويته، ومقامُهُ بها مشهور. رضي الله عنه، ونفعنا به آمين.

---

(١) دِمْيَاطُ: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. (معجم البلدان ٢/ ٤٧٢).

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة في الصغر والكبر. (معجم البلدان ٢/ ٤٧٢).

٧

أبو القاسم القبّاري الشاذلي(١)

(. . . ـ ٦٦٢)

العابد الزاهد أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندراني، المعروف بالقباري قدّس الله سره، أحدُ العُبَّاد المشهورين بكثرة الورع، والانقطاع، والمجاهدة.

ولما قدم سيدي أبو الحسن الشاذلي إلى الإسكندرية صار يحضرُ مجالسه، ويسمعُ وعظه ومذاكراته، وأخذَ عنه علومَ الحقائق، وانقاد إليه، وصار من خواصِّ أصحابه، وتلمذَ له جماعةً كثيرين.

وتحكى عنه كراماتٌ كثيرة.

توفي رحمه الله بالإسكندرية سنة اثنتين وستين وست مئة، ودُفن بظاهرها، وله مقامٌ ثَمَّ ظاهرٌ يُزار، له الشهرة التامة عند أهلِ الإسكندرية وغيرها. نفع الله به آمين.

٨

سيدي أحمد البدوي(٢)

(. . . ـ ٦٧٥)

الأستاذ الصالح العارف المجذوب، الشارب في المحبَّة من صافي المشروب، بحرُ الفتوح، وساكن السطوح، ذو السرِّ الممنوح، والكرامات العديدة، والإشارات المديدة، الأستاذ الفتى، ساكن طندتا، من لذكره في الأسحار دوي، أبو العباس سيدي أحمد البدوي، فارسُ الأولياء بالديار المصرية والجزائر القبرصية، المعروف بالأستاذ أبي الفتيان الحسيني النسب، الطاهر الحسب، العلوي الملثَّم، المعتقدُ المعروف المشهور، عُرف بالبدوي لكثرةِ ما كان يتلثَّمُ.

مولده بفاس حرسها الله من كلِّ باس.

وحجَّ أبوه وهو صحبته، فتُوفِّي في مكَّة، فبقي سيدي أحمد وإخوته، فنشأ

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٣٢٣، وفيه محمد بن عيسى القباري، وطبقات الأقطاب، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٣٦ وفيه توفي عام ٦٦٥.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١٧٥، وفي الشعراني ١/ ١٥٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٢ وهو فيه «أبو الفتيان. ويعرف بأبي اللثامين السطوحي» لأنه مكث على السطوح مدة ١٢ سنة.

بمكّة وتربّى بها، وعرض عليه أخوه التزويج فامتنع، ثم حَدَثَ له حالٌ في نفسه، فتغيَّرت أحوالهُ، واعتزل الناس، ولزم الصمت، وكان لا يتكلم إلا بالإشارة، ثم قيل له في منامه: أنْ سِرْ إلى طندتا، وبُشِّرَ بحالٍ يكون له. فسار هو وأخوه الشريف حسن رحمه الله تعالى، فدخلا العراقَ وبغداد، وعاد الشريف حسن إلى مكّة، وتخلَّفَ سيدي أحمد، وسار إلى طندتا مسرعاً إلى دار سيِّد البلد، وصَعِدَ إلى السُّطوح، وصارَ يصيح، ويُكثر في الصياح.

وكان يَطوي أربعين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شراباً، وهو شاخصٌ ببصره إلى السماء.

ومكثَ قدّس الله روحه على السُّطوح اثني عشر عاماً.

وحجَّ وزار جدَّه ﷺ، ولما وقفَ تجاه الروضة المطهَّرة أنشأ يقول:

إنْ قِيلَ زُرتم بما رجعتم ... يا أكرمَ الرُّسل ما نقول

فردَّ عليه المصطفى ﷺ بحضرةِ الشهود:

قولوا رَجعنا بكلِّ خيرٍ ... واجتمع الفرعُ بالأُصول

إلى آخر القصيدة المعروفة المتداولة بين الصوفية.

كانت صفته رضي الله عنه أكحلَ العينين، طويلَ الذِّراعين، كبيرَ الوجه، طويلَ القامة، قمحي اللون، أقنى الأنف(١)، على أن فيه شامتين.

له كراماتٌ مشهورة، شُهرته تغني عن التعريف عنه، وله أصحابٌ كثيرون، وشطحاتٌ ومشاهدات.

توفي رضي الله عنه يوم الثلاثاء اثني عشر ربيع الأول سنة خمسٍ وسبعين وست مئة، ودُفن بمقامه المعلوم. نفع الله به، وأمدّنا بمدده. آمين.

٩

أبو عبد الله الشاطبي(٢)

(... ـ ٦٧٣)

الزاهد العابد نزيلُ الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن سليمان

---

(١) قَنِيَ الأنف قَناً: ارتفع أعلاه واحدودب وسطه وضاق منخراه، فهو أقنىٰ.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ١٥٠ وفيه: محمد بن سليمان بن محمد المعافري توفي سنة ٦٧٢هـ، ونفح الطيب ١/ ٣٩٤، وفي الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٨ توفي سنة ٦٧٣ ودفن بمرج سوار، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ١٩٢.

المعافري الشاذلي المشهور بالشاطبي، أحدُ المشهورين بالعبادة والزهادة.

وكان رضي الله عنه شيخاً كبيراً، جليل الذكر، وله مجاهداتٌ وكرامات تُحكى عنه.

وكان رضي الله عنه ممن يترضّى على سيدي الأستاذ أبي الحسن الشاذلي، فرأى رسول الله ﷺ، وقال له: يا سيدي يا رسول الله، إنّي أترضى على الأستاذ الشاذلي في كلِّ ليلةٍ، فهل في ذلك من شيءٍ؟ فقال له رسول الله ﷺ: أبو الحسن ولدي، والولد جزءٌ من الوالد. فعلم مكانةَ الأستاذ رضي الله عنه، فأخذ عنه، وانقاد إليه، وصار من أجلِّ خلفائه، وقُصد بالزيارة من جميعِ النواحي.

توفي قدس الله سره بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ودُفن بمسجده بالجهة المعروفة به، ومقامه يُزار ويُتبرَّك به. قدّس الله سره. آمين.

١٠

أبو العباس أحمد بن عُجيل[١]

(... ـ ٦٩٠)

الإمامُ العالم الكبير، والقطب العارف الشهير، المُجمع على ولايته وفضله وجلالته وانفراده عن أقرانه، وتميّزه على أهل زمانه الأستاذُ صفي الدين أبو العباس أحمد بن موسى بن عُجَيْل اليمني الشاذلي قدّس سره العالي.

كان رحمه الله منذ طفولته مُشتغلاً بالعلم، مقبلاً على العبادة، منصرفاً إليها، حتى شبَّ وعليه أثر الصلاح.

وكان في أيام بدايته يَخرج من البيت قبل الفجر، وما يَدخله إلا بعد العشاء لكثرة اشتغاله بالعلم والعبادة، والصيام والقيام.

وله كراماتٌ ومكاشفات، وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ.

توفي رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة تسعين وست مئة، ودفن ببلاده بأرض اليمن، ومقامه يُقصد بالزيارة، نفع الله به، آمين.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٣٥ وهو فيه أحمد بن عقيل اليمني.

١١

سيدي إبراهيم الجعبري[(١)]

(... ـ ٦٨٧)

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مِعْضاد بن شدَّاد الجَعْبَري الشاذلي الأستاذُ الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات، كان رحمه الله ممن ظهرَ بالولاية، وكان له اعتقادٌ كبير في قلوب الخواص والعوام، وكان نارَ الله المُوقدة على الظلمة وأرباب الأحكام، وكانوا يخافون بطشه.

وله كلامٌ عالٍ في الأنفاس، ونظمٌ بديعٌ، ومدائحُ وتغزُّلٌ وشكوى، وله ديوانٌ كبير متداول.

توفي رحمه الله في شهر المحرم سنة سبع وثمانين وست مئة. ودفن بزاويته خارج باب النصر من أبواب مصر، ومقامه ظاهر ويزار. رحمه الله، ونفع به، آمين.

١٢

سيدي عمر بن الفارض[(٢)]

(٥٧٦ ـ ٦٣٢)

العارف بالله تعالى سلطان العاشقين، وملاذُ أهل التمكين، ومربّي الفقراء والمريدين، وموصلهم إلى مقامات الإنزال والتمكين، الأستاذ شرف الدين أبو حفص عمر السعدي المحمَّدي الهاشمي المعروف بابن الفارض قدّس الله سره، وأفاض علينا برَّه.

كان رضي الله عنه ونفع به معتدلَ القامة، وجهُهُ جميل حسن، مُشرب بحمرةٍ ظاهرة، وإذا استمعَ وتواجَدَ وغلبَ عليه الحالُ يزداد وجهُهُ جمالاً ونوراً، وينحدر العرقُ من سائر جسده، حتى يسيل تحت قدميه على الأرض.

وكان عليه نورُ حياءٍ وبهجة، وجلالة وهيبة.

وكان إذا مشى في المدينة تزدحمُ الناس عليه، ويلتمسون منه البركةَ

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٥/ ٥٥ ـ ٥٦، وفيه عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ووفيات الأعيان ١/ ٣٨٣، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٦٦، وخطط مبارك ٥/ ٥٩.

والدعاء، ويقصدون تقبيل يده، فلا يمكّن أحداً من ذلك، بل يصافحه، وكانت ثيابه حسنةً، ورائحته طيبة.

وكان إذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكونٌ وهيبة، وسكينة ووقار، وكان يحضر مجلسَه مشايخ الفقهاء والفقراء، وأكابرُ الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس، وهم في غايةِ ما يكون من الأدب معه، والاتضاع له، وإذا خاطبوه فكأنهم يُخاطبون ملكاً عظيماً.

وكان يُنفق على من يزوره نفقةً متّسعةً، ويُعطي من يده عطاء جزيلاً، ولم يكن يتسبَّبُ في تحصيلِ شيءٍ من الدنيا، ولا يقبلُ من أحدٍ شيئاً.

قال ولده سيدي جمال الدين محمد رحمه الله: سمعتُ والدي يقول: كنتُ في أول تجريدي أستأذنُ أبي، وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطَّم[١]، وآوي فيه، وأُقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً، ثم أعودُ إلى والدي لأجل برِّه، ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذٍ خليفةَ الحكم للعزيز بالقاهرة ومصر المحروستين، وكان من أكابر أهلِ العلم والعمل، فيجد سروراً برجوعي إليه، ويُلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكمِ ومَدارس العلم، ثم أشتاقُ إلى التجريد، فأستأذنه، وأعود إلى السياحة، وما برحتُ أفعل ذلك مرةً بعد مرة، إلى أن توفّي والدي، وكان قبلَ وفاته قد اعتزلَ الحكمَ، واعتزل الناس، وانقطعَ للعبادة إلى الله تعالى بقاعةِ الخطابة في الجامع الأزهر زماناً، وبعد وفاته عاودتُ التجريد والسياحة، وسلوكَ طريق الحقيقة، فلم يُفتح عليَّ بشيءٍ، فحضرت يوماً من السياحة إلى القاهرة، ودخلت المدرسة السيوفية، ووجدتُ رجلاً شيخاً بقالاً على باب المدرسة يتوضَّأُ وضوءاً غير مرتب، غسلَ يديه، ثم غسل رجليه، ثم مسحَ برأسه، ثم غسل بوجهه، فقلت له: يا شيخ، أنت في هذا السنِّ على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين، وتتوضَّأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي! فنظر إليَّ وقال: يا عمر، أنت ما يُفتح عليك في مصر، وإنَّما يُفتح عليك بالحجاز بأرض مكة شرَّفها الله تعالى، فاقصدها، فقد آن لك وقتُ الفتح. فعلمت أنَّ الرجل من أولياء الله تعالى، وإنَّه يتستَّرُ بالمعيشة، وإظهارِ الجهلِ بعدم ترتيب الوضوء، فجلستُ بين يديه، وقلت له: يا سيدي، وأين أنا وأين مكّة؟ ولم أجد ركباً ولا رفقةً في غير

---

(١) المُقَطَّمُ: هو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وهو جبل يمتد من أسْوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم. (معجم البلدان ٥/ ١٧٦).

أشهر الحج. فنظر إليَّ وأشار بيده، وقال: هذه مكّة أمامك. فنظرتُ معه فرأيت مكّةَ شرّفها الله تعالى، فتركتُه، وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتحُ حين دخلتها. وإلى هذا الفتح أشارَ رحمه الله في قصيدته الدالية بقوله:

يا سَميري روّحْ بمكّة روحي شادياً إن رغبتَ في إسعادي
كان فيها أُنسي ومعراجُ قدسي ومقامي المقام والفتحُ بادي[1]

قال رحمه الله: ثم شرعت في السياحة في أودية مكة وجبالها، وكنت أَستأنس منها بالوحوش ليلاً ونهاراً، وأقمتُ بوادٍ كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المُجدّ، وكنت آتي منه كلَّ يوم وليلة، وأُصلّي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، ومعي سَبُعٌ عظيم الخلقة يَصحَبني في ذهابي وإيابي، وينخُّ[2] لي كما ينخُّ الجملُ، ويقول: يا سيدي، اركب. فما ركبته قطّ، وتحدّث بعضُ جماعة من مشايخ المجاورين بالحرم في تجهيزِ مركوبٍ يكون عندي في البرية، فظهرَ لهم السَّبُعُ عند باب الحرم، وسمعوا قوله: يا سيدي، اركب. فاستغفروا الله، وكشفوا رؤوسَهم، واعتذروا إليَّ.

ثم بعد خمس عشرة سنة سمعت الأستاذ البقال يُناديني: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة احضر وفاتي، وصلِّ عليَّ. فأتيته مُسرعاً فوجدته قد احتُضر، فسلَّمتُ عليه، وسلّم عليَّ، وناولني دنانيرَ ذهبٍ، وقال: جهّزني بهذه، وافعل كذا وكذا، وأعطِ حملةَ نعشي إلى القرَافة[3] كلَّ واحدٍ منهم ديناراً، واطرحني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها، وانتظرْ يا عمر قدومَ رجلٍ يهبطُ عليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليَّ، وانتظر ما يفعلُ الله في أمري. قال: فجهَّزتُه وطرحته في البقعة كما أشار إليَّ، فهبط إليّ رجلٌ من الجبل، كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصه. كنت أراه يُصفعُ قفاه في الأسواق، فقال: يا عمر، تقدّم فصلِّ بنا على الأستاذ، فتقدَّمت وصلَّيتُ إماماً، ورأيتُ طيوراً بيضاء وطيوراً خضراء صفوفاً بين السماء والأرض، يصلّون معنا، ورأيتُ طائراً أخضر عظيمَ الخلقة قد هبطَ عند رجليه، وابتلعه، وارتفع إليهم، وطاروا جميعاً، ولهم زجلٌ بالتسبيح بصوتٍ مرتفع عظيم، يُطربُ السامع إلى أن غابوا عنّا، فسألتُ

(١) المعراج: السُّلَّمُ والمصعد (ج) معارج ومعاريج.
(٢) نَخَّ الإبل وبالإبل نخاً: صوّت لها لتبرك.
(٣) القَرَافَةُ: مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وتُرب للأكابر. (معجم البلدان ٤/ ٣١٧).

الرجل الذي هبطَ من الجبل عن ذلك، فقال: يا عمر، أما سمعتَ أن أرواح الشهداءِ في أجوافِ طيورٍ خضرٍ تسرحُ في الجنة حيث شاءت، هم شهداءُ السيوف، وأمّا شهداء المحبَّة فأجسادهم وأرواحهم في أجواف طيورٍ بيض، وهذا الرجلُ الأستاذ البقَّال منهم، وأنا يا عمر كنت منهم، وإنَّما حصلتْ منّي هفوةٌ، فطُردتُ عنهم، فأنا اليومَ أصفعُ قفاي في الأسواق ندماً وتأديباً على ذلك، قال سيدي عمر: ثم ارتفع الرجل إلى الجبل كالطائر، وغاب عنّي، وفي هذه البقعة التي أشار الأستاذ البقال إلى سيدي عمر رضي الله عنه دُفن سيدي عمر حسب وصيته، وهذه البقعة هي القَرَافة الشاذلية الكبرى، تحت المسجدِ المبارك المعروف بالعارض، بالقرب من مراكع موسى بسفح المقطم، عند مجرى السيل، وضريحُه بها معروفٌ ظاهر، ويُزار، وما من قاصدٍ يقصده للزيارة، إلا وتحفُّه الأنوارُ، وتُقضى له الحوائج، وتقصده للزيارة سكان أهل مصر والقاهرة، ويتبرَّكون به، ويدعون الله سبحانه وتعالى عنده، فيُستجاب لهم ببركته؛ لكمال استغراقه وشهوده حياً وميتاً في حضرة الله وحضرة رسوله ﷺ.

وكانت ولادته رضي الله عنه في الرابع من ذي القعدة سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئة بالقاهرة، وتوفّي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وست مئة بقاعة الخطابة بالأزهر الشريف، وحُمل من ثمَّ حيث مدفنُه المذكور.

ومن كراماته رحمه الله ما أخبر به ولده سيدي جمال الدين محمد، قال: رأيت الأستاذ رحمه الله نائماً مُستلقياً على ظهره، وهو يقول: صدقتَ يا رسول الله، صدقتَ يا رسول الله رافعاً صوته، مُشيراً بأصبعه اليمنى واليسرى إليه، واستيقظَ من نومه، وهو يقول كذلك ويُشير بأصبعيه كما كان يفعل، وهو نائم، فأخبرته بما رأيته وسمعت منه، وسألته عن سبب ذلك، فقال: يا ولدي، رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: يا عمر، لمن تَنتسب؟ فقلت: يا رسول الله، أنتسب إلى بني سعد قبيلةِ حليمة السَّعدية[1] مرضعتك. فقال: لا، بل أنت منّي

---

(١) حليمة السَّعدية (توفيت بعد ٨هـ = بعد ٦٣٠م).
حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجنة بن جابر السعدي البكري الهوازني. من أمهات النبي ﷺ في الرضاع. كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال ويفضلن من يكون أبوه حيًا لبرّه إلا أن محمداً كان يتيماً، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليمة من أمه «آمنة» ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه. وماتت آمنة وعمره ست سنين فكفله جده عبد المطلب وقدمت حليمة على مكة بعد أن تزوج رسول الله بخديجة، وشكت إليه الجدب، فكلم خديجة بشأنها فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع =

ونسبُك ينتهي إليّ. فقلت: يا رسول الله، إني أَحفظُ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد. فقال: لا ـ مادًّا بها صوته ـ بل أنت منّي ونسبُك متّصلٌ بي. فقلت: صدقتَ يا رسول الله. مكرراً لذلكـ، مُشيراً بإصبعي كما رأيت وسمعت.

قال ولده رحمه الله: وإلى هذا النسب الشريف أشارَ الأستاذ رحمه الله في القصيدة اليائية، حيث قال:

نسبٌ أَقربُ في شرع الهوى ... بيننا من نسبٍ أبوي

والذي يُطالع كلام الأستاذ رحمه الله تعالى يقفُ على كمال استغراقه وشهوده وتمكّنه من مقام القرب الأسنى، وهو مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

فمن ذلك تائيته المشهورة المسماة بـ«نظم السلوك»(١).

قال ولدُ الشيخ رضي الله عنه: كنتُ أرى والدي في غالب الأوقات دهشاً، وبصرُه شاخصاً، لا يسمعُ من يكلِّمُه ولا يراه، فتارة يكون واقفاً، وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبيه، وتارة يكون مُستلقياً على ظهره مغطًى كالميت، يمرُّ عليه عشرةُ أيام مُتواصلة وأقل من ذلك وأكثر وهو على هذه الحالة، ولا يأكلُ ولا يشرب ولا يتكلَّم ولا يتحرَّكُ، ثم يستفيقُ وينبعثُ من هذه الغيبة، ويكون أول كلامه أنه يُملي من القصيدة «نظم السلوك» ما فتحَ اللّهُ عليه، وهذه القصيدة الغرَّاء، والفريدةُ الزهراء التي تكادُ تخرج عن طوق وسمع البشر ألفاظاً ومعاني هي التي أولها:

نعم بالصبا قلبي صَبا لأحبَّتي ... فيا حبذَا ذاك الشَّذا حين هبَّتِ(٢)

= زوجها بعد النبوة فأسلما. وجاءت إلى النبي ﷺ يوم حنين، وهو على الجعرانة، فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه. ولها رواية عن النبي ﷺ روى عنها عبد الله بن جعفر. الأعلام ٢/ ٢٧١، والإصابة ٤/ ٢٧٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١١٢.

(١) «التائية في التصوف» للشيخ أبي حفص عمر بن علي بن الفارض الحموي المتوفى سنة ٥٧٦. روى ابن بنته عنه أنه لما أتمها رأى النبي عليه السلام في المنام فقال: يا عمر ما سميت قصيدتك؟ ال: سميتها لوائح الجَنان وروائح الجِنان، فقال: لا بل سمها نظم السلوك وهي. . . بيت في كل بيت صنائع لفظية وبدائع شعرية من التجنيس والترصيع والاشتقاق وغيرها، وسلك طريق التغزل وبين فيه طريق السالكين لكن العلماء اختلفوا فيه وافترقوا فرقاً فمنهم من أفرط في مدحه واشتغل بتوجيه كلامه، ومنهم من فرط وأفتى بكفره، ومنهم من كف عنه وسكت ولعله هو الطريق الأسلم في أمثاله والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة أحواله. (كشف الظنون ٢٦٥).

(٢) هذا البيت في كشف الظنون ٢٦٧ وهو مطلع تائيته الصغرى.

وكان رضي الله عنه جرَّد من نفسه شخصاً سأله عن غرامه عند هبوب الصبا، لما أذكره الهبوبُ شمائلَ ذلك المحبوب، أو قال مُجيباً لمن سأله بلسان الحال.

ولما قربت وفاتُه رضي الله عنه، ودعاه إليه مولاه سألَ الله تعالى أن يجمعَ عليه جماعةً من الأولياء.

قال الشيخ إبراهيم الجعبري الشاذلي رضي الله عنه دفينُ باب النصر من أبواب مصر: كنتُ يوماً بالسياحة على نهر الفرات، وأنا أخاطبُ روحي بروحي، وأُناجيها بتلذُّذي بفنائي في المحبَّة، فمرَّ بي رجلٌ كالبرق، وهو يقول:

فلم تَهْوَنِ ما لم تكن فيَّ فانيا ولم تفنَ ما لم تَجتلي فيك صورتي

فعلمتُ أن هذا نَفَسُ محبٍّ، فوثبتُ إلى الرجل، وتعلَّقتُ به، وقلت له: من أين لك هذا النَّفَسُ؟ فقال: هذا نَفَسُ أخي الشيخ شرف الدين بن الفارض. فقلت له: وأين هذا الرجل؟ فقال: كنت أجدُ نَفَسَه من جانب الحجاز، والآن أجدُ نَفَسَه من جانب مصر، وهو مُحتضر، وقد أُمرتُ بالتوجُّه إليه، وأن أحضرَ انتقالَه، وأصلّي عليه، وأنا ذاهبٌ إليه، وتركني، والتفت إلى جانب مصر، فتبعتُه إلى أن دخلتُ على سيدي عمر بن الفارض في ذلك الوقت وهو مُحتضرٌ، فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، اجلس وأَبشر، فأنت من أولياء الله تعالى، واعلم يا إبراهيم أني لما احتُضرتُ سألت اللَّهَ تعالى أن يحضر وفاتي وانتقالي إليه جماعةٌ من الأولياء، وقد أتى بك أولهم فأنت منهم، قال الشيخ إبراهيم: ثم رأيتُ الجنَّة قد تمثَّلت له، فلما رآها قال: آه. وصرخ صرخةً عظيمةً، وبكى بكاء شديداً، وتغيَّر لونُه، وقال:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندَكُمْ ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيّامي
أُمنيةٌ ظفرتْ روحي بها زمناً واليومَ أَحسبُها أَضغاثَ أحلامِ[1]

فقلت له: يا سيدي، هذا مقامٌ كريم. فقال: يا إبراهيم، رابعة العدوية[2]

---

(١) أضغاث الأحلام: ما كان مُلتبساً مختلطاً لا يصحُّ تأويله لاختلاطه والتباسه.

(٢) رابعة العدويّة (توفيت ١٣٥هـ = ٧٥٢م).

رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية. صالحة مشهورة، من أهل البصرة ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر. من كلامها: «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم» توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: «وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور» وقال: «وفاتها سنة ١٣٥ كما في شذور العقود لابن الجوزي، وقال غيره سنة ١٨٥».

الأعلام ٣/ ١٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٨٢، والشريشي ٢/ ٢٣١، والدر المنثور ٢٠٢.

تقول وهي امرأة: وعزَّتِك ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبةً في جنتك، بل كرامةً لوجهك الكريم، ومحبَّةً فيك. وليس هذا المقام الذي كنت أَطلبُه، وقضيتُ عمري في السُّلوك إليه. قال: ثم بعد ذلك سكنَ قلقُه، وتبسَّم وسلَّم، وودَّعنيَ، وقال لي: احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعةِ، وصلِّ عليَّ معهم، واجلسْ عند قبري ثلاثة أيام بلياليهنّ، ثم بعد ذلك توجَّه إلى بلادك. قال سيدي إبراهيم: ثم اشتغلَ عنّي بمناجاةٍ ومخاطبة، فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمعُ صوتَه، ولا أَرى شخصه. قال: عمر، فما تروم؟ فقال:

أرومُ وقد طالَ المَدى منكَ نظرةً ... وكم من دماءٍ دون مرماي طُلّتِ

ثم بعد ذلك تهلّل وجهُه، وتبسَّم، وقضى نحبه فرِحاً مسروراً، فعلمتُ أنّه قد أُعطي مرامَه.

وكنّا عنده جماعة كثيرة، فيهم من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه، ومنهم الرَّجلُ الذي كان سببَ المعرفة، وحضرتُ غسلَه وجنازته، ولم أرَ في عمري جنازةً أعظمَ منها، وازدحم النَّاسُ على حمل نعشه، ورأيتُ طيوراً بيضاءَ وخضراء ترفرفُ عليه، وصلَّينا عليه عند قبره، ولم يتجهَّزْ حفرُه إلى آخر النهار، والناسُ مزدحمون عليه، وذلك لما كنتُ أَنظرُه بما فتحَ اللَّهُ به عليَّ من الكشف إلى الروح المقدَّسة المُحمدية، وهي تُصلّي إماماً وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الإنس والجنّ يُصلّون عليه مع روح رسول الله ﷺ طائفة بعد طائفة، وأنا أُصلّي مع كلِّ طائفةٍ إلى آخرهم، حتى إذا انتهت الصلاةُ تجهَّزَ القبرُ، وصارتِ الناس تتعجَّبُ من ذلك، ولكن من فتح الله بصيرته شاهد سرَّ ما هنالك.

قال الشيخ إبراهيم الجَعْبَري رضي الله عنه: وأقمتُ عنده بعد الدفن ثلاثة أيام بلياليهن، وأنا أشاهدُ من حاله ما لم تحتملْه العقول، ثم توجَّهت إلى بلدتي جعبر، وكانت هذه السفرةُ أولَ دخولي مصر، ولسان الحال يقول:

جزاك اللَّهُ عن ذا السَّعي خيراً ... ولكنْ جئتِ في الزَّمنِ الأخير

ثم رجعتُ بعد ذلك إلى مصر، وأقمتُ فيها، وستأتي، ترجمة سيدي إبراهيم الجعبري رضي الله عنه في محله إن شاء الله.

وليكن ذلك آخرَ الكلام في ترجمة سيدي شرف الدين عمر بن الفارض نفعنا الله به، فإنَّ فضائله ومناقبه لا تحصرُها العقول، ولا تُدركها الأفهام، وما ذكرتُ إلا نقطةً يسيرةً من بحر فضائله، اللهم أَمتنا واحشرنا في زمرته وتحت لوائه، واجعلنا من الذين تعلّقوا بمحبَّة الأولياء حتى لاقوا ربهم وهو عنهم راضٍ، وأَمدَّنا بمددهم. آمين يا ربَّ العالمين.

١٣

سيدي أحمد الرفاعي[١]

(... ـ ٥٧٠)

صاحبُ الكرامات الظاهرة، والأسرار الباطنة، والبوارق الناشرة، من جعله الله أولَ الأربعة، فنزل إلى الدنيا قبل الأربعة، ووهبه سرًّا لم يهبه لغيره من الأولياء، وانتهت إليه الرياسة في علوم الطريق، وشرحِ أحوال القوم، وله كلامٌ عالٍ على لسان أهل الحقائق، وهو أحدُ من قهرَ أحوالَه، وملك أسراره، وكشفَ مشكلاتِ القوم.

وتتلمذَ له خلائقُ لا يُحصون، حتى أنه رضي الله عنه كان مسكنُه بالمشرق، وله أتباع بالمغرب.

وعرفته أهلُ العراق بأنه الرفاعي وهو ابن عام، وملأ الأرضَ وهو ابن أربع سنوات، وفاضَ سرُّه على الخلق وهو ابن سبع سنوات، وأتقنَ علومَ القرآن وأسراره.

وله كراماتٌ ظاهرة، وشهرتُه تُغني عن التعريف، ولكن نذكرُ جملةً منها تبرُّكاً، فنقول:

من كراماته قدّس الله سره العالي أنه كان يَمشي إلى المجذوبين والزَّمْنى[٢] يغسلُ ثيابهم، ويحملُ إليهم الطعامَ، ويأكل معهم، ويُجالسهم ويسألهم الدعاء. ويقول قدّس الله سره: الزيارةُ لمثلِ هؤلاء واجبةٌ لا مستحبّة.

ومنها: أنه قدّس الله سره وجدَ كلباً أجربَ، أخرجه أهلُ أم عَبيدة[٣] إلى محلٍّ بعيدٍ، فتبعه إلى البرية، وضرب عليه مظلَّة، وصار يطليه بالدهن، ويحكُّ منه الجرب بخرقةٍ، ويُطعمه، ويسقيه، حتى عُوفي، ولمّا برئ صارَ يحملُ له الماءَ الساخن، ويغسله.

ومنها: قدّس الله سره أنه كان إذا طلبَ منه أحدٌ أن يكتبَ له عوذة[٤]، ولم يكن

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١٧٤ وفيه وفاته سنة ٥٧٨هـ، وابن خلكان ١/ ٥٥، والشعراني ١/ ١٢١ وهو فيه «أحمد بن أبي الحسين»، وفي نور الأبصار ٢٢٠ «أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة».

(٢) الزَّمانةُ: مرض يدوم.

(٣) أم عبيدة: قرية بين واسط والبصرة.

(٤) العُوذة: الرُّقية يُرقى بها الإنسان من فزع أو جنون أو نحو ذلك. و ـ: التميمة تُعلَّق لدفع الحسد (ج) عوذ.

عنده مدادٌ[١]، يأخذُ الورقةَ، ثم غابَ مدَّةً، وجاء بها، ودفعها إليه ليكتب له فيها مُمتحناً له، فلمَّا نظر إليها، قال: أَيْ ولدي، هذه مكتوبة. وردَّها إليه من غير ضجرٍ.

وكراماته قدّس الله سره مشهورة.

توفي يوم الخميس وقت الظهر ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمس مئة، وكان يوماً مشهوداً لم يُر مثله قطُّ في سائر العالم، ودُفن رضي الله عنه في قبرِ الشيخ يحيى البخاري، بأم عَبيدة بأرض البطائح.

بلغ قدّس الله سره أنَّه ما تصدَّرَ قطُّ في مجلسٍ، ولا جلس على سجَّادة، وكان قدّس الله سره يقول: أتيتُ الأبوابَ كلَّها فوجدتها مزدحمةً بالعباد ما عدا باب التواضع، فإنّي وجدته خالياً، فسلكته لوحدي.

وفضائله قدّس الله سره كثيرة، اللهم أمدَّنا بمدده، وأنفعنا بأسراره. آمين.

١٤

سيدي عبد القادر الجيلاني[٢]

(٤٧٠ ـ ٥٦١)

أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلاني ابن السيد موسى ابن السيد عبد الله ابن السيد يحيى الزاهد الحسني قدّس الله سره العالي.

ولد رضي الله عنه سنة سبعين وأربع مئة[٣] بجيلان، وتوفي ببغداد سنة واحد وستين وخمس مئة.

وقد أفرده الناس بالتآليف، ونحن نذكر جملةً ممّا ذكروه تبرُّكاً، فنقول:

كان قدّس الله سره في طفولته يمتنع عن الرضاعة في رمضان، عنايةً به من الملك المنان، فلما ترعرع سارَ إلى طلب العلم النافع في الدارين، فتفقَّه على جملةِ فضلاء كاملين، واقتبس منهم العلوم والفنون حتى صار من الواصلين، وأخذ علم الطريقة عن العارف بالله أبي الخير سيدي حمَّاد الدبَّاس قدّس الله سره، ولبسَ الخرقةَ المباركة من أبي سعد، وتأدَّبَ بآدابه الزكية، حتى لاحت عليه أنوارُه

---

(١) المِدادُ: سائلٌ ذو لونٍ يُكتبُ به.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٤٧، وطبقات الشعراني ١/ ١٠٨ ـ ١١٤، وفوات الوفيات ٢/ ٢، ونور الأبصار ٢٢٤، والكامل لابن الأثير ١١/ ١٢١ وهو فيه «الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي».

(٣) في الأعلام ٤/ ٤٧: ولادته سنة ٤٧١هـ. جيلان (وراء طبرستان).

السنية، ولم يزل مَلحوظاً بالعناية الربانية، عارجاً في معارج الكمال بهمَّته الأبية، آخذاً نفسه بالجدِّ والاجتهاد حتى مكث خمساً وعشرين سنةً سائراً في صحراء العراق، وفي خراباته حتى وصل إلى العزيز الغفار.

وكان لباسُه جبَّةَ[1] صوفٍ، وعلى رأسه خُريقةٌ، يمشي حافياً في الشوك، ويقتات ثمرَ الأشجار، وقمامة البقل التي تُرمى من ورق الخس من شاطئ الأنهار، وفي أيام لم يشربِ الماء، ولم يأكل الطعام، ومكث على ذلك السنين الطوال، حتى فتحَ اللَّهُ له الأبواب، وطرقته من الله الحال، وآن أوان الوصال وبدت على وجهه أنوارُ الجمال، فظهر للناس، واشتهر أمرُه في ذلك الحين، وانتهت إليه الرياسة في وقته، ودانت له ملوكُ الأرض بأسرها، وعرفته أهلُ الأرض والسماء، وناظر العلماء، وأرشد الصلحاء، واضطربت من هيبته الألباب، ونزلت بساحته الأقطابُ والأنجاب، وكان قدّس الله سره يفتي على المذهبَيْن، ويتكلم على أسرار الفريقين.

وفضائله قدّس الله سره شهيرة، وأحواله أنورُ من شمس الظهيرة، نفع الله به المسلمين.

توفي قدّس الله سره ببغداد ودفن بها، ومقامه عليه من الله الرضوان، تقصده أمَّةُ الإسلام من سائر البلدان، ويتوسَّلون به إلى الله، ويسألونه الغفران. اللهم أمدَّنا بمدده. آمين.

١٥

سيدي إبراهيم الدسوقي[2]

(... ـ ٦٧٦)

القرشي الحسيني الهاشمي الشاذلي ابن سيدي أبي المجد، أُلِّفتْ في مناقبه مؤلفات بلغت حدَّ التواتر، ذكرت من فضائله ما لا تحصره العقول، والحقُّ أن ما ذُكر فهو نقطةٌ في بحر زاخرٍ تلاطمت أمواجه، وتكفينا شهرتُه في العالم الإسلامي بأسره.

كان قدّس الله سرَّه من صدور المقربين، وكان صاحبَ كراماتٍ ظاهرة، ومقاماتٍ فاخرة، ومآثر ظاهرة، وبصائر باهرة، وأحوالٍ خارقة، وأنفاسٍ صادقة، وهممٍ علية، ورتبٍ سنية، وإشاراتٍ سنية، ونفحاتٍ أقدسية، ومحاضرات قدسية، ونفحات روحانية، وأسرار ملكوتية.

له المقامُ العالي، والقدمُ الراسخ، والمعراج الأعلى، والمنهاج الأسنى،

(١) الجُبَّةُ: ثوبٌ طويلٌ واسع الكمين، مشقوق المقدَّم، يُلبس فوق الثياب.
(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٢/ ٥٩، وطبقات الشعراني ١/ ١٤٣ ـ ١٥٨.

والطود[١] الأرفع، واليدُ البيضاء، والباع الطويل، والكشفُ الخارق.

وهو أحد من أظهره الله عزّ وجلّ إلى الوجود، وأبرزه رحمةً للخلق، وأوقع له القبولَ التامَ عند الخاص والعام، وصرّفه في العالم، ومكنه في أحكام الولاية، وقلبَ له الأعيان، وخرقَ له العادات، وأنطقه بالمغيَّبات، وأظهر على يديه العجائب، وصومه في المهد، قدّس الله سره العالي.

ومن كلامه قدّس الله سره: أنا موسى في مناجاته، أنا عليٌّ في حملاته، أنا كلُّ وليٍّ في الأراضي، جميعُهم بيدي، أنا بيدي أبواب النار غلقتها، أنا بيدي جنة الفردوس فتحتها، أنا تجلى عليّ ربِّي ليلةَ ولادتي، وقال: غداً أول الشهر صم يا إبراهيم. فصمت وأنا ابن ليلةٍ واحدة، أنا فككت طلاسم[٢] سورة الأنعام التي لم يقدر على فكِّها الشاذلي خالي.

وكلامه رضي الله عنه كله من هذا القبيل على لسان الحال نفعنا الله به.

ومناقبه كثيرة ذكرنا منها جملةً بقصد التبرك. كان قدّس سره لم يغفل قطُّ عن المجاهدة، وكان إذا مرّ في الأسواق له هيبةٌ عظيمةٌ لكلٍّ من رآه، وكانت الناس تهاب أباه سيدي أبا المجد القرشي وذلك لما في ظهره، وبشَّرته الأولياء قبل مولده، وقيل له: سيولدُ لك ولدٌ يكون له شأنٌ عظيم.

توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وست مئة، وله الشهرةُ التّامة عند أهل مصر من مشرقها لمغربها، وتظهرُ كراماتٌ كثيرة لزائريه، ومن أرادَ الوقوف على حقيقته فعليه بـ«الجوهرة المصونة» له، فقد تكلّم فيها قدّس سره بأسرار لم تخطر على بال، وأباحَ فيها مشاهداته في حضرة الجلال وحضرة الكمال ما يبهر عقول الرجال، أمدنا الله بمدده، وأماتنا على حبِّه، ومتّعنا بأنواره، والنزول بأعتابه. آمين.

١٦

الإمام البوصيري[٣]

(٦٠٨ ـ ٦٩٤)

الإمام الرباني، والعارف الصمداني، الأستاذ الفاضل، والملاذُ الكامل،

---

(١) الطَّوْدُ: الجبل العظيم (ج) أطواد.

(٢) الطلاسم: (ج) الطلسم: السرّ المكتوم. و ـ: نقوش تُنقش على أجساد خاصة في أوقات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة يزعمون أنها ترد الأذى.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ١٣٩ وفيه وفاته سنة ٦٩٦، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي =

شمس الملة وبرهان الأمة، شيخ المحققين، وملاذ أهل التمكين، ذو المعارف الربانية، والمواهب الصمدانية أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدَّلاصي الصُّنهاجي الشاذلي البُوصيري قدّس سره.

ولد رضي الله عنه بدَلاص[١] أول شهر شوال سنة ثمانٍ وست مئة، وكان أبواه قدما من المغرب فاستوطنا هذه البلدة، فنشأ رضي الله عنه في حِجر أبيه حتى ترعرع ومال إلى العلم، فحفظَ القرآن وبعض المتون، وقدمَ الأزهر، وحضر على مشايخ العصر حتى كملت معالمه، فأجازوه فأتى ودرّس، وصارت له هيبةٌ عظيمة، وبرع في النظم حتى فاق أهلَ عصره، وكانت له همَّةٌ عالية.

وكان في بدايته من مقربات السلاطين، وله عندهم الحظوة التامّة مقبولاً فيما بينهم، وكان يمدحهم بالشعر الرقيق، ويهجو أعداءهم، وانقطع إلى التصوف، ومال إليه، فسلك على يد المربي سيدي أبي العباس المرسي قدّس سره، وأخذ عنه علمَ الحقائق والأسرار، حتى لوحظَ بالأنوار والأسرار، وبدت عليه إشارات الولاية، وألوية الهداية، فعظمت هيبته، وأجلته العيون والأنظار، وشدَّت إليه الرِّحالُ من جميع الأمصار، وعمل القصائد البديعة، والموشحات[٢] الغريبة في مدح الرسول ﷺ، ويكفي في فضله بردته الميمية المشهورة[٣]، وهي قصيدةٌ لم يأتِ بمثلها أحدٌ، لا من قبله ولا من بعده، وهي من الأسرار، اعتنتْ بشأنها مشايخُ الطرق، وذكروا لها فضائل وخواص وأسرار، وقد ذكرنا ما لها من الخواص والأسرار في كتابٍ مستقلٍ، سميناه «تحفة الراغبين ونزهة الطالبين في خواص قصيدة الأستاذ شرف الدين» فمن أراده فليطلبه حيث يوجد.

بلغ رضي الله عنه مقامَ الغوثية الكبرى، ودام له الاجتماع بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام.

= الدين الطعمي ص١٩١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٠٥، وآداب اللغة ٣/ ١٢٠.

(١) في الأعلام ٦/ ١٣٩: مولده في بهشيم من أعمال البهنساوية.
دَلاصُ: كورة بصعيد مصر على غربي النيل أخذت من البر تشتمل على قرى وولاية واسعة، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهنسا. (معجم البلدان ٢/ ٤٥٩).

(٢) الموشحات: نوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهي نظم غنائي يعتمد على تغيُر الوزن وتعدد القافية.

(٣) أشهر شعره البردة، ومطلعها:
«أمِن تذكُر جيران بذي سلم»
(الأعلام ٦/ ١٣٩).

وكان إذا مشى رضي الله عنه في الأزقة تندلقُ الناسُ عليه، يقبّلون يديه حتى الصغار، وكانت تشم رائحة جسده روائح طيبة.

وكان رضي الله عنه يرتدي الملابس الحسناء، منوّر الشيبة، بسّام الثغر، طلق الوجه، جميل اللقاء، متواضعاً زاهداً، ذا عفَّة ووقار.

أخذ عنه جماعةٌ من أفاضل العصر.

توفي رضي الله عنه وأرضاه بإسكندرية سنة أربع وتسعين وست مئة.

وله مقامٌ يُزار، ومسجد تُقام فيه شعائر أمة المختار، وتتساقط على ضريحه أنوار وأسرار تبدو للزائرين، والمتوسِّلُ به إلى الله لا شكَّ من الناجين، اللهم، نتوسَّلُ إليك أن تعطفَ علينا قلبَ مولانا رسول الله ﷺ. آمين.

١٧

سيدي عبد الرحيم القِنائي[1]

(... ـ ٥٩٢)

شيخ مشايخ الإسلام، وإمامُ العارفين الأعلام، مولانا الشريف سيدي عبد الرحيم بن أحمد بن حَجُّون بن محمد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الترغي المولد، السَّبتي الأصل، المغربي الصوفي.

ولد رضي الله عنه في ترغة غمارة من قبيلة بني عموان، وهي قبيلة السيد أبي الحسن الشاذلي قدّس الله سره.

وصلَ سيدي عبد الرحيم من المغرب، وأقام بمكّة سبع سنين، ثم قدم قِنا من عمل قوص، وأقام بها سنين كثيرة إلى حين وفاته.

وكان قدّس الله سره قد أخذَ طريقَ رشده من الأستاذ سيدي أبي يَعزَّى المغربي المدفون بالمغرب، وكان شيخُه قدّس الله سره من أجلّاء المشايخ، وقد ذكره غيرُ واحد.

وكانت أهلُ المغرب يَستسقون عنده الغيثَ فيُسقون، وله المكانةُ العالية في جلِّ الأقطار المغربية إلى وقتنا هذا كما هو مشاهد، وكان سيدي عبد الرحيم من أكابرِ أصحابه، وكانت إقامته بالصَّعيد رحمةً لأهله، اغترفوا من بحر علمه وفضله، وانتفعوا ببركاته، وأشرقت أنوارُ قلوبهم لما دخلوا في خلواته.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٣/ ٣٤٣، وفي خطط مبارك ١٤/ ١٢٢.

اتفق أهلُ زمانه على أنَّه القطبُ المشار إليه والمعوَّلُ في الطريق عليه، لم يختلف فيه اثنان ولا جرى فيه قولان، ولو لم يكن من أصحابه إلا الأستاذ الإمام أبو الحسن علي بن حُميد الصبَّاغ لكفاه من سائر الأمم، **«ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**[١]. فإن سرَّ الشيخ رحمه الله ظهر فيه حتى نطقَ بالمعارف بملء فيه، وأبدى من سرِّه ما كان يخفيه.

وكرامات سيدي عبد الرحيم مُستغنيةٌ عن التعريف، تكثر عن أن يسعها تأليف، أو يقوم بها تصنيف، فاكتفيت منها بدليل القليل.

وليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ ... إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ

وقد تخرَّجَ على يديه جماعةٌ من أعيان الصالحين بصالح أنفاسه، وله مقالاتٌ في التوحيد منقولة عنه، ورسائلُ في علوم القوم تُلقِّيت عنه.

وكان قدّس الله سرَّه من الزهَّاد المذكورين، والعُبَّاد المشهورين، مذهبه مذهبُ إمامِ دار الهجرة، وكتابُه «المدونة»، وله كرامات لا تحصر.

قال الأستاذ كمال الدين بن عبد الظاهر رحمه الله: زرت جبَّانة[٢] قِنا[٣]، وصلّيت عند سيدي الأستاذ عبد الرحيم وإذا بيدٍ خرجت من قبره وصافحتني، وسمعتُ صوتاً يقول بأنينٍ: لا تعصِ الله طرفة عينٍ؛ فإني في عليين، وأنا أقول: يا حسرتاه على ما فرَّطتُ في جنب الله.

وأهلُ بلاده متَّفقون على تجربةِ الدعاء عند قبره يومَ الأربعاء، يمشي الإنسان حافياً، مكشوفَ الرأس وقتَ الظهر، ويدعو بهذا الدعاء بعد صلاة ركعتين بما تيسَّر من القرآن، ويقول: اللهم، إنّي أتوسَّلُ إليك بجاه نبيِّنا محمد ﷺ، وبأبينا آدم، وأمنا حواء، وما بينهما من الأنبياء والمُرسلين، وبعبدك عبد الرحيم اقضِ حاجتي. ويذكر حاجته. ويقولون من جرَّبوا هذا الدعاء: إنه ما حصلتْ للإنسان ضائقةٌ وفعلَ ذلك إلا فرّج الله عنه.

وقد روى هذا الدعاء الشيخ الكبير أبو عبد الله القرشي قدّس سره، وكان يقول: من فعل ذلك ودعا ولم تقضَ حاجتُه فليسبَّ القرشي.

أقول: وهذا الدُّعاء عندي من المجرَّبات، فقد جرَّبتُهُ مراراً وتكراراً، فوجدته

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبلٍ في (المسند ٥/ ٣٣٣)، وابن عبد البر في (التمهيد ٢/ ٢١٨)، وصاحب (شرح معاني الآثار ٣/ ٢٠٧).
(٢) الجَبَّانَةُ: المقبرة والصحراء.
(٣) قِنا: مدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد. (معجم البلدان ٤/ ٣٩٩).

صحيحاً، ولا ينبغي على الإنسان أن يدعو به على ظالمٍ؛ لئلا يهلك في ساعته، ومن عفا وأصلح فأجره على الله.

ومن الأمور الموجبة لتأثير هذا الدعاء القبولُ والتسليم، والاعتقاد مع حسن النية الخالصةِ عملاً بما وردَ في الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)]. سيما وقد صحَّ أنَّه إذا وقعتِ العنايةُ، وثبتتِ الولايةُ، وصحَّتِ الرواية، ونازع منازعٌ بعد ذلك في أمرٍ أجازه العقلُ، ولم يمنعه الشرع، كان النزاع غوايةً، فنسأل الله التوفيق والهداية، ولله درُّ القائل حيث يقول:

فطفْ بحماهم واسعَ بينَ خيامِهم ... ولا تستمعْ ما قالَ زيدٌ ولا عَمْرُو
إذا طفتَ بين الحيِّ تُحمى وتتقى ... بأسيافِ عزم دونها البيضُ والسُّمرُ
ومن يعترضْ يوماً عليهم فإنَّه ... يعودُ ومِنْ نَيلِ المُنى كفُّه صُفْرُ

توفي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته في شهر صفر يوم الجمعة التاسع منه بعد صلاة الصبح وكانت وفاته بقِنا، وقبره بجبّانتها يُزار، ولا يكادُ يخلو من زائرٍ قاصدٍ، أو عابرٍ، تقصدُه العباد من أقصى البلاد، وتأتي إليه الخلائقُ من كل فجٍّ[(٢)] وواد، وتزدحم الناس على ضريحه مُستمطرين الرحمة من عنده، زرته ـ ولِلّهِ الحمد والمنة ـ ورأيتُ على هذه الجبانة نوراً من فيض مدده المنثور، اللهم، انفعنا وإخواننا والمسلمين ببركاته ونفحاته. آمين.

١٨

سيدي أبو الحجاج الأَقصري[(٣)]

(... ـ ٦٤٢)

الشيخ العارف الزاهد أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن غزي[(٤)] بن إسماعيل بن عبد النصير بن محمد بن هاشم بن أحمد بن محمد بن محمد عز العرب بن صالح بن حسين بن جعفر بن محمد بن حسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين أو في الجبل (ج) فِجاجٌ، وأفِجَّة.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام ٨/ ٢٣٨، والطالع السعيد ٤١٦ ـ ٤١٨، والكتبخانة ٧/ ٢٢٦ المنظومة وشرحها.

(٤) في الأعلام ٨/ ٢٣٨: عربي.

الأقصري القرشي الشاذلي الصوفي رضي الله عنه. هكذا أملاني نسبَه الشريف محبُّنا في الله أبو عبد الله الشريف سيدي السيد محمد عبد الحميد القِمَني العروسي الشاذلي الفتحي، فإنه من ذريته من أعقاب سيدي عبد الحميد القِمَني العروسي الكبير دفين قِمَن[١] العَروس رضي الله عنه، وقد أطلعني على هذا النسب الشريف بخطِّ عمِّه السيد حسين المكي رحمه الله، وهو السيد محمد بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد بن السيد مرزوق بن السيد خميس بن السيد بديوي بن السيد سليمان بن السيد سليمان بن السيد طه بن السيد خليفة بن السيد سليمان بن السيد جاد بن السيد خليفة بن السيد عيساوي بن السيد حسين بن السيد جاد بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد طه بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد عبد الخالق بن السيد أحمد بن السيد حسن بن السيد يوسف بن السيد بدر الدين بن السيد عبد البر بن السيد الكبير عبد الحميد بن السيد أبي الحجاج الأقصري رضي الله عنهم أجمعين.

كان سيدي أبو الحجاج رضي الله عنه شيخَ الزمان، وواحدَ الأوان، صاحب المعارف المأثورة، والمكاشفات المعروفة المذكورة، والمعارف الربانية، واللطائف السندسية، والأنوار التي تُصيِّرُ الليلَ في حكم النهار، والتَّجلّيات التي يكاد سنا برقها يخطَفُ الأبصار.

أحدُ الشيوخ الذي انتفع الناسُ ببركاته، وصالح دعواته، ودخلوا في خلواته، وعلتْ بركاتُه على ما سواها، وغمرتِ الخلائق وعمَّت، وتقدّمت كراماتُ الصوفية إليه فتقدَّمتها كراماتُهُ وأَمَّت.

كان رضي الله عنه مشارفاً للديوان، ثم تجرَّدَ وصحبَ الأستاذ عبد الرازق دفين الإسكندرية، ومن أَجلِّ أصحاب سيدي أبي مدين المغربي، وله كلامٌ عالٍ في طريق القوم، ومناقبُه وكراماته مشهودة، فمن كراماتِهِ رضي الله عنه ما حكاه أبو زكريا قال: دخلتُ على الأستاذ فوجدتُه يتكلَّمُ، وما عنده أحد، فسألتُهُ عن ذلك. فقال لي: إنَّ أحدَ الجنِّ المؤمنين كان عندي.

ومنها: أن شخصاً أنكر عليه، وكان من الأمراء المشهورين، فقال له: تنكرُ على الفقراءِ، وأنت رقَّاصٌ عند فلان. فما مات ذلك الرجل حتى صار رقَّاصاً؛ لسوء أدبه واعتقاده.

وكان قدّس الله سره يقول: من رأيتموه يطلب الطريقَ فدلُّوه علينا، فإن كان

---

(١) قِمَن: قرية من قرى مصر نحو الصعيد كانت بها وقعة بين السري بن الحكم وسليمان بن غالب في سنة ٢٠١. (معجم البلدان ٤/ ٣٩٨).

صادقاً فعلينا وصولُه، وإن كان غافلاً طردناه وأبعدناه؛ لئلا يتلف علينا المُريدين، فإنه ما يصلُ إلى المحبوب من هو بغيره محجوب.

وله كراماتٌ غيرُ ما ذكر، وقد صنف فيها بعضهم ما يشفي الغليلَ ويُبرئ العليل.

توفي رحمه الله ونفع به في شهر رجب سنة ٦٤٢، وقبره بالأقصر(١) يُزار، تُحطُّ عن زائريه الأوزار، وتشدُّ إليه الرحال من عموم الأقطار.

وخلّفَ رحمه الله تلامذةً أخياراً، منهم أولاده حسًّا ومعنًى:

سيدي نجم الدين أحمد كان رحمه اللّهُ من المشهورين بالكرامات والمُكاشفات، وهو الذي بنى الضَّريحَ الذي على أبيه، توفي رضي الله عنه سنة ٦٨٥.

ودفن مع والده سيدي **عبد الحميد الأقصري** دفين قِمَن العروس. كان رضي الله عنه من المشايخ الواصلين، وكانت دابَّتهُ التي يركبها تُقبِّلُ يديه صباحاً ومساء، وكان إذا جلسَ عند شاطئ البحر تجتمع عليه دوابُّ البحر، والتماسيحُ يحومون حوله ويتبرَّكون به، وكان إذا غلب عليه الحالُ تكلَّم بكلِّ لسان، وله مُكاشفات وكرامات، توفي رضي الله عنه بقِمَن العروس ودفن بمسجده، وله مقامٌ يُزار، وكانت وفاته أواخر القرن السابع.

١٩

سيدي مكين الدين الأسمر(٢)

(٦١٠ ـ ٦٩٢)

القطبُ الرباني، صاحب المكاشفات والمجاهدات، الحائز لأسرار أهل الحقائق والتمكين، شيخ المشايخ الراسخين، الفقيه المحدّث سيدي ومولاي عبد الله بن منصور الإسكندراني الشاذلي المقرئ الشهير بمكين الدين الأسمر قُدّس سرُّه العزيز. كان رضي الله عنه من أرباب المجاهدات، وله مكاشفات عجيبة، وأحوال غريبة.

مولده بالإسكندرية، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وبرع فيه وفي علومه حتى

---

(١) الأَقْصُرُ: اسم مدينة على شاطئ شرقي النيل بالصعيد الأعلى فوق قوص. (معجم البلدان ١/ ٢٣٧).

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٢٠ وهو فيه: أبو عبد الله بن منصور السكندري.

صار أوحدَ أهلِ زمانه، وأُسندتْ إليه المشيخةُ في الفن، فكان شيخَ القراءات في عموم الشرق، وشُدَّت إليه الرِّحال، ووفدت عليه أكابرُ الرجال.

أخذ عن أبي القاسم الصفراوي رحمه الله علمَ القراءات فأقرأ النَّاسَ مدةً، وكان في بدايته قدّس الله سره يخيطُ الملابس، ويتقوَّتُ من ذلك، وهو مع ذلك يطلبُ العلم، ووصل في المجاهدة أنه كان يَعدُّ كلامَه الذي صدر منه بالنهار، فإذا جاء المساء حاسبَ نفسه، فما وجد من خيرٍ حمدَ الله وأثنى عليه، وما وجدَ من غير ذلك تابَ إلى الله وأنابَ، وبذلك صار من الأبدال.

قال فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: الشيخ مكينُ الدين الأسمر أحدُ السبعة الأبدال.

وله كرامات ومكاشفات، قال ابن عطاء الله في «لطائف المنن»: جاء الفقيه مكين الدين الأسمر إلى سيدي أبي العباس وقال له: يا سيدي، رأيتُ ليلةَ القدر، ولكنْ ليست كما أراها كلَّ سنةٍ، رأيتُها هذه السنة ولا نورَ لها. فقال له الشيخ: نورُكَ طَمَسَ نورها يا مكين الدين.

ولقد كنت مع الشيخ مكين هذا بالجامع الغربي من إسكندرية في العشر الأخير من شهر رمضان ليلة السادس والعشرين، فقال لي الأستاذ مكين الدين: أنا الساعةَ أرى ملائكةً صاعدةً هابطةً في تهيئة وتعبئة، أرأيت تأهُّبَ أهلِ العروس له قبل ليلةٍ، كذلك رأيتُهم. فلمَّا كانتِ الليلة الثالثة وهي ليلة الثامن والعشرين قال لي: رأيتُ هذه الليلةَ كالمتغيِّظة، وهي تقول: هبْ أنَّ لليلة القدر حقاً يُرعى، أما لي حقٌّ يرعى؟

وكان الأستاذ مكين الدين من أرباب البصائر، ومن النافذين إلى الله.

وكان الأستاذ أبو الحسن يقول عنه: بينكم رجلٌ يُقال له عبد الله بن منصور أسمرُ اللون، أبيضُ القلب، والله إنه ليكاشفني، وأنا مع أهلي وعلى فراشي.

ومرةً أُخرى قال فيه: ما سلكتُ غيباً من غيوب الله إلا وعمامته تحت قدمي.

ولقد أخبرني الأستاذ مكين الدين هذا قال: دخلت مسجد النبي دانيال بالإسكندرية بالدِّيماس، فوجدتُ النبيَّ المدفون هناك قائماً يُصلي، وعليه عباءةٌ مخطَّطة، فقال لي: تقدَّم، فصلِّ؛ فإنكم من أمَّةِ نبيٍّ لا ينبغي التقدُّم عليه. فقلت له: بحقِّ هذا النبي إلا ما تقدَّمتَ أنت، فصلّيتَ. قال: فأنا أقول بحقِّ هذا النبي إلا وقد وضعَ فمَه على فمي إجلالاً للفظ النبيِّ، كي لا تبرزَ في الهواء، قال: فتقدَّمتُ فصلّيت.

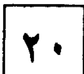
وأخبرني الأستاذ مكين قال: بتُّ ليلة بالقَرَافة، وكانت ليلةَ الجمعة، فلمَّا قام

الزُّوارُ وقمت معهم، وهم يتلون إلى أن انتهوا في التلاوة إلى سورة يوسف إلى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٥٨] وانتهوا في الزيارة إلى قبور إخوة يوسف، فرأيت القبرَ قد انشقَّ، وطلع منه إنسانٌ طويلٌ، صغيرُ الرأس، آدم اللونِ، وهو يقول: من أخبركم بقصَّتنا؟ هكذا كانت قصتنا.

ولقد كنت يوماً مضطجعاً وأنا ساكنٌ مطمئن، فوجدتُ في قلبي انزعاجاً على بغتةٍ، وباعثاً يبعثني على الاجتماع بالأستاذ مكين الدين رضي الله تعالى عنه، فقمت مسرعاً، فدققتُ عليه الباب، فخرج، فلمَّا وقعَ نظرُه عليَّ قال لي: أنت ما تجيء حتَّى يسيرَ النَّاسُ خلفك. وتبسَّم في وجهي، فقلت له: سيدي، قد جئتُ. فدخل، وأخرج لي وعاءً، وقال لي: هذا الوعاء اذهب به إلى الأستاذ أبي العباس، وقل له: قد كتبتُ آياتٍ من القرآن، ومحوتُها بماء زمزم[1]، وشيءٍ من العسل. فذهبتُ بذلك إلى الأستاذ، فقال لي: ما هذا؟ قلت: أرسله إليكم الفقيهُ المكين الأسمر، فأدلى فيه إصبعاً واحداً، وقال: هذا بحسب البركة، وفرَّغَ الوعاء، وملأه عسلاً، وقال لي: اذهب به إليه. فذهبتُ بذلك، ثم عدت إليه بعد ذلك فقال لي: رأيتُ البارحة ملائكةً أتوني بأوعيةٍ من زجاج مملوءةٍ شراباً، وهم يقولون: خذ هذا عوضَ ما أهديتَ الأستاذ أبي العباس. انتهى كلام ابن عطاء الله رضي الله عنه في «لطائف المنن».

وكرامات سيدي مكين الدين لا تُحصر، كان رضي الله عنه في زمنه شيخَ القرَّاء، قرأ عليه ناسٌ كثيرون وجماعة آخرون.

توفي نفعنا الله به بإسكندرية سنة ٦٩٢ ومولده بها سنة ٦١٠، ودفن إلى جانب سيدي أبي العباس المُرسي رضي الله عنه في ضريحٍ أُعدَّ له، ومقامُه ثَمَّ ظاهرٌ يُزار ويُتبرَّك به، نفع الله به المسلمين.



٢٠

أبو العباس أحمد بن عَلْوان اليمني[2]

(... ـ ٦٦٥)

الشيخ الكبير المشهور، الولي العارف، شيخُ الطريقة العلوانية، نسبتُه إلى

(١) زمزم: بئر بمكة عند الكعبة غير منصرف للعلمية والتأنيث. و(ماءُ زمزم): كثير.
(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١٧٠، وجامعة الرياض ٧/ ٧، ومخطوطات حضرموت.

ذاته رضي الله عنه سيدي أبو العباس حنفي الدين[١] أحمد بن علوان اليمني الأحمدي الشاذلي.

أحدُ أصحاب سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه صحبه في أوائل جذبه بمكّة، وأخذ عنه، وانتسب إليه، وسافر إلى بلاده، ونشر الطريقة بها.

كان أبوه كاتباً يخدم الملوك، ونشأ هو على طريقةِ أبيه من الاشتغال بالكتابة، وقرأ في العلوم والفنون، وصار في خدمة السلطان إلى أن أتاه حالٌ جذبه، فبينما هو في في الطريق إذا وقعَ على كتفه طائرٌ أخضرُ، فمدَّ منقاره إلى فمه، ففتح فاه، فصبَّ فيه الطائر شيئاً، فابتلعه، فرجع من فوره، ولزم الخلوة من حينه، اعتكفَ أربعين يوماً، ثم خرج وقعد على صخرةٍ عظيمة يذكر الله تعالى، فانفلقتِ الصَّخرةُ عن كفٍّ، وسمع قائلاً يقول: صافح هذا الكفَّ. فقال: ولمن هو؟ فقيل له: هذا كفُّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فصافحه، وسمع قائلاً يقول: قد نصَّبتُكَ شيخاً.

ثم ألقى الله تعالى له القبولَ والمحبَّة في قلوب العالم، وتبعه خلقٌ كثير من الناس، وظهرت كراماته، وتواترت مُكاشفاته.

وكان له كلامٌ حسن في الوعظ والتصوف بأشعار القوم، وله كتبٌ كثيرة جمعَ فيها فصولاً كثيرةً من أنواع التصوف.

وكان رضي الله عنه يتكلَّمُ بلغات شتى، ويقول شعراً حسناً، وله ديوانُ شعرٍ متداولٌ بأيدي الناس، وغالبُ شعره في التصوف، ومن كلامه رضي الله عنه:

معاني الحبِّ سقياها	لمن يُعطى عطاياها
أتتك الخودُ الحبِّ	تتلوها هداياها[٢]
معانيها مغانيها	وريَّاها حميَّاها
فكن ثبتاً لمرآها	إذا أبدتْ محيَّاها
بسلطانٍ كسلطان	به خفَّت رعاياها
براها الله من نور	به فاقتْ بَراياها

وشعره كلُّه جيِّدٌ على هذا الأسلوب.

وكانت له كرامات كثيرة مشهورة.

وكانت وفاته في شهر رجب سنة ٦٦٥ رحمه الله تعالى، ودُفن في قريته

(١) في الأعلام ١/ ١٧٠: صفي الدين.

(٢) الخَوْدُ: الفتاة الشابة الحسنة الخَلْق (ج) خودٌ، وخودات.

يَفْرُس وهي على نحو مرحلةٍ من مدينة تعز، وقبره بها ظاهرٌ معروف مقصودٌ للزيارة والتبرُّك من الأماكن البعيدة؛ لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع، نفع الله به وبسائر عباده الصالحين آمين.

٢١

سيدي أبو عبد الله بن عباد الخطيب[١]

(٧٣٣ ـ ٧٧٧)

شيخ مشايخ الإسلام، وكعبةُ القاصدين من الأنام، حجَّةُ الله، الوليُّ الكامل، والشيخُ الفقيه العامل، المصنِّفُ السالك، العارف المحقق الرَّباني، والقطب الفرد الصمداني، ذو العلوم الباهرة، والمحاسن المتطاهرة، سليلُ الخطباء، ونتيجة العلماء، البليغ الوجيه، النَّسيبُ الحسيب سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ، وملاذُ أهلِ التمكين والرسوخ، الشاربُ من صافي الشراب، والآتي من الحقائق ما أبهر العقولَ والألباب، وليُّ الله الأكبر، وغوث الله الأشهر، سيدي الشيخ الفقيه الخطيب، الخاشع الخاشي الأستاذ العارف بالله مولانا سيدي محمد بن مولانا سيدي عبد الله بن مولانا سيدي مالك بن مولانا سيدي أبي إسحاق إبراهيم بن مولانا سيدي محمد بن مولانا سيدي مالك بن مولانا سيدي إبراهيم بن مولانا سيدي يحيى بن مولانا سيدي عباد، النَّفْزي[٢] نسباً، الرُّنديُّ مولداً، الشاذلي طريقةً ومشرباً، الفاسي مزاراً وداراً، الشهير بابن عباد الصوفي الزاهد الولي.

ولد رضي الله عنه وأرضاه ببلدته رُندة[٣] عام ٧٣٣، وكان والده قدّس الله سره العالي من الأولياء ومن الخطباء، وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات، فأخذ في تحصيل العلوم، فأخذ علومَ أسرار القرآن من تفسيرٍ وقراءة

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٥/ ٢٩٩ وفيه اسمه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، (٧٣٣ ـ ٧٩٢هـ)، ومعجم المطبوعات ١٥٧، والكتبخانة ٢/ ٩٧ ثم ٤/ ٢٥٦، ومجلة معهد المخطوطات ٤/ ١٨٤، وسلوة الأنفاس ٢/ ١٣٣ ـ ١٤٢، والكتيبة الكامنة طبعة بيروت ٤٠ وهو فيه: «أبو عمرو، محمد بن يحيى بن إبراهيم».

(٢) النفزي: نسبة إلى نَفْزَة: مدينة بالمغرب بالأندلس، ونفزة: قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة. (معجم البلدان ٥/ ٢٩٦).

(٣) رُندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكُرُنّا، وهي مدينة قديمة على نهر جارٍ وبها زرع واسع وضرع سابغ. (معجم البلدان ٣/ ٧٣).

عن والده، وقرأ عليه كتاب «قوت القلوب»[١] لأبي طالب المكي، وأجازه بما فيه، وأخذَ علمَ العربية عن خاله، ثم أخذ في طريق التصوف بعد أن امتلأ من العلوم الشرعية، فأخذ في المباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، وتكلَّم في علوم الأحوال والمقامات، والعلل والآفات، فأحلَّ كثيراً من المشكلات، وألف تآليفَ عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة.

وكان رضي الله عنه الغالب عليه الحياءُ من الله تعالى، والتذلُّل بين يدي عظمته، وتنزيله نفسه منزلة الحشرات، لا يرى لنفسه مزيةً على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنة، ولم يتزوَّج قطُّ، ولم يَملك أمةً[٢]، ولباسه في داره مرقعةٌ، فإذا خرجَ سترها بثوب أبيض أو أخضر، وكان مع ذلك آيةً في التحقق.

وكان ذا صمتٍ، وسمتٍ[٣]، وتجمُّلٍ، وزهدٍ، وتواضعٍ، وعفاف، مُعوّلاً في حل المشكلات على فتح العلام العليم، كثيرَ الوقار والحياء، جميلَ اللقاء، حسن الخُلُقِ والخَلْقِ، عالي الهمَّةِ مُتواضعاً، مُعظَماً عند الخاصة والعامة.

قال الإمام القسنطيني: كنتُ إذا طلبتُه للدُّعاء احمر وجهه واستحيا كثيراً، ويدعو لي.

وكان أكثرُ تمتُّعهُ من الدنيا بالطيب والبخور[٤] الكثير، ويتولى خدمة نفسه.

وكان الذي طلبه في وضع الشرح على «الحكم العطائية» سيدي أبو زكريا السراج فلم تسعه مخالفته، وقد قرَّبَ بها رضي الله عنه حقائقَ الشاذلية، كما قرَّب ابن رُشد مذهب الإمام مالك. قال سيدي أحمد بن زرُّوق: شرحتُ «الحكم» ستة وثلاثين شرحاً، فأبى اللَّهُ إلا ابنَ عباد في الظهور والاستعمال.

ورحل رضي الله عنه إلى طنجة[٥]، وفاس[٦]، والتلمسان[٧]، وقدم إلى

---

(١) كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» في التصوف لأبي طالب محمد بن علي بن عطية العجمي ثم المكي المتوفى سنة ٣٨٦ ببغداد. قالوا: لم يصنف مثله في دقائق الطريقة ولمؤلفه كلام في هذه العلوم لم يسبق إلى مثله. (كشف الظنون ١٣٦١).

(٢) الأَمَةُ: المرأة المملوكة (خلاف الحُرَّة) (ج) إماءٌ.

(٣) السَّمْت: الطريق والمذهب أو حُسن القصد والمذهب في الدين والدنيا.

(٤) الطِّيبُ: كُلُّ ما يُتطيَّبُ به من عطر وبخور وعود وغير ذلك (ج) أطياب وطُيوب. البَخُورُ: ما يُتبخَّرُ به من عود ونحوه، ويُعطي رائحة ذكية حين إحراقه.

(٥) طَنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر. (معجم البلدان ٤/ ٤٣).

(٦) فَاس: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر. (معجم البلدان ٤/ ٢٣٠).

(٧) تِلِمْسان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان، بينهما رمية حجر. إحداهما قديمة والأخرى حديثة (معجم البلدان ٢/ ٤٤).

سلا[١]، فلقي بها الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع سيدي **أبا العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر** الولي المشهور، فأقام معه، وصحبه سنينَ عديدة، وأخذ عنه طريقةَ الشاذلي، وانقطعَ إليه، ولازم خدمته إلى أن تُوفي رضي الله عنه، وقبره بسلا مَحطُّ رجاء الطالبين، وكعبةُ قصد الراغبين، تلوح عليه أنوارُ العناية، وتُستمدُّ منه أنواء الهداية، وهو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة، والناسُ يشدُّون الرحال إليه من سائر بلاد المغرب الأقصى والأدنى، ويستشفون بتراب ضريحه الشريف، وكانت وفاته رضي الله عنه ونفع به عام ٧٧٧، فرحلَ سيدي ابنُ عباد بعد وفاته إلى حضرة فاس، حرسها الله من كل باس، وتولَّى الإمامة والخطابة بمسجد القرويين من حضرة فاس، ومكثَ بها خمسةَ عشر عاماً، يُدرسُ، ويخطب، ويعظُ الناس.

وله خطبٌ مدوَّنةٌ بالمغرب، مشهورة بأيدي الناس، يقرؤونها، فيما يتعلَّق بمولد النبي ﷺ بين يدي السلطان تبرُّكاً.

وله رضي الله عنه تلامذةٌ أخيار مباركون.

وكان رضي الله عنه ممَّا منَّ الله به عليه تألُّفُ قلوبِ الصغار، فهم يحبُّونه محبَّةً تفوق محبتهم لآبائهم وأمهاتهم، وينتظرون خروجَه للصلاة، وهم عددٌ كثير، يأتون من كلِّ درب، ومن المكاتب البعيدة، فإذا رأوه ازدحموا على تقبيل يديه، وكذا كان ملوكُ زمانه يزدحمون عليه، ويتذلَّلون بين يديه.

وكان إذا خطبَ في الناس أبكاهم كبيراً وصغيراً، وكثيراً ما كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١] وكانت تجتمع عمومُ أهل المغرب يوم الجمعة للصلاة وراءه، حتى السلطان وحاشيته وأتباعه، حتى لم يبقَ بالمسجد مكانٌ خالٍ من الناس.

ورفعت بعضُ أهل المغرب تظلماً من الوالي، فخطب بحضرة الوالي والشهود: من الأمور المستحسنة أن لا يبقى الوالي سنة، فكان كما قال.

وكان شيخه رحمه الله يقول: ابن عباد أمة وحده، ويشير إليه.

وكان رحمه الله يشيد بذكره، ويقدِّمه على سائر أصحابه، ويأمرهم بالأخذ عليه، والانتفاع به، والتسليم له، ويكرِّرُ قوله: ابن عباد أمةٌ وحده، ولا شك كذلك.

ومن كراماته رضي الله عنه قال الشيخ أبو مسعود: كنت أقرأ في صحن جامع

---

(١) سَلا: مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها: غرنيطوف. (معجم البلدان ٣/ ٢٣١).

القرويين، والمؤذنون يؤذنون بالليل، فإذا بأبي عبد الله بن عباد خرجَ من باب داره، وجاء يطيرُ في الصحن، وهو جالسٌ متربّعٌ حتى دخل في البلاط إلى أن وصل إلى الصومعة(١)، فمشيتُ فوجدته يُصلّي حول المحراب(٢).

وهو رحمه الله عند أهل فاس بمثابة الشافعي بمصر توفي رضي الله عنه بعد صلاة العصر يوم الجمعة بداره ٤ رجب سنة ٧٩٢، ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح.

ولما احتُضر جعلَ رأسه في حجر أبي القاسم من أصحابه، وأخذ يقرأ آية الكرسي إلى أن وصل إلى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فصار يكرِّرُها، فلقَّنه بعضُ الحاضرين بقيّة الآية الشريفة؛ ظناً منه أنه غيرُ قادرٍ على كمالتها، فقال رضي الله عنه بلسان فصيح:

ما عوَّدوني أَحبابي مقاطعةً ... بل عوَّدوني إنْ قاطعتُهم وصلوا

وكان هذا آخرَ كلامه رضي الله عنه، وأمدَّنا بأسراره.

وحضر جنازته السلطانُ أميرُ المسلمين أبو العباس أحمد، وخواصُّ أتباعه وفاساً العتيق التي هي محلُّ الأعلام من الخاصِّ والعام، وفاساً الجديد التي هي محلُّ الأمراء والأعيان، وأرباب المناصب، وذوي الشأن، وبعد أن دفنوه رضي الله عنه همَّتِ العامةُ بكسرِ نعشه تبرُّكاً به.

ومقامُه من الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء، وعليه قبَّةٌ مبنية معقودة، وضريحٌ يزوره الكبيرُ والصغير، ويتوسَّلُ إلى الله به الغني والفقير، وذو الحاجة والعليل، وما استجار به أحدٌ إلا أجاره.

وله رضي الله عنه كلامٌ في التصوف عالٍ، فمن أراد الوقوف عليه فليراجع تآليفه، وقد ترجمه بتراجم حافلة كثيرٌ من ساداتنا أهل المغرب، ألَّفوا في مناقبه مُجلدات، منهم الإمام سيدي أحمد بن زرُّوق ألف كتاباً مستقلاً في مناقبه وفضائله، وما ذكرت إلا نقطةً من بحرٍ تلاطم بالأمواج، ففضائلُه لا تُحصى، ومناقبه لا تُستقصى، فهو بحرٌ محيط لا ساحلَ له، اللهم، إنَّا نسألك بسرِّه لديك، ومكانته عندك يا الله يا الله يا الله، أن تمدَّنا بأسراره، وتنفحنا بأنواره، وتُميتنا على حبِّه وحبِّ أوليائك وأحبائك يا الله، اللهم، إنَّا قد رفعنا حوائجنا إليك يا الله، فبسرِّه لا تردَّنا خائبين، واجعلنا من الذين تجري من تحتهم الأنهار في جنات

---

(١) الصَّومعةُ: مُتعبَّدُ الناسك ومنار الراهب إذا كان محلُّهُ مرتفعاً كأن يكون على جبل.
(٢) المحراب: مقام الإمام في المسجد.

النعيم، واجعلْ آخرَ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين. آمين آمين آمين، لا أرضى بواحد حتى أقول ألف آمين.

٢٢

أبو الفتح سيدي تقي الدين بن دقيق العيد(١)
(٦٢٥ ـ ٧٠٢)

محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، أبو الفتح تقي الدين ذاتاً ونعتاً، والسالكُ الطريق التي لا عوجَ فيها ولا أَمْتاً(٢)، الشيخ الإمام، علامة العلماء الأعلام، ذو العلوم الشرعية، والمعارف الصوفية، كان رحمه الله آيةً من آيات الله، قالت علماءُ عصره: إنه رأس المئة السابعة. ولا شكَّ أنه كذلك، فقد جمع رحمه الله بين العلمِ والعبادة والزهد والورع. ومناقبه رحمه اللَّهُ كثيرةٌ. وقد ترجمه غيرُ واحدٍ، وكان رحمه الله من أصحاب الكرامات الخارقة.

ولد ووالده متوجِّهٌ إلى الحجاز الشريف في البحر المالح يوم السبت خمس وعشرين من شهر شعبان عام ٦٢٥ بساحل يَنبع، البحر المالح، ثم إنَّ والده أخذه وطافَ ودعا الله تعالى أن ينشئه عالماً عاملاً، وكان كما قال، فإنه نشأ رحمه الله محباً للعلم، فبدأ بقراءة كتاب الله العظيم حتى حصل منه على حظٍّ جسيم، ثم رحل في طلب الحديث إلى دمشق والإسكندرية، فسمع من الحافظ المُنذري.

وكان رحمه الله يدرِّسُ الحديث ويُمليه بدار الحديث الكاملية، وكان يحضر مجلسه أفاضلُ أهل عصره.

وكان قدس سره كريماً جواداً سخياً تولّى النيابة بمصر.

وكانت له كراماتٌ تُنسب إليه، وكان السلطان يُقبِّلُ يديه، وله مكانةٌ رفيعة عند الأمراء وأرباب الجاه والمناصب.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٢٨٣، وفوات الوفيات ٢/ ٢٤٤، وخطط مبارك ١٤/ ١٣٥، وإحكام الأحكام ١/ ١٤ ـ ٤٣ طبعة مصر سنة ١٣٧٢هـ، والطالع السعيد ٣١٧ وفيه ص٢٣٧ ما مؤداه أن جدّ أبيه كان عليه طيلسان شديد البياض في يوم عيد، فقيل: كأنه دقيق العيد، فلقب به، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٩٩.

(٢) الأَمْتُ: المكان المرتفع. و ـ: الاختلاف في المكان ارتفاعاً وانخفاضاً، ورقة وصلابة. و ـ: العِوَج و ـ: العيب أو الضعف والوهن (ج) أُمُوتٌ.

وله تصانيف عديدة منها كتاب «الإلمام»[(١)] وهو كتابٌ بديع، وله نثرٌ أحسنُ من الدرر، ونظمٌ أبهجُ من عقود الجوهر.

وكان رحمه الله يُحاسب نفسه على الكلام، ويأخذُ عليها بالملام.

توفي يوم الجمعة حادي عشر صفر عام سبع مئة واثنين، ودُفن يوم السبت بسفح المقطَّم بجوار شيخه سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنهما، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً عزيزاً في الوجود، سارع الناسُ إليه، ووقفَ جيشُ مصر ينتظرُ الصلاة عليه رحمه الله تعالى.

وقد زرته، ووجدت عليه قبةً معقودة، وضريحاً قد نُقش بالآيات القرآنية بالخطِّ الجميل داخل زاويةٍ مفردةٍ، ورأيتُ على هذا المقام من التجلي والإكرام ما تنشرحُ لرؤيته الصدورُ ببركة أسراره، وضريحه قبل ضريح شيخه ببضع خطوات. اللهم انفعنا وأمدَّنا بإمداداتهم. آمين.

٢٣

سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري[(٢)]

(. . . ـ ٧٠٩)

الأستاذ الإمام، قطبُ العارفين، وتُرجمان الواصلين، مُرشد السالكين، مُنقذ الهالكين، مُظهر شموس المعارف، ومُبدي أسرار اللطائف، الواصل إلى الله، والموصل إليه تاج الدين ومنبع أسرار الواصلين أبو الفضل سيدي أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً، القَرَافي مزاراً، الصوفيُّ حقيقةً، الشاذلي طريقةً، أعجوبةُ زمانه، ونخبة عصره وأوانه، الجامع لأنواعِ العلوم، من تفسيرٍ، وحديثٍ، وفقهٍ، وتصوف، ونحوٍ، وأصولٍ، وغير ذلك.

---

(١) كتاب «الإلمام في أحاديث الأحكام» للشيخ تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد الشافعي المتوفى سنة ٧٠٢ جمع فيه متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد ثم شرحه وبرع فيه وسماه الإمام. قيل: إنه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه لما فيه من الاستنباطات والفوائد لكنه لم يكمله. (كشف الظنون ١٥٨).

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، والرحلة العياشية ١/ ٣٥٧، وكشف الظنون ٦٧٥، وخطط مبارك ٧/ ٦٩ وفيه وفاته سنة ٧٠٧هـ، ومعجم المطبوعات ١٨٤، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١١٦.

كان رضي الله عنه ونفعنا بأسراره مُتكلِّماً على طريق أهل التصوف واعظاً، انتفعَ به خلقٌ كثير وسلكوا طريقه، وقد شهد له شيخه بالتقديم قال في «لطائف المنن»: قال لي الأستاذ: الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين. يريد مذهب أهل الشريعة ومذهب أهل الحقيقة.

وقال فيه أيضاً: والله لا يموتُ هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله تعالى.

قال رحمه الله: ودخلتُ عليه ذات يوم، فلمّا دخلتُ عليه قال: لا تطالبوا الأستاذ بأن تكونوا في خاطره، بل طالبوا أنفسكم بأن يكون الأستاذُ في خاطركم، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده.

وقد كنتُ قد حدَّثتُ بعضَ أصحابه: أريدُ لو نظرَ إليَّ الأستاذ بعنايته، وجعلني في خاطره، ثم قال لي: أيَّ شيءٍ تريد؟ واللَّهِ، ليكونن لك شأنٌ عظيم، واللَّهِ، ليكونن لك شأن عظيم، والله، ليكونن لك كذا وكذا. فكان كما أخبر.

وقال رضي الله عنه في «لطائف المنن»: جرتْ مُخاصمةٌ بيني وبين أحدِ أصحاب سيديَ أبي العباس المرسي قبل صحبتي له، وقلت لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدَّعون أموراً عظيمة، وظاهر الشرع يأباها. قال رحمه الله: وسببُ اجتماعي به أن قلتُ في نفسي بعد أن جرتِ المُخاصمة: دعني أذهب، أنظر إلى هذا الرجل؛ فصاحبُ الحقِّ له أَمارات. قال: فأتيتُه، فوجدته يتكلَّمُ في الأنفاس التي أمرَ الشارعُ بها، فأذهب الله ما كان عندي، وصار رحمه الله من خواصِّ أصحابه، ولازمه اثني عشر عاماً حتى أشرقت أنواره عليه، وصار من صدورِ المقربين.

وله مؤلفات رحمه الله مُتداولةٌ سارت بذكرها الركبان منها: «الحكم العطائية»[1] وهي أفضل ما صُنِّف في علم التوحيد، وأجلُّ ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كلُّ سالك ومُريد، ذاتُ عبارات رائقة، ومعان حسنة فائقة، قصد فيها إلى إيضاح طريق العارفين والموحّدين، وإبانة مناهج السالكين والمتجرّدين. وله كتاب

---

(١) كتاب «الحكم العطائية» للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٩، وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الأحياء وزيادة ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رقّ لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيراً. (كشف الظنون ٢/ ٦٧٥).

«التنوير»[١] وكتاب «مفتاح الفلاح»[٢] في الذكر ومراتبه. وكتاب «تاج العروس»[٣] وكتاب «عنوان التوفيق» وهو شرح لقصيدة العارف بالله سيدنا أبي مدين التلمساني، وكتاب «القول المجرد في الاسم المفرد» وله غير ذلك.

توفي رحمه الله بالمدرسة المنصورية بمصر ثالث عشر جُمادى الآخرة سنة ٧٠٩، ودفن بسفح الجبل المقطَّم بزاويته التي كان يتعبَّدُ فيها، ومقامه يُزار، يعرفُهُ الكبيرُ والصغير، ويَتوسَّلُ به إلى الله الغني والفقير. نفع الله به المسلمين.

٢٤

سيدي عبد العال الأحمدي

(... ـ ٧٣٠)

أجلُّ أصحاب سيدي أحمد البدوي، كان رضي الله عنه من صدورِ المقرّبين، ومن أكابر العارفين، وقد أشرقت عليه أنوارُ شيخه، وسرى مددُه فيه كسريان الماء في العود الأخضر، فهابته الناسُ وأجلَّته العيون، وخافته الأُمراء، وعملوا له حساباً، كان واعظاً مُرشداً مسلكاً، تخرّجَ على يديه من السادات الأحمدية ما يَفتخرُ بهم الزمان.

ولد قدس الله سره ببلدة فيشا[٤] المنارة، ولما دخل سيدي أحمد إلى مصر قبل دخوله على طندتا مرَّ على ناحية بلدهم، وكانت عينُه وارمةً، فمرّ على سيدي عبد العال، وكان إذ ذاك صغيراً يلعبُ مع الصبيان، فطلب سيدي أحمد منه بيضةً من بيض الدجاج، يجعلُها على عينه، فقال سيدي عبد العال لسيدي أحمد: وتعطيني هذه الجريدةَ الخضراء التي في يدك. قال له: نعم. وأعطاها له سيدي أحمد، فأخذها وانطلق إلى أُمِّه، وطلبَ منها بيضةً من بيض الدجاج، فقالت: ما عندنا من البيض شيءٌ. فرجعَ إلى الأستاذ، وقال له: طلبتُ من أمي البيضة فذكرت لي أن ما عندها شيء من البيض. فقال له سيدي أحمد: ارجعْ إلى

---

(١) كتاب «التنوير في إسقاط التدبير» للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني المتوفى سنة ٧٠٩، ذكر أنه ألفه بمكة المكرمة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه فوائد ولم يرتبه وإنما هو كلمات من حيث الورود قال: إذا طالعه المريد الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية. (كشف الظنون ١/ ٥٠٢).

(٢) انظر كشف الظنون ٢/ ١٧٦٩.

(٣) انظر كشف الظنون ١/ ٢٦٩.

(٤) فيشة المنارة: بليدة بمصر من كورة الغربية. (معجم البلدان ٤/ ٢٨٥).

الصومعة الفلانية تجدْها مملوءةً من البيض. فأخذتْ أمُه منها واحدةً، وخرجت مع ولدها مع سيدي أحمد. ورأت ولدَها يتبعه، لا يستطيعُ أن يمنع نفسَه عن اتباعه، فقالت: يا بدويَّ الشؤم علينا. فقال لها سيدي أحمد قولي: يا بدويَّ الخيرِ، سيصيرُ لولدك هذا شأنٌ عظيم. فقالت: من أين عرفت ولدي؟ فقال لها: من يوم ما أخذه الثورُ وشرد به، ولم يستطع أحدٌ أن يأخذه من قرنه، فمدَّيتُ يدي فأخذته، ومن ذلك الوقت تبعه سيدي عبدُ العال، وكان من أمرِه كما ذكر سيدي أحمد رضي الله عنه.

وكرامات سيدي عبد العال كثيرة منها: أن شخصاً راودَ امرأةً عن نفسها في قبته، فسمّره، ويَبَّسَ أعضاءه، فصاحَ حتى كاد أن يموت، فمضى الخبرُ إلى أحدِ الفقراء، فأتى ضريحَ سيدي عبد العال، وقرأَ الفاتحة، وسأله الصفحَ، ودعا الله تعالى، فانتشرت أعضاؤه، وتاب وأناب، وصار من أصحابه.

وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده، وبين الفقراء الأحمدية رضي الله تعالى عنه.

وكانت وفاته عام سنة ٧٣٠، ودفن بجوار شيخه بالمقام الأحمدي، وقد زرتُه المرَّةَ بعد المرة، وشاهدتُ من كراماته وإمداداته ما قادني إليه، اللهم انفع به المسلمين. آمين.

٢٥

سيدي ياقوت العرشي[1]

(٦٢٧ ـ ٧٠٧)

أبو الدُّرّ بن عبد الله الحبشي كان شيخاً صالحاً، ذا هيبةٍ ووقار، إماماً في المعارف عابداً زاهداً، وهو من أجلِّ من أخذ عن الشيخ أبي العباس المُرسي رضي الله عنه.

وأخبر به سيدي أبو العباس رضي الله عنه يوم ولدَ ببلاد الحبشة، وصنعَ له عصيدةً[2] أيام الصيف في الإسكندرية، فقيل: إن العصيدةَ لا تكون إلا في أيام الشتاء. فقال: هذه عصيدةُ أخيكم ياقوت، ولد ببلاد الحبشة، سوف يأتيكم. فكان الأمر كما قال.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٢٢ وفيه وفاته عام ٧٨٧.

(٢) العَصيدةُ: دقيق يُخلط بالسمن ثم يُطبخ (ج) عصائد.

وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بنِ اللبان، لما أنكرَ على سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وسلبَ علمَه وحاله، بعد أن تَوسَّلَ بجميع الأولياء.

وسُمِّي العرشي لأنَّ قلبَه كان لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلا جسده، وقيل لأنَّه كان يسمعُ أذانَ حملة العرش.

وكان رضي الله عنه يشفعُ حتَّى في الحيوانات، وجاءته مرةً يمامةٌ[1]، فجلست على كتفه، وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرَّتْ إليه شيئاً في أُذنه، فقال: بسم الله، ونرسل معك أحداً من الفقراء. فقالت: ما يكفيني إلا أنت. فركب بغلةً من الإسكندرية، وسافر إلى مصر العتيقة، ودخل إلى جامع عمرو، فقال: اجمعوني على فلان المؤذن، فأرسلوا وراءه، فجاء، فقال: هذه اليمامة أخبرتني بالإسكندرية أنَّك تذبح فراخها كلَّما تُفرّخ في المنارة. فقال: صدقت، قد ذبحتُهم مراراً. فقال: لا تعدْ. فقال: تبتُ إلى الله تعالى. ورجع الأستاذ إلى الإسكندرية، رضي الله تعالى عنه.

ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر وغيرها.

توفي رضي الله عنه بالإسكندرية ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع مئة وسبع عن ثمانين عاماً، ومقامه بالإسكندرية رحمه الله كعبةُ الزُّوار، تقصده الناسُ كبيرُهم وصغيرهم للزيارة والتبرُّك، نفعنا الله به.

٢٦

سيدي أبو القاسم الطهطاوي[2]

(... ـ ٧٦٢)

الغوث الرباني، والعارف الصمداني، القطب الذي دارت به رحى التصرفات، والوليُّ المشهورُ الذي ضمَّ إلى شرف الذات شرف الصفات، صاحبُ الكرامات الباهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات العلية، والمواهب اللدنية سيدي جلال الدين أبو القاسم بن السيد عزّ الدين بن السيد يوسف بن السيد رافع بن السيد جندي بن السيد سلطان بن السيد أحمد بن السيد حجون بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد إسماعيل بن السيد جعفر

---

(١) اليمامة: واحدة اليمام: الحمام البري. وهو جنس طير من الفصيلة الحمامية ورتبة الحماميات.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٥/ ١٧٧، والثغر الباسم في مناقب سيدي أبي القاسم.

الزكي بن السيد محمد المأمون بن السيد أبي الحسن علي بن السيد حسين الجور بن السيد محمد الديباج بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين ابن سيدنا ومولانا الحسين رضي الله عنه ابن مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

كان رضي الله عنه من أكابر الأولياء والمشايخ بالديار المصرية، وأعيانِ العارفين المقرّبين، وأئمةِ المحقّقين البارعين، والعلماء العاملين الجامعين بين علمي الشريعة والحقيقة، ومن أصحاب الكرامات الباهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والحقائق النفيسة، وهو أحدُ من أظهره الله تعالى في الوجود، وصرَّفه في العالم، وقلب له الأعيانَ، وخَرَقَ له العادات، وأَنطقه بالمغيَّبات، ورفع مكانته بين الخلق، وملأ الصدور من هيبته، وأيَّده بلزوم الأحكام الشرعية، وحفظ قانون العبودية، كان عالماً ورعاً زاهداً خاشعاً متواضعاً ناصحاً لعباد الله.

ولد رحمه الله تعالى ببلدته طهطا، وأصلُ أجداده من تلمسان، وقبيلتُهم غمارة قبيلةُ السيد أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ونشأ بطهطا، وقد بشَّر به وهو في ظهر أبيه القطبُ سيدنا محمد الهلالي العريان المدفون بالقَرَافة الصُّغرى المعروفة بقَرَافة الإمام الشافعي، وقبرُه بزاويته يُزار، ولما ولد سيدنا أبو القاسم رضي الله عنه حضر سيدنا محمد العريان أثناءَ وضعه، فوُضع أطمسَ البصر، فأخذه سيدنا محمد، وصار يتفلُ بريقه في عينيه، ويمسحُ بيديه عليهما إلى أن فتحهما، وقال لوالده: احفظْ هذا المولود؛ فإنه يكون له شأنٌ عظيم، ويرثُ مقامي من بعدي.

فكان بدايته رضي الله عنه يسيحُ في الجبال، ويلازم البراري والقفار، ويقتاتُ من أعشابها إلى أن أُذِن له في البروز، فبرزَ وربّى المريدين، وأرشد السالكين، فانتشر ذكرُه، وشُدَّت إليه الرحال، ونزلت بساحته الرجال.

وكان رحمه الله تعالى ذا سمتٍ حسنٍ وبسط، كان يغلبُ عليه الحالُ، فيقول: أوتيت سيفاً صقيلاً ماضي الحدِّ، أَحدُ طرفيه بالمشرق والآخر في المغرب، لو أَشرتُ به إلى الجبال الشامخات لكادت من حدَّته تنكب.

وكان يقول: أطلعني الله عزّ وجلّ على كلِّ شيءٍ في الوجود، فسألتُ الله تعالى أن يُعافني من ذلك، وأُعطيت حرف (كن) وزهدت فيه.

توفي رحمه الله تعالى فاتح شهر المحرم سنة اثنتين وستين وسبع مئة، ودفن بزاويته بطهطا، ومقامُه ظاهرٌ يُزار. اللهم انفعنا به وأحبتنا بمدده. آمين.

ومن ذرّيته شيخُنا العالم العامل الشريف مولانا السيد **محمد الدَّردير الهاشمي البكري الحسيني الشاذلي** رضي الله عنه، ونفع به وبأجداده رضي الله عنهم أجمعين.

٢٧

السادات الوفائية وسيدنا محمد وفا[1]

(٧٠٢ ـ ٧٦٥)

وإليه يُنسب هذا البيت العظيم.

قال القطب الشعراني رضي الله عنه في «الطبقات»: كان سيدنا محمد وفا من أكابر العارفين، وأخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء، صاحبُ الرتبة العلية، وكان أُمِّيًا، وله لسان غريب في علوم القوم، ومؤلفاتٌ كثيرة، ألَّفها في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشرٍ، فضلاً عن كونه كهلاً، وله رموزٌ في منظوماته ومنثوراته مُطَلْسمة إلى وقتنا هذا، لم يفكَّ أحدٌ فيما نعلم معناها.

وسُمِّي وفا لأنَّ بحر النيل توقَّف فلم يزد إلى أوان الوفاء[2]، فعزمَ أهلُ مصرَ على الرحيل، فجاءَ إلى البحر، وقال: اطلع بإذن الله تعالى. فطلعَ ذلك اليوم سبعة عشر ذراعاً، وأوفى، فسمُّوه وفا.

وله مؤلفات منها: «كتاب العروش» وكتاب «الشعائر»[3] وديوان عظيم، ومؤلفات أخرى.

ولد رضي الله عنه بالإسكندرية سنة سبع مئة واثنتين، ونشأ بها، وسلك طريقَ الأستاذ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه على يدِ الإمام المُسلِّك الكبير سيدي داود بن ماخلا، ثم توجَّه إلى إخميم[4]، فتزوَّجَ بها، وأنشأ بها زاويةً كبيرة، ووفدت عليه الناس أفواجاً، فُرادى وأزواجاً، ثم سارَ إلى مصر، وأقام

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٣٧ ـ ٣٨، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢١٧، وخطط مبارك ٥/ ١٤١، وجامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٢؛ وهو فيه «محمد بن محمد وفا» ووفاته سنة ٧٦٠هـ، والمجموعة النبهانية ٣/ ٣٣١، ودار الكتب ١/ ٣٧٢، والكتبخانة ٢/ ٦٥ و١١٢ و١١٧ و١٤١ ثم ٤/ ٢٣٧.

(٢) وفاء النيل: يرتفع منسوب مياه النيل في شهر آب، وبه تكثر الخيريات (صبح الأعشى).

(٣) كتاب «شعائر العرفان في ألواح الكتمان» للشيخ محمد الوفائي الشاذلي المتوفى سنة ٧٦٠ أوله الحمد لله ماحي السنن بالسنن ومكمل المنن بالمنن... إلخ مختصر ذكر فيه شعيرة كذا وشعيرة كذا. (كشف الظنون ١٠٤٧).

(٤) إِخْميم: بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد، وفي غربيّه جبل صغير. (معجم البلدان ١/ ١٢٣).

بالرَّوضة مُبتهلاً بالعبادة، مُشتغلاً بذكر الله تعالى، وطار صيتُه في الآفاق، واخترقَ ذكرُه مشارقَ الأرض ومغاربها أيَّ اختراق، ثم سكن القاهرةَ، وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول سنة ٧٦٥، ودُفن بالقَرَافة بين ضريح الأستاذ سيدي أبي السعود بن أبي العشائر، وسيدي تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنهما، بإشارة منه رحمه الله إذ قال:

ادفـنـونـي بـيـن سـعـد وعـطـا

محمد النجم

وأول قادم من المغرب إلى ثغرِ الإسكندرية جدُّه سيدي محمد النجم: كان رحمه الله من أصحاب الأحوالِ الباهرة، والكرامات الظاهرة، ترجمه غيرُ واحدٍ، واجتمعَ بالقطب سيدي إبراهيم الدُّسوقي رحمه الله، وأخذَ كلٌّ منهما عن صاحبه، ومولده بتونس، فإنَّ أصولَهم منها، ومن بلاد صفاقص وأحوازها، فاستوطن سيدي محمد النجم إسكندرية، وطابت له الإقامة، ورُزق فيها بابنه سيدي محمد الأوسط أبي مولانا محمد وفا.

محمد الأوسط

وكان مولانا محمد الأوسط مشهوراً بالولاية، ومن أصحابِ العلم والفضل. وتوفي رحمه الله شابًّا عن ولده محمد وفا، ودُفن بزاويتهم المعروفة بالزاوية النَّجمية، نسبةً لوالده محمد النجم المدفون بها بثغر الإسكندرية.

ولما تُوفّي مولانا محمد وفا رضي الله عنه تركَ ولديه مولانا عليّ وفا، ومولانا شهاب الدين أحمد.

علي وفا[1]

وكان مولانا عليٌّ إذ ذاك صغيراً، فنشأ مع أخيه في كفالة وصيِّهما الشيخ محمد الزَّيْلَعي، ولما بلغَ مولانا عليٌّ من العمر سبع عشرة سنة جلس مكان أبيه، وعمل الميعاد، فشاع ذكرُه في البلاد، وكثرتْ أَتباعه ومريدوه، وكان أكثرُ إقامته بالرَّوضة، وله أحزابٌ وأوراد وتوجُّهات وتصانيفُ كثيرة، وديوان شعر، توفي بمنزله في الرَّوضة يوم الثلاثاء اثنين من ذي الحجة سنة ثمان مئة وسبع، وله من الذُّكور أبو العباس أحمد، وأبو الطيب، وأبو الطاهر، وأبو القاسم، وقد ترجَمه غيرُ واحدٍ من الأعيان.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٥/ ٧، وطبقات الشعراني ٢/ ٢٠ وأرخ مولده سنة ٧٦١، والكتبخانة ٢/ ١٣٥ و١٣٦ ثم ٦/ ٧، والأزهرية ٥/ ١٠٦، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٨٣.

قال القطب الشعراني رضي الله عنه: كان مولانا عليّ وفا في غايةِ الفضل والكمال، والظَّرف والجمال، لم يُر في مصرَ أكملَ منه، ولا أجملَ وجهاً ولا ثياباً، وله نظمٌ شائع، وموشحات رقيقة نسجَ فيها أسرارَ أهلِ الطريق، وأُعطي لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء من أُعطي ذلك.

وكان رضي الله عنه كثير التحجُّبِ هو وأخوه مولانا شهاب الدين أحمد لا يخرجان إلا عند حملِ الميعاد.

ولما تُوفّي مولانا عليٌّ رضي الله عنه لم تُر قطُّ جنازةٌ مثل جنازته، كانت جماعته وأصحابُه يمشون أمامها، ويذكرونَ الله بطريقةٍ تلينُ لها قلوبُ الجفاة. ومولده بالقاهرة سنة ٧٥٩.

شهاب الدين أحمد بن وفا[١]

وأما أخوه شهاب الدين أحمد بن وفا كان رضي الله عنه عارفاً جليلاً، وسيداً نبيلاً، وكان أخوه مولانا علي وفا يقول عنه: هذا خزانة العلم، وأنا أُنفقُ منها. وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثمان مئة.

وينتهي نسبُهم الشريف إلى الأشراف الأَدارسة سكَّانِ المغرب الأقصى وأحوازه، أولاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله وجدُّهم مولانا إدريس[٢] الأكبر رضي الله عنه صاحبُ زَرْهُون[٣] ودفينُها، المُتوفّى سنة مئة وخمسين وسبعين عن ولده سيدنا ومولانا إدريس[٤] الأزهر مُنشِئ مدينة فاس رضي

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٣٨.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٧٩، والاستقصا ١/ ٦٧.

(٣) زَرْهُون: جبل بقرب فاس فيه أمةٌ لا يحصون. (معجم البلدان ٣/ ١٤٠).

(٤) إدريس بن إدريس (١٧٧ ـ ٢١٣هـ = ٧٩٣ ـ ٨٢٨م).

إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم. ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس، ولد في وليلى، وتوفى أبوه وهو جنين، فقام بشؤون البربر راشد وقتل راشد سنة ١٨٦هـ، فقام بكفالة إدريس أبو خالد العبدي، حتى بلغ الحادية عشرة، فبايعه البربر في جامع وليلى سنة ١٨٨هـ، فتولى ملك أبيه وأحسن تدبيره. وكان جواداً فصيحاً حازماً، أحبته رعيته، واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه، وغصت وليلى بالوفود والسكان فاختط مدينة فاس سنة ١٩٢هـ وانتقل إليها، وغزا بلاد المصامدة فاستولى عليها، وقبائل نفزة فانقادت إليه، وزار تلمسان ثم عاد إلى فاس. وانتظمت له كلمة البربر وزناتة، واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى وادي شلف. وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه وتوفي بفاس.

الأعلام ١/ ٢٧٨، والاستقصا ١/ ٧٠ ـ ٧٥، وابن خلدون ٤/ ١٣، والبيان المغرب ١/ ١٠٣، وجذوة الاقتباس ٩٥.

الله عنه، وسبب إنشائه لها لمَّا تمكَّن سلطانُه في المغرب، وصفا له الجو، وكثرتِ الوفود من العرب عليه، وضاقتْ بهم مدينة وَلِيلَى[١]، أَراد أن يَبني لنفسه مدينةً يسكنها هو وخاصَّتُه، ووجوه دولته، فركب يوماً في جماعةٍ من حاشيته، وخرجَ يتخيَّرُ البقاع، فوصل إلى جبلِ زالغ، فأعجبه ارتفاعه، وطيبُ هوائه وتربته، فشرع في البناء فيه فبنى بعضاً من الدور، ونحوَ الثُّلث من السور، فأتى السيلُ في بعض الليالي فهدمَ الدور والسور، فكفَّ عن البناء إلى أن بعث وزيره عُميرَ بنَ مُصعب الأزدي[٢] يرتاد موضعاً يبني فيه المدينة التي عزم عليها، فنزل هو وجماعةٌ من الحاشية حتى انتهى إلى فحصِ سايس، فأعجبه المحلُّ، فأوغل فيه حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادي فاس، فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف عن الستين عنصراً، فاستطابه، فرجع إلى مولانا إدريس الأزهر رضي الله عنه لينظر إلى البقعة، فأعجبته، فاشترى الغيضة[٣] من بني الخير، وبني يرغش، وأسلموا على يديه، وشرعَ في بناء المدينة، وانتقل إليها هو وأولاده، وبنى بها الجامعَ المعروف بجامع الأشياخ، وأقامَ فيه الخطبة، ثم أخذ في بناء جامع الشُّرفاء، فأتمَّه وأقام فيه الخطبة أيضاً، وبنى دارَه المعروفة بدار القيطون، التي يسكنها الشرفاء الجوطيون، وأدار الأسواق حوله وأمرَ الناس بالبناء، وقال لهم: من بنى موضعاً أو اغترسه فهو له. فبنى الناسُ من ذلك شيئاً كثيراً.

ولما فرغَ من بناء مدينة فاس، وحضرتِ الجمعةُ الأولى صَعِدَ المنبرَ، وخطب في الناس، ورفع يديه، وقال: اللهم، إنَّك تعلمُ أنِّي ما أردتُ ببناء هذه المدينة مباهاةً ولا مُفاخرةً، ولا رياء ولا سمعةً ولا مكاثرة، وإنَّما أردت أن تُعبَدَ بها، ويُتلى بها كتابُك، وتُقام بها حدودُك وشرائعُ دينك وسنةُ نبيك محمد ﷺ ما بقيتِ الدنيا، اللهم، وفِّقْ سكانها وقطَّانها للخير، وأعنهم عليه، واكفهم مؤونة

---

(١) وليلى: مدينة بالمغرب قرب طنجة. (معجم البلدان ٥/ ٣٨٤).

(٢) عُمير بن مصعب (توفي نحو ٢٢٥هـ = نحو ٨٤٠م).

عمير بن مصعب بن خالد بن هرثمة بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وزير من الأمراء تنسب إليه «عين عمير» على فرسخين من مدينة فاس. كان مع أبيه في الأندلس، ولما صارت خلافة المغرب إلى إدريس بن إدريس، وفد عليه عمير مع جماعة من الأزد، فاستوزره وولاه قيادة جيشه، وزوجه بنتاً له اسمها عاتكة. ولما بنى إدريس مدينة فاس، أنزله بالمكان الذي فيه العين فنسبت إليه، وكان من فرسان العرب وساداتها، توفي بفاس، وهو جد «بني الملجوم» من أعلام القضاة فيها.

الأعلام ٥/ ٨٩، وسلوة الأنفاس ٣/ ٢١٥.

(٣) الغيضةُ: الشجر الكثير الملتف. و ـ: الموضع يجتمع فيه الماء، فيبتلعه، فينبت فيه الشجر (ج) غياض وأغياض، وغيضات.

أعدائهم، وأدرر عليهم الأرزاق، واغمد عنهم سيفَ الفتنة والشقاق، إنك على كلِّ شيءٍ قدير. فأمَّنَ الناسُ على دعائه، فكثرتِ الخيرات بالمدينة، وظهرت بها البركات، وقد حقَّقَ الله دعاءه بفضله سبحانه وتعالى، قلَّما تجد فقيراً إلا وهو في سَعَةٍ من الرزق، وما من عام يمرُّ إلا وقد تخرج منها أولياء وصلحاء لا يُحصيهم إلا خالقُهم.

ومن محاسن حضرةِ فاس أنَّ نهرها يشقُّها نصفين، وتتشعبُ جداوله في دورها وحماماتها وشوارعها وأسواقها، وبها مساجدُ كثيرة، منها مسجد القرويين، وهذا المسجد يعدُّ أعظمَ مساجد الدنيا طولاً وعرضاً، له أربعون باباً، وسُمّي بالقرويين لما قِيل أن سبب انشائه فتاةٌ من القيروان، وجامع الأندلس، وجامع الديوان، وفيها غيرُ ذلك، وقد مدحها الفقيه ابن عبد الله المغيلي لما كان يلي خطة القضاء بمدينة آزمور، ويتشوّق إلى حضرةِ فاس حرسها الله من كل باس:

يا فاسُ حَيَّا اللَّهُ أرضَك من ثرى وسَقاكِ من صوبِ الغمام المُسبلِ
يا جنَّة الدُّنيا التي أربتْ على حمصَ بمنظرها البَهيِّ الأَجملِ
غُرفٌ على غُرفٍ ويجري تحتها ماءٌ ألذُّ من الرَّحيقِ السَّلْسَلِ[١]
وبساتنٌ من سُندسٍ قد زخرفت بجداولٍ كالأيم أو كالمفصلِ[٢]

وكان وفاة مولانا إدريس الأزهر رضي الله عنه ثاني جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومئتين، وعمره نحو ست وثلاثين سنة، ودفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقي منه، ومقامُه في حضرة فاس من الأماكنِ المقدَّسةِ، تُستشفى به أهلُ المغرب قاطبةً، وهو بمثابة الإمام أبي عبد الله الحسيني رضي الله عنه بمصر، تقصدُه الزّوارُ من الأماكن البعيدة، ويقرؤون عنده «الدلائل»[٣] والأحزاب، وله أوقافٌ كثيرةٌ. اللّهم انفعنا بهم، وبأسرارهم.

---

(١) الرَّحيق: الخمر أو أطيبها وأفضلها أو الشراب لا غِش فيه.
السَّلْسَل: الماء العذب السلس السهل في الحلق.

(٢) السُّنْدُس: ضرب من رقيق الديباج أو الحرير المنسوج الذي يتلون ألواناً.
الأيم: الحية أو ذكر الأفعى.
المَفصِل: ملتقى كل عظمين في الجسد. والمِفْصَل: اللسان.

(٣) كتاب «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار» للشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملاني الشريف الحسني المتوفى سنة ٨٥٤، وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام يواظب بقراءته في المشارق والمغارب لا سيما في بلاد الروم. (كشف الظنون ٧٥٩).

ترجمة السادات الوفائية ومزاراتهم

هم المدفونون بالمسجد المعروف بمسجد السادات، وأولُ من دُفن فيه القطبُ سيدنا محمد وفا رحمه الله، وهذا المسجد من أعظم مساجد القاهرة، وهو ممّا يلي سفحَ الجبل المُقطَّم شرقي مسجد الإمام الشافعي، وسيدي عُقبة رضي الله عنهما، وكان أصلُه زاويةً تُعرف بهم، فجددها مسجداً على ما هي عليه الآن الوزير عزّت باشا عام ١١٩١، على هذا المسجد واجهةٌ بحرية مبنيةٌ بالحجر النحيت الأحمر، بها بابٌ مقنطرٌ بجلستين يمنة ويسرة يعلوه أُسْكُفَّةٌ[١] من الرخام المرمر[٢] الأبيض، ويجد الداخلُ من باب المسجد تجاهه باباً مقنطراً مبنياً بالرخام المرمر الأبيض ملمعاً بالذهب الأحمر، يعلوه أُسْكُفَّةٌ من الرخام، مكتوبٌ على عارضته علو الأسكفة المذكورة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤] وبجانب الباب دائرتان من الرخام الأبيض يُمنة ويسرة، وبجوار باب المسجد المذكور شبَّاكٌ تعلوه دائرة من الرخام، مكتوبٌ عليه بالذهب، ومنقوش نقوش بديعة، ويعلو ذلك المسجد الباب من داخل المسجد لوحٌ مكتوب عليه هذا البيت:

الأولياءُ وإن جلَّتْ مَراتبهم ... في رتبةِ العبدِ والسَّاداتُ ساداتُ

ويُدخل من الباب المذكور إلى مسجدٍ جامعٍ لجميع المحاسن، أعلاه قناديلُ تقارن الثُّريا[٣]، تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات والجمعة والعيدان، معموراً بذكر الله تعالى، وتلاوةِ القرآن، وإحياء السنن، ويشتملُ هذا المسجدِ على محرابٍ مبنيٍّ بالرخام الملون، به عمودان صغيران من المرمر الأبيض، يُجاوره منبرٌ منقوشٌ بالذهب الأحمر، وخشبُهُ من خشب الجوز، وله هلالٌ من النحاس المصفّى المُموَّه بالذهب، وبالمسجد أربعةُ لواوين[٤] وبينها الصحن، وأرضُهُ مفروشةٌ بالبلاط الكذان[٥]، وقد فُرشت أرضُ المسجد بالبسط والسجاد.

---

(١) الأُسْكُفَّةُ: عتبة الباب التي يُوطأُ عليها، وقد تكون من الخشب.

(٢) المَرْمَرُ: الرخام أو صخر رخامي جيري متحول يتركب من بلورات (الكلسيت)، يُستعمل للزينة في البناء، ولصنع التماثيل ونحوها.

(٣) الثريا: مجموعة من النجوم. و ـ: مجموعة من المصابيح (ج) ثريات.

(٤) اللواوين: (ج) ليوان: أظنها الإيوان أو الإوان: قسم مكشوف من المنزل يشرف على صحن الدار، يحيط به ثلاثة حيطان وله سقف محمول من الأمام على عَقْدٍ.

(٥) الكذان: (ج) الكذانة: حجارة كأنها المَدَرُ فيها رخاوة، وربما كانت نخرة. وقيل: حجارة رخوة إلى البياض. (لسان العرب ١٣/٣٥٧ مادة: كذن).

ويَرى الداخلُ في وسطه مقصورةَ ضريحِ القطب الكبير سيدي أبي الحسن علي بن وفا، ووالدِهِ القطبِ الغوث، الفرد الجَامع، خاتم الأولياء، المحمدي، وعلى دائرة هذه المقصورة أبيات مكتوبةٌ بالذهب، وبجوارها حوضٌ كبير من الرُّخام المرمر، موضوعٌ به الرملُ الأحمر، وتجاه باب المقصورة مكتوبٌ بالذهب: (لا إله إلا الله الواحدُ الحيُّ الدائم العلي الحكيم محمّدٌ رسول الله الفاتحُ الخاتم أصلُ الوفا المشفَّعُ العظيم).

وقد كُتب عليه نسبُ حضرة روحِ أرواح اللطائف المحمدية، وسرِّ أسرار كنز المواهب الرحمانية الأستاذ أبي الحسنِ علي بن وفا بن محمد بن محمد بن محمد النجم بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن إدريس الأزهر التاج بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وتجاه باب المقصورة ثلاثُ مقصورات، بالأولى ضريحُ القطب الرباني سيدي أبي الإسعاد بن وفا، وضريحُ سيدي عبد الفتاح أبي الإكرام، وبالثانية ضريحُ القطب الرباني سيدي محمد أبي الفتح بن وفا، وبالثالثة ضريح القطب الرباني سيدي يحيى أبي اللطف.

وفي الإيوان ثلاثُ مقاصير على يمين الداخل من المسجد، بالأولى ضريحُ القطب المعظم سيدي عبد الوهاب أبي التخصيص بن وفا، وبالثانية ضريحُ القطب سيدي أبي الإرشاد، وبالثالثة أربعة أضرحة: ضريحُ القطب سيدي عبد الخالق بن الخير بن وفا، وضريحُ القطب سيدي محمد أبي الإشراق، وضريحُ سيدي محمد أبي هادي بن وفا، وضريحُ القطب سيدي أحمد أبي الأمداد بن وفا، وعلى يسرة الداخل من المسجد مقصورةٌ بها ضريحُ القطب سيدي عبد الرحمن الشهيد بن وفا، وبقيَّةُ السادة متفرِّقون في أنحاء المسجد.

وقد كُتب على كلِّ ضريحِ اسمُ من دُفن فيه، وأمّا ضريحُ سيدي شهاب الدين أحمد أخي سيدي علي بن وفا فهو وأبوه سيدي محمد في ضريحٍ واحدٍ، كلٌّ منهما على سرير، وتجاه ضريحهما سريرُ سيدي عليٍّ بضريح مستقلٍّ من الرخام الأبيض المرمر، ومغطّى بكسوةٍ منقوشةٍ بالذهب.

وتجاه هذه المقصورةِ مقصورةٌ فيها ضريحُ شيخنا سيدي يحيى الشريف القادري أبي السيادات بن وفا شيخ شيخنا سيدي أبي العباس الحضرمي الشاذلي.

وآخرُ من توفي منهم سيدي عبد الخالق السادات بن وفا، وله مقصورةٌ مستقلة قد نُقش عليها اسمه، وهذا المسجد باقٍ على حاله إلى الآن، تُقام فيه الشعائر الدينية. اللهم إنّا نسألُكَ بسرِّهم لديك ومكانتهم عندك أن تُميتنا على حبِّهم، وتمدَّنا بأنوارهم. آمين.

٢٨

الإمام الكبير سيدي داود بن ماخلا[١]

(. . . ـ حوالي ٧٣٥)

غوثُ الأصفياء، وقطبُ الأولياء، الإمام الكبير، والعالم الشهير المُسلِّكُ مُربّي المريدين، وموصلُ السالكين سيدي شرف الدين أبو سليمان داود بن ماخلا الإسكندري الشاذلي رضي الله عنه.

كان من العلماء الراسخين المتمكنين، ومن أصحابِ الدوائر الكُبرى، له اليد العليا في التصريف.

وكان جامعاً بين علمي الظاهر والباطن، مع أنه كان أُمِّياً، وله مؤلفات عجيبة شرحَ فيها أحوالَ القوم، وتكلَّمَ على أسرارهم وعلومهم ومنازلاتهم منها كتاب «عيون الحقائق» ومنها كتاب «اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية»، وله شرح على «حزب البر»، وآخر على «حزب البحر»[٢].

وكان رضي الله عنه في بدايته شرطياً ببيت الوالي بالإسكندرية، وكان يجلسُ تجاه الوالي، وبينهما إشارةٌ يفهمُ منها وقوع المُتَّهم أو براءته، فإن أشارَ إليه أن المُتَّهَم بريءٌ برَّأَهُ، وعفا عنه، وإن أشار له غير ذلك اقتصَّ منه، وعامله بما يستحقُّه.

وكان رضي الله عنه زاهداً ورعاً، وكانت الأولياء تنبتُ بساحته كما تُنبتُ الأرض الزَّرعَ، ويكفينا في مناقبه أنَّ تلميذه سيدي محمد وفا الشاذلي، ولو لم يكن له غيرُ ذلك لكفى.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٢/ ٣٣٣ وهو فيه داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي المالكي الإسكندري، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٤٦.

(٢) كتاب «حزب البحر» للشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله (بن عبد الحميد المغربي) الشاذلي اليمني المتوفى سنة ٦٥٦ وهو دعاء مشهور سمي به لأنه وضع في البحر وللسلامة فيه حين سافر في بحر القلزم فتوقف عليهم الريح أياماً فرأى النبي ﷺ فبشره فلقنه إياه فقرأه فجاء الريح ويسمى أيضاً بالحزب الصغير. شرحه الشيخ أبو سليمان داود بن عمر الشاذلي المتوفى سنة ٧٣٢ سماه الرسالة المرضية في شرح دعاء الشاذلية. (كشف الظنون ٦٦١).

توفي رضي الله عنه بالإسكندرية عام نيِّفٍ وثلاثين وسبع مئة[1]، وله مقامٌ يُزار، ومسجدٌ كبيرٌ تُقام فيه الشعائر. اللهم انفعنا بمحبّته، واسلك بنا على طريقه. آمين.

٢٩

أبو محمد عبد الله اليافعي الشاذلي[2]

(... ـ ٧٦٨)

نزيلُ الحرمين الشريفين، ووارثُ السرّيْنِ العظيمين، الذي كان يُقتدى بآثاره، ويُهتدى بأنواره. شهرتُه تُغني عن إقامة البرهان، لا يحتاجُ واصفُها إلى بيان، شيخ الطريقين، وإمامُ الفريقين، مولانا أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي العدني الشاذلي شيخُ الحرم، وقدوة أهل الكرم.

ولد رضي الله عنه بمدينة عدن، ونشأ بها، واشتغل بالعلم حتى برع فيه، ثم حجَّ، ورجع الشام، وحُبِّب إليه الخلوة فانقطع للعبادة ولازم الأذكار.

وصحب في بدايته الشيخ عليَّ الطواشي قطبَ مدينة حلا ودفينها، ثم ارتحل إلى مكّة شرفها الله تعالى، واشتغلَ فيها بالعلم مدةً، ثم تجرَّدَ وأقامَ في مقام التجريد نحو عشر سنين، وكان في هذه المدة يتردَّدُ ما بين مكة والمدينة، ثم ارتحلَ إلى بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة، ثم قدم مصر، وكان بها الشيخُ الكبير إمامُ الأئمة، وقدوة ذوي الهمَّةِ القطبُ الرباني، والغوثُ الصمداني مولانا الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله بن عبد الدائم الشهير بابن المَيْلَق القُرشي الشاذلي، ثم المصري ثالثُ الخلفاء، وقطبُ أهلِ الحقيقة الغرَّاء، وقد كان مولانا الشيخ ناصر الدين هذا صاحبَ الوقت، وشيخَ الزمان، وواحد الأوان، وكان في زمنه قاضيَ القضاة، وتولَّى مشيخةَ الشافعية، وكان يتكلَّمُ في الوعظ، وكان لوعظِهِ تأثيرٌ في القلوب، انتفعتِ الناس بعلومه دهراً طويلاً، وكانت وفاته عام سبع مئة وتسعين عن ستين عاماً، ودفن في قَرَافة الشَّاذلية الكُبرى، وخلَّفَ أصحاباً لا يُحصى لهم عدد، كلّهم واصلين إلى الله سبحانه وتعالى، فلمَّا سمع مولانا أبو عبد الله اليافعي بذكره أقبلَ إليه، وجلسَ بين يديه، وأخذ عنه طريقَ الشاذلي، ولقَّنه العهودَ

---

(١) في الأعلام ٢/ ٣٣٣، وفي كشف الظنون ٦٦١: توفي سنة ٧٣٢هـ.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٧٢، والفوائد البهية ٣٣ في التعليقات، وطبقات الشافعية ٦/ ١٠٣ وفيه: وفاته سنة ٧٦٧ ومثله في مفتاح السعادة ١/ ٢١٧، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٦٠.

والأوراد، وأمدَّه بالأمداد، فلاحت عليه أنوارُه، وتحقَّقت علومه وأسراره، وانقطعَ إلى شيخه، ولازمه مدَّةً، وسلك على يديه، وانتفعَ به في سلوك طريق القوم.

ثم توجَّه إلى المدينة، ودخلها بإذنٍ من حضرة سيدنا رسول الله ﷺ، وقضى أوقاته في نهايته بين المدينة ومكة، وكان مع ذلك مُشتغلاً بالعبادة، ملازماً للذكر، مؤثراً للفقراء، محبًا للمساكين يعطفُ عليهم ويُواسيهم.

وقد أجمعت الناسُ على ولايته، وتُحكى عنه كراماتٌ ومكاشفات، وقبل وفاته بسبعة أيام تقطَّبَ، ونال درجةَ الغوث التي لم يُشاركه فيها أحد.

وكانت وفاته بمكة المكرمة عام سبع مئة وثمانٍ وستين، ودفن بباب المُعلّى إلى جنب الفُضيل بن عياض[١].

ومناقبه رضي الله عنه مشهورة، ترجمه الجمال الإسنوي في «طبقاته»، وأثنى عليه، وترجمَه غيرُ واحد.

ولما تُوفي بيعت أشياؤه بأغلى الأثمان، مع أنها لم تكن ذاتَ قيمةٍ، حتى قيل: إنه بيع له مئزرٌ[٢] عتيقٌ بثلاث مئة درهم، وطاقيةٌ عتيقة بمئة درهم.

وترك من مؤلفاته الحسنة «تاريخه الكبير»[٣] وكتاب «روض الرياحين»[٤] نفعنا الله به وبعلومه. آمين.

---

(١) الفضيل بن عياض (١٠٥ ـ ١٨٧هـ = ٧٢٣ ـ ٨٠٣م).
الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، وولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها.
من كلامه: «من عرف الناس استراح».
الأعلام ٥/ ١٥٣، وطبقات الصوفية ٦ ـ ١٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥، وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، والجواهر المضية ١/ ٤٠٩، وصفة الصفوة ٢/ ١٣٤، وحلية الأولياء ٨/ ٨٤، وابن خلكان ١/ ٤١٥.

(٢) المئزر: كساء يغطي النصف الأسفل من البدن.

(٣) تاريخه المسمى «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان» مرتباً على سني الهجرة النبوية من السنة الأولى إلى سنة... وللإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ وهو كتاب ملخص اقتصر فيه على معرفة المهم وأخذ تراجم الأعيان من وفيات ابن خلكان وشيئاً من تاريخ ابن سمرة، وأطنب في ذكر الصوفيين بحيث التزم الجواب للذهبي. (كشف الظنون ١٦٤٧).

(٤) كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ جمع فيه خمسمائة حكاية وقيل: سماه نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر. وترجمه بالتركية المولى مصطفى بن شعبان المتخلص بسروري المتوفى سنة =

٣٠

سيدي تاج الدين النخال[1]

(... ـ ٨٢٤)

الشيخ الكبير، والعالم الشهير، صاحبُ الكرامات الخارقة، والفضائل الدافقة، القطبُ الغوث الفرد الجامع سيدي تاج الدين بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي الإسكندري الشاذلي قدّس سرّه العزيز.

قال رضي الله عنه وأرضاه: لما تُوفّي والدنا سيدي محمد بن عطاء الله السكندري خلّفنا اثنين؛ أنا، وأخي سيدي أحمد تاج الدين، فتوجّه أخي بعد وفاة والدنا إلى مصر، وتخلّفتُ أنا ووالدتي في أرض الإسكندرية حيث مقرُّ ولادتنا، وكنت صغيراً على يديها، وأخي كان كبيراً يُفتي ويدرّس، فلما كبرت، وبلغت من العمر عشرين سنة بإسكندرية حفظتُ كتاب الله، وقرأت في العلم، ثم توجّهتُ إلى مصر أنا ووالدتي، فسألت عن زاوية أخي، فقالوا بجوار ساداتنا بني الوفا، ولقد كان الذي أخبرني بذلك من الأولياء، ومن أهل الكشف، وقد كان كُشف له بأن هذه البقعةَ سيكون فيها زاويةُ بني الوفا، فعرفتها أنا بطريق الكشف، فتوجّهت إليه أنا والوالدة، واجتمعنا به، ومكثنا عنده، فعاشت الوالدةُ بعد اجتماعنا خمس سنين، وتوفيت عام سبع مئة وأربع، ودفنت بالقَرَافة، مما يلي سفح الجبل المقطم رحمها الله، وتوفي أخي بعدها بنحو خمس سنين، وكان له يومٌ عظيم، فتوجّهتُ بعد وفاته إلى الجامع الأزهر، واشتغلتُ بطلب العلم مدة خمس عشرة سنة، ثم سافرت إلى بلدة تسمى باه والنويرة، فأقمت بها عشر سنوات، وحضرت إلى مصر، وأقمت بجامع عمرو أَعظُ الناس مدّة ستين سنة حتى أتاني اليقين وهو الموت.

وكان رضي الله عنه يلقي الدروسَ تحت محراب النمل، وهو المحراب الخشب، وكان ينصبُ كرسيه تحت اللوح الأخضر بصحن جامع عمرو.

وكانت العلماء إذا عجزوا عن الفتوى يُفتي فيها للناس فحصل للناس بركةٌ عظيمة بوجوده، واتّخذوه إمامَ الجامع وخطيبه، وبنى الزاوية التي بشرقي الجامع،

= ٩٦٩. ذكر العاشق في الذيل أن له كتاباً مسمى بروض الرياحين في المحاضرات. (كشف الظنون ٩١٨ ـ ٩١٩).

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٤٠.

وهي التي دُفن فيها التي تحت مئذنة التجلي. قال بعض الأولياء: وسببُ تسمية المئذنة بهذا الاسم أن الحقَّ جلّ جلاله تجلّى عليها، وذكر الشيخ رضي الله عنه أن وليًا من أولياء الله طلع عليها ذات ليلةٍ في ثُلث الليل الأخير، وقال بلسانٍ صادق: لا إله إلا الله. فقال له الحقُّ: صدقتَ يا عبدي، إنّي أنا الله. فوقعت المنارةُ بالمؤذن، ومات تحتها.

وليس بعد مصر والقَرَافتين أفضلُ من بقعة الشيخ تاج الدين النخال رضي الله عنه، وناهيك بها من بقعةٍ تجلّى فيها الحقُّ جلَّ وعلَا على عبدٍ من عباده.

وكان لسيدي الأستاذ تاج الدين رضي الله عنه في هذه الزاوية من المُريدين المتجرّدين نحو مئة فقير، ومن الأرامل نحو ست مئة، وتولى رضي الله عنه القطبية الغوثية التي لا يُشاركه فيها أحد، وتصرَّف في مخلوقات الله بأمر الله، فقضى وعزل، وولّى ونصب وحكم.

توفي رحمه الله تعالى عام سنة ٨٢٤، ودفن بزاويته بجوار جامع عمرو من الجهة الشرقية، ولما حضرته الوفاة رحمه الله طلب ابنته عائشة، وكان عمرها ستَّ سنين، ولم يتركْ غيرَها، فلمّا حضرت بين يديه، قال لها: يا عائشة، إن أخي الأكبر سيدي تاج الدين أحمد لما حضرته الوفاة استدعاني إليه، وقال لي: افتح فمك يا تاج الدين يا أخي. ففتحت، فتفل لي فيه، فأعطاني الله تعالى خير الدنيا وخير الآخرة، وأنت يا عائشة، افتحي فمك. ففتحت فمها، فتفلَ[1] لها فيه، وقال لها: هذه التفلة ما هي لك، هي ذخيرةٌ عندك لبنتٍ تخرج منك، وتُسمّى سعادات، وهي سعادتُكم وسعادتُنا في الدنيا والآخرة، وإنّي أُبشّرك يا عائشة بأنها تأتي، ويأتي معها ولدان ذكران صالحان، واحد منهما يسمى محمداً، والآخر إبراهيم، ليتني يا عائشة أعيشُ حتى أرى سعادات وأولادها؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما إذا بلغ من العمر أربعين سنةً تصيرُ أقلُّ خطواتهم من مشرق الدنيا إلى مغربها، وكان هذا آخرُ ما تكلَّم به، ولاقى ربّه تعالى.

ومن كراماته رحمه الله قال: مكثتُ أعظ الناس في الجامع العتيق ستين سنة، فخرجتُ ذاتَ يوم إلى البرية، كنت لابساً عرياً جديداً، فلقاني رجلٌ، فحدّثته نفسه بأن يضربني، وقال في نفسه: لأضربنَّ هذا الشيخ، وآخذ عريه، فتقدَّم إليَّ، ورفعَ العصا، فوضعت يدي على ظهره، قال الرجل: فلمّا وضعَ يده على ظهري أحسستُ أنّها جبلُ المُقَطَّم، ونظرت فإذا أنا في بريةٍ واسعةٍ، وليس معي أحدٌ، لا

(١) تَفَلَ تفلاً: بصق.

من الإنس ولا من الجن، فأيقنتُ بالهلاك، وعلمت أنّي وقعت في حقّ الشيخ، فتمشّيت قليلاً، فرأيتُ على بُعدٍ خصًّا، فقصدته فإذا به رجلٌ قائمٌ يُصلي، فانتظرتُ عليه حتى فرغ من الصلاة، وقصَّيتُ عليه ما وقع لي مع الأستاذ تاج الدين النخال، فقال لي: وما الذي أقدمك على ذلك، أما تعلمُ أنَّ هذا هو القطبُ الغوث، وأنَّك الآن خلف جبل قاف، وبينك وبين أهلك مسيرةُ آلاف من السنين؟ فقلت له: دلّني على شيء أَنجو به وأُعاهدك اللَّهَ أنّي تبتُ، فقال: انظر إلى هذه القبة، واذهب إليها، تجده قائماً يُصلّي صلاةَ الظهر هو وجماعته، فإذا وصلتَ إليه، فانتظره حتى يُسلِّمَ، وتعلّقْ بأذياله، وأكثرْ من البكاء، وتذلَّلْ بين يديه، فإنه لو أمسى عليك المساء وأنتَ في هذا الوادي هلكتَ لا محالة. قال: فذهبت إلى القبة، فوجدته كما قال، فلم أتمكَّنْ من التقدّم إليه لشدَّةِ خوفي، فانتظرتُه إلى صلاة العصر، وبعد أن سلَّمَ، تعلَّقتُ به، وأكثرت من البكاء، وقلت له: يا سيدي، العفو العفو. فنظرَ إليَّ، وقلع ما كان عليه من الثِّيابِ، وأَلبسني إيَّاها، ووضع يده على ظهري، فأحسستُ بثقلها، فنظرت نفسي فإذا أنا عند أهلي، وتبتُ من ذلك الحين، وصرت من أصحابه، ولم أنقطع عن زيارته.

ومنها رضي الله عنه: أنَّ السُّلطان أرسل إليه وقال له: أنا ضيفك هذه الليلة، فدخلَ إلى امرأته، وكانت اسمها نابغة، فقال لها: يا نابغة، إنَّ السلطان ضيفي هذه الليلة، فقالت له: يا سيدي الحال فقير، وما عندنا شيءٌ، فقال لها: انظري تحت هذه المخدّة، فنظرت فإذا هي بنهرٍ يجري ذهباً. فقالت له: ما لنا بالذهب؟ فقال لها: هاتي الحلة التي عندك، وضعي فيها قليلاً من الماء والنخالة، ففعلت، فوضعها على النَّارِ، وصار يغليها حتى حضرَ السلطان وأتباعُه، فغرفَ منها أربعين طبقاً، كلُّ طبقٍ لون، واستحسنَ السلطان وأتباعُه لذَّةَ هذا الأكل، فسألوه عنه، فقال رضي الله عنه: إنها ماءٌ ونخالة.

ومنها رضي الله عنه: أنه كان له خادمٌ يُسمّى الشيخ محمد، وذلك بعد وفاته، وكان عليه جبَّةٌ جديداً، فقلعها، وخرجَ يكنس أمام الزاوية، ووضع الجبَّةَ على التابوت، فعبرَ رجلٌ من قدَّام الزاوية، فرأى الجبَّةَ على التابوت، فدخل وسرقها وخرج، فدخل الشيخ محمد، فلم يجدِ الجبَّةَ على التابوت، فعلم أنّها سُرقت، فجاء إلى الضريح، وصار يدقُّه، فرأى السارقُ في تلك الليلة الشيخَ أتاه وضربَه بحربةٍ حتى أنزلَ الدم من فيه ومنخره، فلمَّا أصبحَ جابَ الجبَّةَ إلى الشيخ محمد، وحكى له عمَّا وقع له من الشيخ، وطلبَ العفو منه.

ومنها رضي الله عنه: أنه دخل عليه ولده سيدنا محمدٌ الخلوةَ التي كان يتعبد فيها. وكان الشيخ رضي الله عنه إذا دخل الخلوة وذكرَ الله سبحانه وتعالى يتجلّى عليه الحقُّ، فيذوب كما يذوب الملحُ في الماء، ويَفنى حتى لم يبقَ منه إلا النطفة، فلمَّا دخلَ عليه ولده، وهو جالسٌ في المحراب حطَّ يدَه على رأس أبيه، فسقطتِ العمامةُ على الثياب، فنزلتْ في أعين الأستاذ، فعوّرتهم، فلمَّا أفاقَ الأستاذ من غيبته، قام كفيفاً، لم يجدْ عينيه، فخرج على أهله، وقال لهم: من دخل عليَّ في خلوتي؟ فسكتوا، فقال رضي الله عنه: الذي دخلَ عليَّ في خلوتي قصمَهُ الله تعالى، فإذا بالولد صرخَ صرخةً ووقع ميتاً، فقالوا له بعد ذلك: هذا ولدك الذي دخل عليك. فقال: نفذ أمرُ الله، وغسَّله وكفَّنه ودفنه رحمه الله، وعاشَ الأستاذُ بعد ذلك كفيفاً.

وكراماته رضي الله عنه كثيرةٌ مشهورة، وقد أفرد لها سيدنا أبو الفضل ابن وفا كتاباً مستقلاً، وقد وقفتُ على هذا الكتاب بخطِّ يده الشريفة، ومنه نقلتُ.

وقد ذَكَرَ في هذا الكتاب صفتَه رضي الله عنه فقال: كان الأستاذ تاج الدين النخال لا بالطويل ولا بالقصير، واسعَ العينين، عريضَ المنكبين، ليِّنَ الكتفين، قمحيَّ[1] اللون.

وكان يقول رضي الله عنه: إنّي لأَعلمُ أزقَّةَ السموات السبع أكثرَ من أزقّة الأرضين، وما تركتُ فيهن بقعةً إلا ولي فيها ركعة.

وكان رضي الله عنه يقول: من جاءَ إليَّ عامداً متعمِّداً لا ينوي في نهاره إلا زيارتي غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخر، وقد سألتُ ربّي في ذلك، فأجابني إلى ذلك.

وكان رضي الله عنه يقول: إن حصلتْ لك شدَّةٌ، وكنتَ في أيِّ جهةٍ، فتوجَّه إلى مصر، وقل: يا شيخ تاج الدين يا نخال. فإن كنتُ في المشرق، أو في المغرب آتيك بأسرعِ ما يمكن.

اللهم إنَّا نتوسَّلُ إليك بجاه سيدنا محمد الدَّال بك عليك، وبآله، وصحبه المحبوبين لديك أن تجمع بيننا وبينهم في دار الخُلد بمنِّكَ وكرمك، وأنْ تُديم علينا وأهل محبتنا حبَّهم، والوقوفَ على أعتابهم. آمين يا رب العالمين.

---

(١) القَمْحِيُّ: ما كان لونه لون القمح.

٣١

سيدي أبو العباس الحضرمي

(... ـ ٨٥٧)

حجَّةُ العارفين، وشيخُ الواصلين، إمامُ الإرشاد، وشيخ العُبَّاد والزُّهَّاد، القطبُ الغوث، المُتصرُّف صاحبُ الدائرة الكبرى، إمام الأئمة، وغوثُ الأمة، الولي الكبير، والعَلَم الشهير سيدي تاج الدين أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني الشاذلي الوفائي قدّس سرُّه العالي.

كان رضي الله عنه جامعاً بين الشريعة والحقيقة، وكان من أهلِ الكشفِ الكبير، وله وقائعُ عظيمةٌ، وخوارقُ عاداتٍ جسيمة، وكان من أهل السرِّ المصون، وكان في زمنه غوثاً مُتصرِّفاً في جميع الموجودات.

مولده رضي الله عنه ببلاد حضرموت، وقدم مصرَ، فاستوطنها، وأخذ الطريقة، وتلقّى أنوارَ الحقيقة عن شيخه ومربيه سيدي ومولاي الشريف أبو السيادات يحيى القادري بن وفا بن سيدي شهاب الدين أحمد بن وفا بن القطب الكبير سيدي أبي التداني محمد وفا رضي الله عنهم. وكان الشريف سيدي يحيى من ذوي الفضل الكبير، وكان له القَبولُ الحسن عند الخاصِّ والعام، معرباً عمّا في الأفهام، محمديَّ المقام.

وتوفّي رضي الله عنه وأرضاه يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثمان مئة، ودفن بمشهد أسلافه ساداتنا بني الوفا، بجانب أخيه، اللهم انفعنا بهم، وحقِّقنا بالتبعية لهم.

وبعد أخْذِ سيدي أبو العباس رضي الله عنه الطريقةَ على شيخه المذكور فُتح عليه، فأقبلتِ الناس إليه، وتبرَّكوا بالجلوس بين يديه، وكثرت أتباعُهُ وعمَّ انتفاعه.

وكان يحضر مجالسَ العلماء، وتحضرُ العلماءُ مجلسَه، حتى صار أوحدَ زمانه علماً وعملاً، وحالاً ومقالاً.

ومن وقائعه العظيمة واقعتُه وكشفُه في الواقعة التي حصلت لتلميذه سيدنا أحمد زَرُّوق رضي الله عنه، وذلك أنَّ سيدنا أحمد زرُّوق لمَّا قدمَ من المغرب الأقصى، قال سيدنا أبو العباس لتلامذته: انزلوا بنا إلى بولاق؛ لملاقاة أخيكم المغربي. فنزلوا إلى بولاق، فأتوا إلى موضع مرسى المراكب، وإذا بسيدنا الأستاذ أحمد زرُّوق نازلٌ من المركب، فاجتمع بمولانا أبي العباس، وأخبره بما وقع له مع مولانا عبد الله المكّي، وما جرى له معه، فقال له سيدنا أبو العباس: لا بأس

عليك منه، وأخذه معه إلى القاهرة، ولقَّنه العهودَ والأوراد، وأدخله الخلوةَ، فمكث أياماً في الخلوة، وإذا بسيدنا أبو العباس كان جالساً في حلقةٍ من أصحابه، فمدَّ يده، وصاح، وقال لتلامذته: امشوا لأخيكم المغربي؛ فإن الحيَّةَ العمياء قد هدَّت عليه الخلوة، وقد كان مولانا عبد الله المكّي هذا ضريراً، فمشوا إلى الخلوة التي كان فيها مولانا زرُّوق، فوجدوها مطبوقةً عليه، فأخرجوه من تحت البناء سالماً ما أصابه شيءٌ بإذن الله تعالى، ويد مولانا أبي العباس قد انكسرت، فقال له: قد نجَّاكَ الله من هذه الآفة العمياء، ولم يبق له عليك تسلطٌ، وقد كان مولانا أبو عبد الله المكي مدَّ يده ليتصرَّفَ في مولانا زرُّوق من مدينة فاس غيرةً منه، فهدمَ عليه الخلوة، فنجاه الله ببركة سيدنا أبي العباس، وحفظه منه.

وله كراماتٌ رضي الله عنه كثيرة، ومكاشفات عجيبة.

توفي مولانا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه بمصر بعد الثمان مئة، ودفن بالقَرَافة الشاذلية الكبرى. اللهم أمدَّنا وأحبَّنا بمدده، وانفعنا به وبأسراره. آمين.

٣٢

الإمام الجزولي(١)

(... ـ ٨٧٠)

الإمام الرباني، والقطب الصمداني، الفردُ الكامل في المحبَّة الذاتية، المحقّقُ الجامع لكمالات الولاية المحمدية، مسندُ أهل الإرشاد والهداية، مُرشد المُريدين ومُوصلهم إلى طريق أهل الحقائق العلية، زبدةُ العارفين، وقدوةُ المحقّقين، غوثُ الأولياء، وسُكُرْدان الأصفياء، من سارت بذكره الرُّكبان، واشتهر صيته في سائر البلدان، مولانا الإمامُ الفاضل، الكاملُ العارف الواصل، قطبُ زمانه، وفريدُ دهره وأوانه، مولانا الشريف أبو عبد الله محمد الجُزُولي السملالي الحسني الشاذلي بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا أبي بكر المرتضى بن مولانا سليمان بن مولانا سعيد بن مولانا يعلى بن مولانا يخلف بن مولانا موسى بن مولانا يوسف بن

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ١٥١، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٩٣، والخزانة التيمورية ٣/ ٥٩، وشوارق الأنوار وفيه أنه محمد بن عبد الرحمن بن سليمان، والإعلام بمن حل مراكش ٤/ ٥٧ ـ ١٢٢ وفيه: «الجزولي بفتح الجيم وضمها، وفي الذيل لابن عبد الملك: القزولي، بقاف معقودة مضمومة» قيل: وهي في البربرية «اكزولي» والسملالي نسبة إلى سملالة (من قبائل جزولة).

مولانا عبد الله بن مولانا جندون بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا حسان بن مولانا إسماعيل بن مولانا جعفر بن مولانا عبد الله بن مولانا أبي محمد الحسن سبط النبي ﷺ وريحانته.

توفي رضي الله عنه بأفوغال مسموماً في صلاة الصبح، في السجدة الثانية من الركعة الأولى سادس عشر ربيع الأول عام ثمان مئة وسبعين، ودُفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسَّسه هنالك.

ووجدت بخطِّ بعضهم أنَّه لم يترك ولداً ذكراً.

ثم بعد سبعٍ وسبعين سنة من موته نُقل من سوس إلى مراكش، فدفنوه برياض العروس منها، وبُني عليه ضريحٌ ومقام، ولمَّا أخرجوه من قبره الشريف بسوس وجدوه كهيئته يوم دفن، لم تعدُ الأرضُ عليه، ولم يتغيَّر طولَ الزمان من أحواله شيءٌ، وأثر الحلقِ على تنارِ رأسه كحال يوم موته، إذ كان قريبَ العهد بالحلق، ووضعَ بعضُ الحاضرين أُصبعه على وجهه الشريف حاصرَ الأدم عمّا تحتها، فلمَّا رفعَ أصبَه رجعَ الدَّمُ كما يقع ذلك في الحيِّ.

وقبره بمراكش عليه جلالةٌ عظيمة، ونورٌ ساطع، وسطوة ظاهرة، والناس يتزاحمون على قبره الشريف، ويقرؤون «دلائل الخيرات» على قبره، ورائحة المسك تخرجُ من قبره، حتى عطَّرت رائحة ذلك العطر المسجدَ بأسره.

وله رضي الله عنه كلامٌ كثير في التصوف، وتغزُّلات رقيقة، وأحوال صادقة.

وكان يقول رضي الله عنه: قال لي ربّي: يا عبدي، إنّي فضَّلتُك على جميعِ خلقي؛ بكثرة صلاتك على نبيي.

قال صاحب «ممتع الأسماع»[1]: أي الذين في عصره.

وظهر منه ما لا يخفى.

وكانت له تلامذة أخيار، تنوف عشرين ألفاً، ينقلون عنه الحديث، وكلاماً في الطريق والتصوف.

تلقّى رضي الله عنه الطريقة الشاذلية العلية من شيخه العارف بالله تعالى مولانا أبي عبد الله محمد امغار، فأتى فيها بما يُبهر العقول، وحلَّ غوامضَ مشكلاتها حتى صار من الفحول.

ومن أكابر أصحابه الآخذين عنه الطريق الغوثُ الجامع، والبرهان الساطع سيدنا ومولانا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتَّباع،

---

(١) انظر إيضاح المكنون ٤/ ٥٥٣.

وكان رضي الله عنه غوثاً جامعاً، ولأسرار أهل الحقيقة والشريعة شاملاً، كان من العلماء الأعيان، ومن أهل الفضلِ والإحسان، وله كلام غريبٌ في علوم القوم وإشاراتهم، شهرته في بلاد المغرب تُغني عن وصفه، توفي رضي الله عنه بحضرة مرّاكش عام تسع مئة وأربعة عشر، وله مقامٌ وضريحٌ يُزار، موردُ أهل الفضل والأخيار، وهو أحدُ السَّبعةِ الأقطاب، المدفونين بحضرة مراكش، المرابطين بها، اللهم انفعنا بأوليائك الصالحين، وادرر علينا من إمداداتهم في كلِّ وقت وحين. آمين.

٣٣

الإمام الكبير مولانا أحمد زرُّوق[١]

(٨٤٦ ـ ٨٩٩)

بحرُ العلوم والمعارف، أستاذُ كلِّ مجذوبٍ وعارف، القطب الرَّباني، والهيكل الصَّمداني أبو العباس مولانا أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي المعروف بزرُّوق.

كان رحمه الله عالماً عاملاً، زاهداً ورعاً، له تآليف عديدة لا تكاد تنحصر؛ منها تفسيره للقرآن العظيم، وشرحه على «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، وله ثلاثة شروح على متن «القرطبية»، وستة وثلاثون شرحاً على «الحكم العطائية»، وشرحٌ على أسماء الله الحسنى، وشرحٌ على «دلائل الخيرات»، وله كتاب «النصائح»، وكتاب «قواعد الصوفية»، و«العقائد الخمس»، وله تآليف عديدة في التصوف، ورسائل، وعدة مؤلفات نفيسة.

عاش من العمر ثلاثاً وستين سنة، حسبوا له من يوم ولادته إلى يوم وفاته كرّاساً في النصف في كلِّ يوم.

ولد رحمه الله يوم الخميس اثني عشرة محرم عام ثمان مئة وستة وأربعين، وتولّى تربيته جدَّتُه، لأمِّه، وكانت من الأولياء، ومن الصالحات الطاهرات، فلمَّا تمَّ عمرُه أربع سنوات حفَّظته القرآن، وصارت تُربيه بالدلال والكمال، حتى نشأ محباً للعبادة، ملازماً للأذكار.

فأخذ رحمه الله في تلقي العلوم الظاهرية، واستمر في طلبها حتى أُشير إليه،

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٩١، وجذوة الاقتباس ٦٠، وشذرات الذهب ٧/ ٣٦٣ وفيه اسمه «إسماعيل بن محمد البرلسي»، ومعجم المطبوعات ٩٦٥، والخزانة التيمورية ٣/ ١٢١، ودار الكتب ١/ ٢٦٩، ٣١٧، ٣٧٦، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٣٦.

وتكلَّمَ، وجلسَ للوعظ، وتحضير الدروس، فاشتهر أمره، وقصدته العلماء، ونزلت بساحته، واقتبستْ من علومه ومعارفه، ثم حُبِّبَ إليه التصوف، فانتظم في طريق القوم على يد المسلك مولانا عبد الله المكّي، فأخذ عنه الطريقة، ولازم خدمته زماناً.

واتفق له أنَّه دخل على شيخه في خلوته يوماً فرأى عنده امرأتين جميلتي الصورة، إحداهما عن يمينه، والأخرى عن يساره، وهو يلتفتُ إلى هذه تارةً، وإلى هذه تارةً، فقال مولانا زرُّوق في نفسه: إن هذا لزنديق[1]. فقال له الأستاذ: اذهب يا يهودي. فخرجَ من عنده، فكأنه أَلقى عليه سمةَ اليهود، فصار يبكي، ويتضرَّعُ إلى الله تعالى، ومشى إلى بعضِ أحبابه، فسأله أن يمشيَ معه إلى الأستاذ، ويَستعطفه، فمشى معه إلى الأستاذ، فاستعطفه، فعطفَ عليه وقبله، وقال له: بشرط أن لا يجلسَ معنا في بلادٍ أنا فيها، ثم التفت إليه وقال له: يا زرُّوق المرأتان اللتان تشبهتا عليك فهي الدنيا والآخرة، فالدنيا تُريد إقبالي عليها، والآخرة تُريد إقبالي عليها، وأنا لا ألتفتُ إلى قولهما.

فبعد ذلك خرج مولانا زرّوق من مدينة فاس، وقدمَ إلى مصر، وتلاقى مع مولانا سيدنا أبي العباس الحضرمي رضي الله عنه، وأخذ عنه الطريق، وتلقّن الأوراد، وفُتح له على يديه، وصارَ شيخَه في التربية، وانتسب إليه، ولازمه، وهو شيخه الذي لا معول له في الطريق إلا إليه.

ولما سمعتْ بقدومه العلماء والفضلاء من أهل مصر وفدوا عليه، وتمثّلوا بين يديه وحضروا دروسه، وصار يدرّس في الجامع الأزهر الشريف، وكان يحضر درسَه زهاء ستة آلاف نفس من مصر والقاهرة وأحوازها.

وتولّى إمامةَ المالكية، وصار أستاذَ رواقهم، ونصبوا له كرسياً عالي الأركان، بديعَ الإتقان، صارَ يجلسُ عليه، ويُملي الدروس ويفيد، فانتفعتْ على يديه الأحرارُ والعبيد، وهذا الكرسيُّ موجودٌ إلى وقتنا هذا برواق السادة المغاربة بالأزهر الشريف.

وكانت له صولةٌ ودولة عند أمراء المصريين، وله عندهم القبول التام عند الخاص منهم والعام.

ثم توجّه إلى طرابلس الغرب فأحيا بها معالم الطريق، وأوضح بيان التحقيق، وأشهر بها الطريقة الشاذلية، ونشر أعلامَها السنية، فانقادت إليه المريدون، وهابته

(١) الزِّنْديقُ: من يُبطن الكفر ويخفيه ويُظهر الإيمان.

ملوك العالمين، واجتمع بسيد المرسلين، ونُسبت إليه الطريقة لمّا ظهرت عليه أنوارُ أهل الحقيقة، وأُمرَ بلسانِ الحال أن يقول في ميدان الرجال ماسكاً بلحيته: لا شيخ بعد هذه اللحية.

كان رضي الله عنه صاحبَ حالٍ، وبهاء وجمال ودلال، أطلعه الله على المغيَّبات، فنطق بسائر اللغات، لم يختلف فيه اثنان، ولا تقوّل فيه قولان، فهو صاحبُ التصريف الأكبر، وغوثُ الأنام الأزهر.

وله كرامات خارقة، وأحوال صادقة، فمن كراماته رضي الله عنه: أن قبيلةً من قبائل عرب طرابلس كانوا قطَّاع طريق، لا تمرُّ بهم قافلةٌ إلا نهبوها، فمرَّ عليهم مولانا رضي الله عنه، فنهبوه هو وتلامذته، حتى تركوهم مستوري العورة، فنظرَ بعضُ المريدين إلى مولانا، فوجده لم يتغيَّر، فقال لبعض العربان الذين نهبوا مولانا: انظروا إلى ذلك الأستاذ عنده ذهبٌ في سرواله[1]، فجاء البدوي إلى مولانا وقال: انزعِ السروال. فقال: سبحان الله، العورةُ يحرمُ علينا كشفها. فقال له مرةً ثانية: انزعه، وإلا قتلتك، ومولانا يعظُه بقوله: العورةُ حرام علينا كشفها. فتقدَّم البدويُّ إلي مولانا، فقال مولانا للأرض: ابلعيهم يا أرض. فأخذتهم الأرضُ جميعاً، فصاروا يتضرَّعون إلى مولانا، ويقولون: تبنا إلى الله. فقال مولانا للأرض: أطلقيهم يا أرض. فأطلقتهم. فخرجوا منها، وتابوا جميعاً، وصاروا مع مولانا، لم يتخلَّف منهم أحدٌ، وصاروا خدّام الزاوية الزروقية وإلى الآن باقي من نسلهم يخدمون هذه الزاوية ويقال لهم خدَّام الزاوية الزرّوقية.

ومن كلامه رضي الله عنه في تائيته:

فإنّي هجرتُ الخلقَ طرًّا بأسرِها ... لعلي أَرى محبوبَ قلبي بمُقلتي[2]
وملكت أرض الغرب طرّاً بأسرِها ... وكلُّ بلادِ الشرقِ في طيِّ قبضتي
أنا لُمريدي جامعٌ لشتاتِه ... إذا ما سطا جورُ الزمان بسطوتي
فإنْ كنتَ في كَربٍ وضيقٍ وشدَّةٍ ... فنادِ أيا زرّوق آتِ بسرعةِ
فكم كربةٍ تُجلى إذ ذُكر اسمُنا ... وكم كربةٍ تُجلى بأفرادِ صحبتي

توفي رضي الله عنه ونفع به عام ثمان مئة وتسعة وتسعين، ودفن بسملاطة من طرابلس الغرب، وله مسجدٌ كبير، تُقام فيه الشعائر، ومقامٌ وضريح يُزار، وما توسَّل به مُتوَسِّلٌ إلى الله إلا ونالَ ما يرتجيه.

---

(١) السروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما أو البنطال.
(٢) الطُرُّ: الجماعة.

اللهم، إنّا نتوسَّلُ به إليك في أن تكونَ لنا ولإخواننا مُعيناً وناصراً، واحشرنا في زمرة الأولياء، ووفّقنا لخدمتهم، وأمتنا على حبِّهم حتَّى نلقاكَ يا ربَّ العالمين.

٣٤

سيدي شمس الدين الحنفي[(١)]

(٧٧٥ ـ ٨٤٧)

قطبُ الزمان، وواحدُ الأوان، وشيخ أهلِ العرفان، سلطانُ الأولياء، وسُكُرْدان الأصفياء، منبعُ الأسرار، ومظهر شموس الأنوار، خامسُ الخلفاء، ووارث أسرارِ الأولياء، مَنْ أقامه اللَّهُ رحمةً للعباد حياً وميتاً سيدنا ومولانا تاج الملَّة والدين، موصل السالكين، ومرشد الهالكين، آية الله في أَرضه المتوج بالأنوار، المتحلّي بلباسِ أهلِ الصدق الأخيار، الآتي في الطريق بالعجبِ العجاب، الذي تحيَّرت من فهم معاني كلامه أفهامُ أولي الألباب، سيدُ الفتيان والشيوخ، وملاذُ أهل التمكين والرسوخ، القطبُ الفرد، والغوث الجامع الأوحد، مولانا شمس الدين السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي الشاذلي الحنفي رضي الله عنه وأرضاه، وأمدَّنا بمدده، وحفّنا برضاه.

كان رضي الله عنه من أجلّاء مشايخ مصر، وساداتِ العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية، صاحب الفتح المؤنق، والكشف المخرق، والتصدر في بواطن القدس، والرقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق.

كان له الباعُ الطويل في التصريف النافذ، واليدُ البيضاء في أحكام الولاية، والقدمُ الرَّاسخ في درجات النهاية، والطودُ السامي في الثبات والتمكين.

وهود أحدُ من ملك أسراره، وقهرَ أحواله، وغلبَ على أمره.

وهو أحدُ أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان علمائها علماً، وعملاً، وحالاً، ومقالاً، وزهداً، وتحنيفاً ومهابة وجلالة.

وهو أحدُ من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرَّفه في الكون، ومكّنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الفوائد، ونصبه قدوةً للطالبين،

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/٨٨، وطبقات الشعراني ٢/ ٨١ ـ ٩٢، والكتبخانة ٧/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧، ودار الكتب ١/ ٣١٤، والسرّ الصفي ٢/ ٩٣، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٨٧.

حتى تلمذ له جماعةٌ من أهل الطريق، وانتمى إليه خلقٌ من الصلحاء والأولياء، واعترفوا بفضله، وأقرُّوا بمكانته، وقُصِدَ بالزيارات من سائر الأقطار، وحلَّ مشكلات أحوال القوم.

وكان رضي الله عنه ظريفاً جميلاً في بدنه وثيابه، يلبسُ ملابسَ الملوك والأمراء، وكان الغالب عليه شهودُ الجمال، وقد أفردَ الناس ترجمته بالتأليف، وألَّفوا في مناقبه مجلدات، وأنى لمثلي يَحصر مناقبه، وكيف أحوم حول هذا الحِمى؟ فهو سيدُ الملوك بأسرها، وغوثُ الأولياء من مشرق الأرض إلى مغربها، سهلها وبرِّها وبحرها، ولكن نذكر لك جملةً من مناقبه الشريفة فأقول:

ولد رضي الله عنه ونفع به في مصر عام سبع مئة وخمسة وسبعين، ونشأ في حِجر خالته، ولمَّا ترعرع مضتْ به إلى الكتّاب، فحفظَ القرآن، وأخذَ العلم عن ابن هشام، وسمع على مولانا العراقي، وبعد ذلك ظهر له أن يكفَّ عن طلب العلم، فجلسَ في حانوتٍ أَعدَّه له، وصار يبيعُ الكتب إلى أن أتاهُ داعي الرحمن: يا محمد، ما لهذا خُلقت، فاترك الدُّكانَ، فمثلُك لا يصحُّ لهذا الشأن، فأنت عندنا كبير الشأن. فتركَ الدكان وما فيه، وهام على وجهه محبَّةً في خالقه ومنشيه.

واختلى سبعَ سنين، فأظهر المكتومَ، ونطق بأسرار العلوم والفنون، وفهم أسرار معاني القرآن، وخضعت لسطوته ملوكُ الإنسِ والجان، وأتوه حبواً[1]، وتذلَّلوا بين يديه، وشهدتْ له الأعلام بأن سيكون له شأنٌ عظيمٌ بين الأنام، وقد كان ما قالوه بفضل ربِّ الأنام، وبعد أن خرجَ من الخلوة أخذَ الطريق، وصار من أهل ذاك الفريق، عن شيخه ومُربّيه، ومُوصله ومُدنيه مولانا ناصرِ الدين بن المَيْلَق، عن جدّه مولانا شهاب الدين بن المَيْلَق أبي العباس[2] الواعظ المذكر المربي صاحبِ الكرامات والإشارات، المدفون بقَرَافة الشاذلية الكبرى، عن مولانا ياقوت العرشي، عن مولانا أبي العباس المُرسي، عن مولانا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

وكان رضي الله عنه له أصحاب، كالنجوم في السماء، منهم: مولانا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني السرسي، كان رضي الله عنه في منزلة مولانا الحنفي، وكانت له مكاشفاتٌ، وتوفي رضي الله عنه عام ثمان مئة وواحد وستين، ودفن بقَرَافة الشاذلية.

---

(١) حبا الصبي حبواً: زحف.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٥٠.

ومنهم: مولانا شمس الدين بن كتيلة المحلي.

ومنهم: صهره مولانا عُمر المدفون بمسجده.

ومنهم: قاضي القضاة شَرفُ الدين يحيى بن محمد المُناوي[1] الشاذلي، كان رحمه الله من الأعيان، تولّى مشيخةَ الجامع الأزهر، ولقّبَ بشيخ الإسلام، وكان يحضرُ مجالس مولانا الحنفي، فأخذ عنه، وانقطعَ إليه، وصار يتردَّدُ عليه كثيراً المرَّة بعد المرة، توفي رضي الله عنه اثني عشر جمادى الآخرة عام ثمان مئة وواحد وسبعين.

ومنهم: مولانا سِراجُ الدين أبو حفص عمر بن الملقّن صاحب «طبقات الأولياء»[2] المتوفّى في ربيع الأول عام ثمان مئة وأربعة.

ومنهم: السِّراج البُلقيني مُجتهدُ عصره، وعالم المئة الثامنة، المتوفى رحمه الله عاشر ذي القعدة عام ثمان مئة وخمسة، ودفن بوسط مسجده بباب الشعرية بجهة بين السيارج، ومَقامُه ثَمَّ يُزار.

ومنهم: البدرُ العيني شيخ الإسلام، وقاضي القضاة الأعلام، المُتوفّى رابع ذي الحجة عام ثمان مئة وخمسة وخمسين، ومدفون بمسجده المعروف بحارة كتامة، المعروف الآن بحارة الأزهري بالرحاب الأزهري.

ومنهم: ولده حسًّا ومعنًى مولانا محمود الحنفي المدفون خلفَ مسجده.

ومنهم: مولانا أبو مَدين الأشموني من ذرّية أبي مدين التلمساني، جاء رضي الله عنه إلى مولانا الحنفي وجلس عنده أربعين يوماً وكمل، وصارت له أصحابٌ وتلامذة أخيار، ومقامُه هو المشهور باسمه جهة باب الشعرية بخطِّ المُقسم بالزقاق الضيق، ومدفون معه من أولاده مولانا أحمد الشويمي قبالته، ومولانا أحمد الحلفاوي رضي الله عن الجميع. وله أصحاب لا يُحصى لهم عدد، اقتصرنا على ذكر هؤلاء.

---

(١) المُناوي (٧٩٨ ـ ٨٧١هـ = ١٣٩٦ ـ ١٤٦٧م).
يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو زكريا، شرف الدين بن سعد الدين الحدادي المناوي. فقيه شافعي من أهل القاهرة، منشأه ووفاته بها. أصله من منية بني خصيب ونسبته إليها. ولي قضاء الديار المصرية وحمدت سيرته ومدحه بعض كبار الشعراء، كالنواجي. وصنف كتباً، منها «شرح مختصر المزني» و«أربعون حديثاً» وله نظم ونثر، وامتحن مرات. ولما مات رثاه كثيرون. وهو جد المحقق المناوي (محمد عبد الرؤوف).
الأعلام ٨/ ١٦٧، وحسن المحاضرة ١/ ٢٥٣، والشذرات ٧/ ٣١٢، والضوء اللامع ١٠/ ٢٥٤ ت١٠٣٣، وكشف الظنون ١٦٣٥.

(٢) انظر كشف الظنون ١٠٩٦.

وكانت وفاة مولانا شمس الدين الحنفي بمصر في شهر ربيع الآخر عام ثمان مئة وسبعة وأربعين، ودُفن في مسجده المشهور، ويُعدّ مسجدُه من أعظم مساجد القاهرة، مبنيٌّ بالحجر الأبيض، وبه محرابٌ كبير، عليه نقوشٌ جميلة بجوار منبره، مصنوعٌ من الخشب المحشّى بالصدف[١]، وبصحن المسجد قبَّةٌ معقودة بمنافذ من الزجاج الملوّن، وسقفُ المسجد مبني باللازورد[٢] والزُّجاج الملون، وعلى يمين الداخل من الباب الكبير المقصورةُ الشريفة، التي فيها ضريحُه الشريف، وعليه قبَّةٌ مُتقنة البنيان.

وهو أحدُ الأقطاب المدفونين بمصر، تَقصده الناسُ من الأماكن البعيدة، ومن أقاصي الأقاليم والبلدان، ويرجون عنده خيراً كثيراً، وبه تُقام حضرةٌ شاذلية في البكرة والعشية.

وعلى هذا المسجدِ تجلّيات ونفحات، وروائحُ المسك والكافور عطَّرتْ ذلك المسجدَ من بركة ساكنيه رحمهم الله، وما قَصَدَ هذا الضريحَ مكروبٌ إلا أعانه الله ويسَّرَ عليه طلبه، ومّما جُرّب لقضاء الحاجات أنَّ من كانت له حاجةٌ إلى الله تعالى، وأرادَ قضاءها، فليقصدْ زيارته ثلاثة أيام متوالية بعد صلاة الصبح تُقضَ في الحال، وهذه المسألةُ مُتواترةٌ بين خواصِّ المصريين وعوامِّهم، وهي من المجرَّبات، ولا شكَّ أنها كذلك، اللهم أمدّنا بمدده، وأسكنّا بجواره، ومتّعنا برضاك عنّا، يا الله يا أرحمَ الراحمين.

٣٥

مولانا علي السدَّار الشاذلي

(... ـ ٧٧٨)

من أصحاب مولانا شمس الدين الحنفي قدّس سره، وكان رضي الله عنه يبيع السِّدر[٣].

وكانت له كرامات ظاهرة وأحوال باهرة.

---

(١) الصَّدفُ: غلاف يابس متصلب يغطي اللؤلؤ. الواحدة صدفة (ج) أصداف.

(٢) اللازَوَرْدُ: حجر كريم مشهور يُتخذ للحلي. أجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى خضرة، والبنفسجي، ويكثر اللازورد في أفغانستان وغيرها.

(٣) السِّدْرُ: شجر شائك من فصيلة النبقيات، مهده فلسطين. ينمو برياً وزراعياً. وخشبه شديد الصلابة شائع الاستعمال. وله ثمر فيه حلاوة واحدته سدرة (ج) سِدَرٌ.

وكان يَقعدُ عند باب زويلة، وله دكّانٌ بين القصرين يبيع فيها السِّدرَ يومَ السبت لا غير، ويفتحُ الدُّكَّانَ درفةً واحدة، ويجلسُ داخل الدكان، فيتسامعُ الناسُ به، ويقصدونه من البعد، وقد كان أطلعه اللَّهُ على خواطر الناس، وكانتِ الناسُ تأتيه، يسألونه عن مسائلهم، ويقفون عند باب الدُّكان، فكان يُكاشفهم بأمورهم، وأمرُه كان مشهوراً بين الناس.

توفي رحمه الله في القرن التاسع، ودفن خارج باب زويلة، بالحارة المعروفة بحارة الروم الآن، ممّا يلي جهة الدرب الأحمر، ومقامُه يُزار، وزاويتُهُ عامرةٌ بالذِّكر، تحييها أربابُ الطوائف بالذكر أيام المواسم والموالد. رضي الله عنه، ونفع به. آمين.

٣٦

مولانا أبو المواهب الشاذلي(١)

(. . . ـ بعد ٨٥٠)

شيخُ الفريقين، ومنبع السرّين، القطبُ الذاتي، صاحب الإشارات والبشارات، مولانا أبو حامد سيدنا أبو عبد الله محمد أبو المواهب التونسي الشّاذلي الوفائي قُدّس سرُّه العالي.

كان رحمه الله تعالى من الظُّرفاء الأجلاء الأخيار، والعلماء الراسخين الأبرار، أُعطي رحمه الله ناطقة مولانا علي أبي الوفاء، وعملَ الموشَّحات الربانية، وألف الكتب الفائقة اللدنية، ومن محاسن تآليفه، وفضائل تصانيفه كتاب «القانون» في علوم الطائفة المسمى بـ«قوانين حكم الإشراق في قواعد الصوفية على الإطلاق»(٢)، وهو كتاب بديعٌ لم يُؤلّف مثلُه، يشهد لصاحبه بالذوق الكامل، وله شرح على «الحكم العطائية»، أحلَّ غامضات أسرارِها الخفية، وله دواوينُ شعرٍ منظوم على لسان القوم.

وكان رحمه الله تعالى مقيماً بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوةٌ في سطحه موضع المنارة التي عملها السلطان الغُوري.

وكان يغلب عليه سكرُ الحال، فينزل يتمشّى، ويتمايل في الجامع الأزهر.

---

(١) انظر ترجمته في هدية العارفين ٦/ ٢٠٩، وفي إيضاح المكنون ٤/ ٢٤٤ وفيهما وفاته سنة ٨٨١.

(٢) اسم الكتاب في إيضاح المكنون ٤/ ٢٤٤ «قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق» للشيخ جمال الدين أبي المواهب محمد المصري الشاذلي المتوفى سنة ٨٨١ أولها الحمد لله الحكيم العليم الرؤوف الرحيم. . . الخ. في عشر كراريس.

وكان شعرُه وكلامه يُنشد في الموالد والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصالحين، فيتمايلون طرباً من حلاوته.

وكان رحمه الله كثير المرائي لرسول الله ﷺ قال رحمه الله: ألبسني رسول الله ﷺ خرقةَ التصوف.

وقال رحمه الله: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: قلْ عند النوم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمساً، بسم الله الرحمن الرحيم خمساً، ثم قل: اللهم، بحقِّ محمدٍ أَرني وَجْهَ محمدٍ حالاً ومآلاً، فإذا قلتها عند النوم فإني آتي إليك، ولا أتخلَّفُ عنك أصلاً، ثم قال: وما أحسنها من رقية، ومن معنًى لمن آمن به.

أقول: وهذه الرقية من أعظم الدَّعوات لرؤية النبيِّ ﷺ في المنام، وأخفها، إذ لا تحتاجُ إلى استغراق في الوقتِ، وقد جرَّبها أناسٌ كثيرون وجرَّبتُها، وأخبرت بها بعضَ إخواننا في الله، قوّى الله عددَهم، وزاد مددهم، فاستعملوها بهذه الكيفية، فرأوا النبي ﷺ، وقد زدتُ عليها الوضوء، وكون التلاوة تكونُ ليلةَ الجمعة؛ لما وردَ في ذلك من الفضائل، فرأيته ﷺ في شهر رمضان في العشرة الأخيرة، واللَّهِ الذي لا إله إلا هو رأيتُه يُخجلُ البدرَ في حسنه، لابساً ثوباً من حرير، مُستلقياً على ظهره، مسترسلَ الشعر، برَّاق الثنايا، له نورٌ عظيم يكادُ يخطَفُ بالأبصار، وكنتُ مشتغلاً بقراءة وردي، فناداني ﷺ: ادنُ مني. فدنوت منه ﷺ، فبشَّرني ببشارات حسنة. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، اللهم، متّعنا وإخواننا بالنظرِ إلى وجهِكَ ووجهِه الكريم، وأدمْ علينا مُشاهدته يا رحمن يا رحيم.

قال سيدي أبو المواهب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي: أنت تشفع لمئة ألفٍ. قلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله؟ قال: بإعطائك لي ثوابَ الصلاة عليّ.

وكان رضي الله عنه يقول: استعجلتُ مرَّةً في صلاتي عليه ﷺ؛ لأُكمل وردي، وكان ألفاً، فقال لي ﷺ: أما علمتَ أنَّ العجلة من الشيطان، ثم قال: قل: اللهم، صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، بتمهُّلَ وترتيلٍ.

وكان يقول رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ الله ﷺ، فقال لي: إن شيخَك أبا سعيد الصفوري يُصلي عليّ الصلاةَ التامَّةَ، ويُكثرُ منها، فقل له: إذا ختم الصلاة أن يحمدَ الله عزَّ وجلَّ

والصلاة التامة هذه هي صلاةُ التَّشهُّدِ الأخير، ولها فضائلُ، وخواص، وأسرار، وقد وردتْ بها أحاديثُ كثيرةٌ مُتواترةٌ، وقد ذكرنا خواصَّها، وما يَتعلقُ

بفضائلها في كتابنا «تحفة الصلوات» المسمى بـ«معارج الوصول إلى نفحات الرسول»، فإن أردت فراجعْه ترَ ما يسرُّكَ إن شاء الله.

تُوفّي سيدي أبو المواهب رضي الله عنه بعد الثمان مئة وخمسين، ودُفن بمدافن السَّادات الشاذلية بالقَرَافة الكبرى، بمقام أُعدَّ له، وعليه قبَّةٌ كبيرة، وله مُولدٌ يُعمل كلَّ عام، تحضره إخوانُ الشاذلية، ويُحيون لياليه بالذكر والتلاوة وقراءة القرآن. اللهم أمدَّنا بمدده آمين.

٣٧

سيدي أبو الحسن الشاذلي اليمني[١]

(... ـ ٨٢١)

أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد القرشي الصوفي الشاذلي، كان رضي الله عنه شيخاً كبيرَ القدر، مشهور الذكر، اشتغلَ في بدايته بالعلم حتى أتقنَ فنوناً كثيرة، ثم سلكَ طريق التصوف، وحجَّ إلى بيت الله الحرام، ثم خرج من مكة المكرمة قاصداً السياحة، فقصدَ الشام ومصر.

وكان بمصر القطبُ سيدنا ناصرُ الدين بن المَيْلَق الشاذلي رضي الله عنه، فأخذ عنه الطريقَ الشاذلية، وفُتح له على يديه، ثم رجع إلى اليمن، وشهرَ الطريقَ الشاذلية، وصارتْ له زوايا وأصحابٌ كثيرة، وزادت اعتقاد أهل بلده فيه.

وكانت له مكارمُ وفضائل ومجاهدات، وكان رضي الله عنه لا ينامُ اللَّيل، ويأمر أصحابه بذلك، وكان يأمرهم بشربِ القهوة؛ ليستعينوا بها على السهر، وكان ذلك أوائل ظهور شجرة البن في بلاد اليمن، ولهذا السبب نُسبت إليه.

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين وثمان مئة[٢] بالمخا[٣] وقبره بها مشهورٌ معظَّمٌ، مقصود للزيارة والتبرك، ومن استجارَ به أمِنَ ممّا يخافُ. نفع الله به. آمين.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٣١٦، ونزهة الجليس ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٨، والضوء اللامع ٥/ ٢٦٣.

(٢) في الأعلام ٤/ ٣١٦: وفاته ٨٢٨هـ.

(٣) المَخَا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر، وهو مقصور. (معجم البلدان ٥/ ٦٧).

٣٨

سيدي أبو عبد الله الغزْواني (١)

(... ـ ٩٣٥)

قطبُ دائرة المتصرّفين، صاحب الكرامات والمكاشفات، سيدي ومولاي أبو عبد الله محمد الغزواني المراكشي الشاذلي، كان رضي الله عنه من أهل التَّصريف، ومن أصحاب الكرامات الخارقة. أقامه اللَّهُ في الكون فتصرَّفَ في الوجود بأمر الله، وكان قطباً غوثاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة.

وكان رضي الله عنه من أكابرِ الرِّجال أصحابِ المقامات العالية، وهو أحدُ السبعة الأقطاب المدفونين بمراكش.

انتهت إليه تربية المُريدين، فربَّاهم بالدَّلال والكمال حتى وصلوا إلى مقامات الرجال، انعقد عليه الإجماع في الكشف الصريح عن خفايا الأمور، أتى منٍ الحقائق بما يُبهر العقول حتى أذعنتْ له جميعُ العلماء، وخضعت لصولته جلٍّ الأمراء، وانفردَ في زمانه بالمددِ الفيَّاض، فكان رحمةً كبرى لجميع العباد.

كانت عامَّةُ أهل المغرب يَستسقون به الغيث فيسقون، ولهم فيه الاعتقاد الكبير للأمير والحقير، والغني والفقير إلى وقتنا هذا حسبما هو مُشاهد.

وله كراماتٌ رضي الله عنه وقعت على أيدي الناس في حياته وبعد مماته، فمن كراماته رضي الله عنه أنَّه خرجَ ذات يوم إلى بعضِ القبائل لإيقاع صلح في أمرٍ وقع بينهم، فلمَّا راحَ إليهم افتتح الذِّكرَ، وبدأ بعمارة الحضرة، فتواجدَ النَّاس كلُّهم حتى اختلطَ الفريقان، ولم يزل ذلك دأبُهم جميع الليل، وكان ذلك في رمضان، فلمَّا لاح الفجرُ صاحَ الناس، وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور، وأعلموه بذلك رضي الله عنه، فقام وقال: بأمر الله ارجع أيُّها الليل. فذهبتْ تَباشيرُ الصُّبح التي ظهرت، وأقبلَ الليلُ بظلام كما كان حتى تسحَّرَ الناس، واكتفوا، وفرغوا فعند ذلك جاء الفجرُ، وهذه الكرامة تُعدُّ من الكرامات التي لا تقع إلا على أيدي الكُمَّلِ من الرجال أربابِ التصريف.

وله كراماتٌ تلهجُ بذكرها ألسنةُ الناس، ويكفي فيها ما هو مشاهدٌ الآن من إشفاء المرضى والزمنى، وإغاثة الملهوف، وتفريج المكروب، وإعانة المضطر، فالمتوسِّلُ به إلى الله سبحانه وتعالى لا يرى ضيماً ولا قهراً بفضل الله.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢١٢.

أخذ رضي الله عنه طريق رشده وهدايته من شيخ شيوخ وقته الشيخ الرَّباني والأستاذ العرفاني سيدي محمد بن عبد العزيز التباع دفين حضرة مراكش رضي الله عنه.

تُوفي سيدي أبو عبد الله الغزواني قدّس سره عام تسع مئة وخمسة وثلاثين، ودفن بالقصر من حضرة مُرّاكش حرسها الله، بمقام عظيم، وضريحُه من الأماكن المُعدّة لإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والناس تزدحمُ على قبره مُقتبسين من أنواره، مُستمدّين من أسراره، وتفوح الرَّوائحُ الزكية على ضريحه من بعد، اللهم أمدنا بأسرارِه، وانفحنا ببركاته، واجعلنا يا مولانا على أثر أوليائك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين. آمين.

٣٩

شيخنا سيدي الدمرداشي[(١)]

(... ـ ٩٣٩)

قطبُ دائرة الولاية الكبرى، ونقطةُ باء مركز العناية العظمى، شيخُ مشايخ الدائرتين، وجليس الحضرتين، المجدُّ الجاهد، الذي سلك طريقَ الأماجد، فعُدَّ من فحول الرجال، وحازَ مقامات الأنجاب والأبدال، سيدنا ومولانا وشيخنا العارف الأكبر، والغوث الأشهر سيدنا ومولانا أبو عبد الله محمد الدمرداش الملقب بالمحمَّدي الخلوتي الشاذلي قدس سره العالي.

وكان رضي الله عنه من أصحاب المقامات العالية، جاهد نفسه حتى وصلَ إلى المراتب العالية، وكان رضي الله عنه لا ينامُ الليل قطُّ، ولا يفترُ عن المجاهدة، ولم تدعْه لحظةٌ تفوته بغير عبادة فيها بدون راحة.

وكان في بدايته من أجلِّ أصحاب سيدنا عمر الرُّوشني الخلوتي، أخذ عنه الطريقَ ببلاد العجم، واقتدى به وصحبه، وانتفع بصحبته حتى ظهرتْ عليه أسرارُه وأنواره، وكان شيخه رضي الله عنه من أصحابِ الدَّوائر، ومن أجلّاء المشايخ الواصلين، فربّاه تربيةً حسنة حتى أنجبَ وسار، وشهدت بفضله العلماء والأخيار.

وكان رضي الله عنه على قدمِ السَّلفِ الصالح؛ من الأكل من عمل يده،

---

(١) انظر ترجمته في هدية العارفين ٦/ ٢٣١ وفيها اسمه محمد بن عبد الله المعروف بابن دمرداش، المتوفى سنة ٩٣١، وإيضاح المكنون ٤/ ٢٥٠ ووفاته فيه سنة ٩٢٩، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٠٧.

والتَّصدّقِ بما فضل، وكان يتلو القرآن كثيراً، وربّما يقرأ ختمةً كاملة قبل طلوع الفجر.

وكان له غيطٌ[(١)]، أقام هو وزجته يغرسون فيه، وأثمرَ بعد ذلك، فكان ليس في مصر أَحلى من ثمرة غيطه، ومع ذلك فكان رضي الله عنه لا يأكل منه قطُّ، وكان يقول: أنا ما زرعته إلا باسم الفقراء والمساكين.

توفي رضي الله عنه عام تسع مئة وتسعة وثلاثين، ودفن بزاويته التي أنشأها المعروفة، وشهرته بمصر تُغني عن التعريف عنه. أمدنا الله بمدده.. آمين.

٤٠

الأستاذ الخضيري[(٢)]

(... ـ ٩٦٥)

أبو الربيعين، وشيخُ الطريقين، الأستاذ أبو عبد الله الخضيري سبط آل الصديق، كان رضي الله عنه صاحبَ كرامات، وكان شأنُه الصمتَ، وكان مسموعَ الكلمة عند الأمراء، وتلمذَ له جماعة كثيرون.

أخذ عن الجلال السَّيوطي[(٣)] رضي الله عنه، وكان مُصاحباً لسيدي أبي السعود الجارحي رضي الله عنه.

توفي تاسع شهر ذي الحجة سنة خمس وستين وتسع مئة، ودفن بزاويته خلف مسجد طيلون بالشارع المعروف به، وهو أحدُ المزارات المشهورة بمصر، تقصدُه الزُّوّارُ من كلِّ مكان، وله حضرةٌ تُقام بعد صلاة الجمعة، يحضرها العلماء، وتدور بينهما النفحات، ومسجدُه في غاية الظرف، عليه أنوار، وبه بئر، من كانت به أيُّ علَّةٍ واغتسلَ منه شفاه الله، وقد عارضتني نوبةٌ شديدة، وأنا إذ ذاك صغير

---

(١) الغيط: البستان.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٨/ ٣٢٩ وفيه وفاته تقريباً سنة ٩٦١.

(٣) الجلال السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م).

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين. إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً، فألف أكثر كتبه، منها «الإتقان في علوم القرآن» و«إتمام الدراية لقراء النقاية» و«الأحاديث المنيفة» و«الأرج في الفرج»، و«الأشباه والنظائر» و«الاقتراح» في أصول النحو، وغير ذلك.

الأعلام ٣/ ٣٠١، والكواكب السائرة ١/ ٢٢٦، وشذرات الذهب ٨/ ٥١، وآداب اللغة ٣/ ٢٢٨.

أذهلت عقلي، وشتَّتَتْ أفكارَ أبويَّ، ولم يدعْ والدي رحمه الله طبيباً روحانياً أو غيره إلا وأتى به، ولكن ما سبقَ في علم الله لا بدَّ من نفاذه، وطالتْ بي هذه النوبة مدة ثلاثة أشهر أو أكثر، فأتى سيدنا الخضيري رضي الله عنه إلى جدّي لأمّي، وقال له: قل لابنتك تُحضر ولدها الحسن لعندي يوم الجمعة بعد الصلاة. فأخبر جدّي رحمه الله أُمّي بذلك، وقصَّ عليها الرؤيا، وكان جدّي قد سأله: من أنت؟ حتى أخبرها. قال له: أنا الخضيري. فذهبت بي أُمّي إليه يوم الجمعة، وجلستُ في الحضرة، وأنا إذ ذاك صبيٌّ أبلغُ من العمر ثماني سنوات تقريباً، وتردَّدتْ بي نحو ثلاث جمع، فواللّهِ الذي لا إله إلا هو ما مضتِ الثلاث جمع إلا وأنا معافى، وكأن لم يكن بي شيءٌ، وذهبت تلك النوبة التي أَخرستني، وأفقدت عقلي مدَّةً طويلة، ولم تعد إليّ، وهذا كلُّه ببركة هذه الولي الكبير، وهذه كرامةٌ من كراماته، التي تقع على أيدي الناس، وكم لها من نظير إلى وقتنا هذا، اللهم لا تَحرمنا من بركتهم، وعطّف قلوبهم علينا. ومدفون معه في هذه الزاوية ولده سيدنا أحمد، وسيدي عليٌّ ولده.

وكان سيدنا أحمد ولده من أكابر العارفين، وحصلت له جذبةٌ في بداية عمره، ورجعَ إلى الصحو، أخذَ عن والده، وكثرت تلامذته، وكان أكثرَ إقامته بساقية مكّة من الجيزة، وكذلك كان ولده سيدي عليٌّ. اللهم انفعنا بمددهم وبأسرارهم. آمين.

٤١

القطب الشعراني[١]

(... ـ ٩٧٣)

الإمام العامل، والهُمام الكامل، إنسانُ عين ذوي الفضائل، وعينُ إنسان الواصلين، من ذوي الفضائل، العابد، الزاهد، الفقيه، المحدّث، الصوفي، المربي المسلك، قطبُ دائرة فلك المتّقين، قدوةُ الأولياء والعارفين، فريدةُ الأتقياء والواصلين، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، المنتظمُ بسلسلة «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢]، مرشدُ الخلائق إلى سواء السبيل، المختصُّ بشرائف عواطف

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ١٨٠ ـ ١٨١، وخطط مبارك ١٤/ ١٠٩، والتاج: مادة شعر، وآداب اللغة ٣/ ٣٣٥، والفهرس التمهيدي ٣٩٣ و٤٢١، ومجلة الكتاب ٢/ ٣٤٤، والخزانة التيمورية ٣/ ١٦٤، والكتبخانة ٢/ ٦١ و٦٥ و٨٨ و١٠٣ و١٥٤، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٦٦.

(٢) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٦٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٤٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٨٣)، =

الملك التواب، المفيضُ عليه من كمال الأسرار والمعارف من لدن العليم الوهاب، قطبُ الأنجاب والأبدال والأقطاب، أستاذُ أهل الإرشاد والتسليك الشريف حساً ومعنًى، حَسَباً ونسباً، بلا تحقيق، طاهرُ النسبتين، المتمتِّعُ بمشاهدة جمال الحضرتين، تاجُ الدين، وغوثُ المسلمين، وأستاذ المتصرّفين، وملاذُ أهل التمكين، صاحبُ المَدَد الأكبر، والفضلِ الذي لا يُحصر، أبو المواهب[1] شرف الدين سيدنا ومولانا عبد الوهاب بن سيدنا أحمد بن سيدنا شهاب الدين علي الشَّعراني الأنصاري الشافعي، المحمَّدي ذاتاً وصفاتاً، الشَّاذليُّ طريقةً وحقيقةً، المجاهد الغازي، قطبُ الطريقة الشعرانية الشاذلية، وعينُ أعيان أهل الدوائر العليَّة.

كان رضي الله عنه من أصحابِ الدَّوائر الكُبرى المتمكّنين في الولاية من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وكان باطنُهُ وظاهره محمدياً، وإن شئت قلت خضرياً نورانياً.

تربّى رضي الله عنه يَتيماً بكفالة نبي الله سيدنا الخضر عليه السلام، وبنظرات جده سيدي شهاب الدين رضي الله عنه، فولد ونشأ رضي الله عنه وليًّا من أولياء الله تعالى، ولما ترعرَع، وصار في ريعان[2] شبابه، ظهرت فيه علاماتُ النَّجابة[3]، ومخايل الولاية، فاجتهدَ في طلب العلوم، وحفظ القرآن، وبعض المتون، وحاز العلوم والفنون، وتسترَّ بالفقه حتى كملَ رشدُه، وطار ذكره، اشتغل بالطريق فلاحت عليه بشاراتُ أهل التحقيق، وصار ركناً من أركان الطريق يُعتمد عليه، وقد أقامه الله رحمةً للعباد، لما اجتمع بسيد العباد، وجاهد جهاد الأبطال حتى عد من فحول الرجال.

ومكث سنين طوالاً لا يتضجعُ على الأرض ليلاً ولا نهاراً، بل اتَّخذ له حبلاً في سقف خلوته، فجعله في عُنقه ليلاً حتى لا يسقط، وكان يطوي الأيامَ المُتوالية، ويُديم الصوم، ويُفطر على أوقيةٍ[4] من الخبز، ويجمع الخرقَ من الكيمان، فيَّتخذُها مرقعةً فيستتر بها، وكانت عمامته من شَراميط الكيمان، وقصاصة الجلود.

= والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٧٨٦)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٣).

(١) في الأعلام ٤/ ١٨٠: أبو محمد.

(٢) ريعان كل شيء: أوله وأفضله، ومنه ريعان الشباب.

(٣) النجابة: النباهة والكرم والسخاء، وظهور الفضل على المِثْل.

(٤) الأُوقيةُ: جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل، وتُعادل في دمشق (٢١٣,٦) غ (ج) الأواقي.

واستمرَّ على ذلك حتى قويت روحانيتُهُ، فصار يطيرُ من صحن جامع الغَمْري إلى سطوحه، ورأى في مجلسه الجنَّةَ والنار، والصراط والحشر، والحوض، وكُشف عنه الحجاب، فشاهد الأمورَ العجاب، ورأى ما خلف جبل قاف، وتكلَّمَ بسائر اللغات، واستأنستْ به الوحوش، وتكلَّمَ بما يُبهر العقول، وشهدت بفضله الأئمة الأعلام، ودانت له رقاب الأنام، وخدمته الإنسُ والجان، والوحوشُ من جميع الآكام[1]، واطّلع على عجائب مخلوقات الله، وبلغَ به الورع والزهد مُنتهاه، حتى إذا مشى رحمه الله في الأسواق، تندلق[2] عليه الناس أيَّ اندلاق، واعتقدته جميعُ الخلائق، حتى اليهود والنصارى، وأسلمَ على يديه الكثيرُ منهم، وتاب على يديه من العصاة ما لا يُحصر عددُه، وصاروا من فقرائه، لما أمدَّهم بمدده، وكان يُسمعُ لزوايته دويٌّ كدوي النحل ليلاً ونهاراً من خارج أبواب مصر.

خدم المشايخ والأولياء، فخدمته أهلُ الأرض والسماء، وسَعَوا له حبواً على وجوههم، وأذعنت له الأمراءُ رغمَ أنوفهم، كانت تأتي إليهم الشفاعات، فيقبلونها صاغرين، ويُجبرون أصحابَها ويردُّونهم سالمين.

وكان رضي الله عنه مُجاب الدعوة، عظيمَ السمعة، ليِّن الجانب، بسّاماً مُتواضعاً متقشفاً[3].

وكان يلبس في بدايته الملابسَ الغالية، ويُجالس العلماء ويلاطفهم، وكان مُواظباً على السُّنة المحمدية، مُراعياً للمذاهب الأربعة لا يُفرّق بينهم، وقد أطلعه الله سبحانه وتعالى على مَقاماتهم، وكان يقول: جزاهم الله عنَّا خيراً.

وكان رضي الله عنه موزِّعاً أوقاته على العبادة؛ ما بين تأليفٍ وتصنيف، وذكرٍ وتذكير، وصلاةٍ على البشير النذير، وتربيةٍ بالدَّلال والكمال.

أُعطي رضي الله عنه ناطقةَ جميع الأولياء، وكانت تنبتُ الأولياءُ بساحه، كما تنبت الأرض بماء السماء.

وكان رضي الله عنه متخلّقاً بأخلاق أهل الله، مؤثراً على نفسه، كريماً، يُعطي عطايا الملوك، ويُنفق على الفقراء وذوي الحاجات، وكان يجتمع عنده بالزاوية نحو مئة من الفقراء؛ فكان يقومُ بهم نفقةً وكسوة.

وكان عظيمَ الهيبة، وافرَ الحرمة، يأتي إلى بابه أكابرُ الأمراء، فتارة يجتمعون به، وتارةً لا يجتمعون.

---

(١) الآكام: (ج) الأكمة: الرابية أو التل (ج) أكمٌ وأكمات.
(٢) اندلق الشيء: اندفع من مكانه.
(٣) تقشّف الرجل: ترك الترفع والتنعم.

وكان رضي الله عنه ذا همَّةٍ عالية، فكان يأتيه الكتابُ الكبير الحجم، فيطالعُه ويُراجعه، ويضع عليه تقريراته في ليلةٍ واحدة، وأرسل له ناصر الدين اللقاني «مدونة الإمام مالك»[١] رضي الله عنه مع النقيب، ليراجعَ فيها مسألةً أشكلت عليه في الظاهر، فلمَّا أتى بها النقيب، وصل إليه في الزاوية مساءً، فأعطاها له، وأراد الانصراف، فقال له: حتى تأخذها في الصباح، وباتَ عندنا هذه الليلة، فبات النقيب، وأخذ «المدونة» سيدي عبد الوهاب، ودخلَ خلوته، وبعد مضي زمنٍ يسير، خرجَ من الخلوة، وردَّها إليه، فأصبح الرجل، ومضى إلى سيدي ناصر الدين، و«المدونة» معه، ففتحها سيدي ناصر الدين اللقاني، فوجد عليها تقريراتٍ وتصليحاتٍ، فتعجَّبَ غاية العجب، فسأل نقيبَه عن ذلك، فقال: لا أَعلم غيرَ أنَّ سيدي عبد الوهاب لمَّا أخذها منّي، ودخل خلوته، ردَّها إليَّ بعد عشرين درجة، فلم أفتحها، وأحضرتها إليك كما هي، ولقد رأيتُه يا سيدي واللّهِ ما تركَ ورداً من أوراده، ولا تهجُّداته.

وكانت الأمراء، وأربابُ الجاه يحبُّونه محبَّةً شديدة، ويعتقدونه لصلاحه وورعه، وكان السُّلطان الغوري رحمه الله يُحبُّه محبَّةً شديدة، ويعتقده اعتقاداً جازماً، وأهدى له مرَّةً سجَّادةً وشاشاً عرضُه سبعة أذرع، وطوله ثلاثون ذراعاً، أهداه له سُلطان الهند في قشرة الجوزة، فأعطى رضي الله عنه الشاش لأخيه سيدي مولانا عبد القادر وأبقى السجادة ولم يستعملها مدَّةَ حياته، ولم يردَّها على السلطان أدباً منه، وكان هذا ديدنَه، ومشربُه الأدبُ مع ولاة الأمور، ومن دونهم، يُراعي حرمةَ الفقير والغني، والكبير والصغير، وهذه قطرةٌ من بحر فضائله.

وكيف لنا أن نقوم بحصرِ مناقبه؟! فهو إمامُ المحقّقين على الإطلاق، ومربّي المُريدين بأقوى قواعد التمكين، وفاتحُ أقفال غوامض معنويات إشارات المحققين، ومُعَبرُ رموز محلات مشكلات العارفين، وواسطةُ عِقد السَّالكين، وريحانةُ وجود الواصلين، الذي أقامته القدرةُ الإلهية، ورتبته العناية الربانية، واللطائف الرحمانية، فسلك الطريقة الإلهية، مُتَّبعاً للكتاب العزيز والسنة المحمدية، وتفقَّه حتى وصلَ إلى الغاية، في مذهب السادة الشافعية، وفتحَ الله عليه بالافتتاحات الربانية.

---

(١) كتاب «المدونة» في مذهب الإمام مالك وأخذها عن ابن القاسم، وكان أول من شرع في تصنيف «المدونة» أسد بن الفرات الفقيه المالكي بعد رجوعه من العراق، وأصلها أسئلة سأل عنها ابن القاسم فأجابه عنها، وجاء بها أسد إلى القيروان وكتبها عنه سُحنون، وكانت تسمى الأسدية ثم رحل بها سحنون إلى ابن القاسم فعرضها عليه وأصلح فيها مسائل (للتوسع انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٨١ ترجمة سحنون).

ولم يزل مُعظّماً في صدور الصدور، مُبجَّلاً في عيون الأعيان، حتى نقله الله تعالى إلى دار كرامته، عام تسع مئة وثلاثة وسبعين، ودُفن بزاويته بين الصورين، وحضر جنازته جمعٌ حافل من العلماء والفقهاء والأمراء والفقراء، وكان يوماً مشهوداً في مصر، وصُلّي عليه بالأزهر الشريف، وقُرئ نسبُه الشريف على الدكّة[1]، وحملوه على الأعناق، حيث مدفنه، وحضرت جنازته الأولياء الأحياء والأموات، ورجالُ الدوائر من الإنس والجن من سكان البراري والوديان وما وراء البحار، حتى لم تُر قطُّ جنازةٌ بمصر مثل جنازته، وعكفتِ الطيورُ تحوم حول نعشه، وبكتْ عليه الجمادات، وتقطّعتِ القلوبُ أسفاً عليه.

وخلّف رحمه الله ذِكراً باقياً، وثناءً عطراً زاكياً، وبعد وفاته تناثرتِ الخيراتُ على زاويته من كلِّ فجٍّ عميق، فأوقفوا العقارات والأطيان، وشيّدوا له مسجداً جامعاً يليق بمقامه، وضريحاً خاصاً له، وبعاليه قبّةٌ معقودةٌ ومقصورة، ورتّبوا له المرتبات.

وصارَ مسجدُه يُعدُّ من أعظم مساجد مصر، وضريحُه من أجلِّ الأضرحة التي يُستجاب عندها الدعاء، ومدَدُه فائضٌ بين العباد، تقصدُه ذوو الحاجات والمتعسّرين، فيقفون بين يديه، ويتوسَّلون إلى الله بكشف الكروب، وما زاره أحدٌ إلا ورُدَّ مجبورَ الخاطر.

وهو رضي الله عنه نصيرُ الضعفاء حيًّا وميتاً، تزدحم الناس عليه، وينذرون له النذور والشُّموع، وما من أحدٍ حلَّ ساحته إلا وأفاض عليه من مَدَدِهِ، رحمه الله، وتقصدُه أهالي مصر قاطبةً، من كُل ملَّةٍ، ويؤمِّلون عنده خيراً كثيراً، اللهم أمدنا بمدده الفياض، واحشرنا تحت لوائه، وأدم علينا بركاته. آمين.

٤٢

سيدي علي البيومي[2]

(١١٠٠ ـ ١١٨٣)

الإمامُ، الولي، الصالح، المُعتَقد المجذوب، العالم العامل، القطبُ الشريف، مولانا وسيدنا علي بن حجازي بن محمد البيومي الحسني الإدريسي الشاذلي الخلوتي الدِّمرداشي رضي الله عنه.

---

(١) الدَّكَّةُ: بناءٌ يُسطَّح أعلاه للجلوس عليه. أو المصطبة يُقعد عليها (ج) دِكاكٌ.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٢٧٠، وفهرست الكتبخانة ٧/ ٩١ و٩٢، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٧٧.

ولد رحمه الله سنة ألف ومئة[١]، وحفظَ القرآن، وطلب العلم من الأشياخ، وتلقَّنَ الطريقَة الخلوتية، وسلك بها، والأحمدية والشاذلية، وحصل له جذبٌ، ومالتْ إليه القلوب، وصار للناس فيه اعتقادٌ عظيم، وانجذبت إليه الأرواحُ، ومشى كثيرٌ من الخلق على طريقته، وصار له مُريدون وأتباع.

وكان قدَّس الله سرَّه يسكن خطَّ الحسينية، ويعقدُ حلقَ الذكر في مسجد الظاهر خارج الحُسينية، وكان يُقيم به هو وجماعة.

وكان قدَّس الله سرَّه ذا واردات، وفيوضات، وأحوالٍ غريبة، وألَّفَ كُتباً عديدة، وشرح «الحكم العطائية»، و«الإنسان الكامل»[٢] للجيلي، وله شرحٌ على «الجامع الصغير»، وشرحٌ على «الصلاة النورانية»، وشرحٌ على «الصيغة المطلسمة»، وشرح على «الأربعين النووية».

وكلامُه عالٍ في التصوف، وإذا تكلَّمَ أفصحَ في البيان، وأتى بما يُبهر الأعيان.

وكان قدَّس الله سرَّه يلبسُ قميصاً أبيضَ، وطاقيةً بيضاء، ويعتمُّ عليها بقطعةِ شملةٍ[٣] حمراء، لا يزيدُ على ذلك شيئاً، لا شتاءً ولا صيفاً.

وكان قدَّس الله سرَّه، لا يخرجُ من بيته إلا في كلِّ أسبوع مرة، لزيارة المشهد الحسيني، وكان إذا خرجَ في ذلك اليوم، يركبُ بغلةً، وأتباعه بين يديه وخلفه وأمامه، رافعينَ حوله الأعلام والبيارق[٤]، ويذكرونَ الله تعالى بطريقةٍ تلينُ لها القلوب، حتى إذا وصلَ إلى المشهد الحسيني كثُر انضمامُ الناس عليه، وتزاحمت، وكثر عددهم، ثم يدخل هو وجماعتُه في هذا الموكب الحافل، ويعقد حِلَقَ الذِّكر من الصباح إلى ضحوة النهار الكبرى في صحن المسجد، وكان لهذا اليوم الذي يخرجُ فيه دويٌّ، وكانتِ الناسُ تنتظره بفارغ صبر.

وكان قدَّس الله سرَّه في أثناء ذهابه وإيابه، تلحقُه النَّاسُ من العوام، والعصاة، والمحجوبين فيتوبوا على يديه، ويُوصلُهم من ساعتهم.

وقامت عليه العلماءُ، وأنكروا على ما يحصل من التلوّثِ في الجامع من

---

(١) في الأعلام ٤/ ٢٧٠: ولادته ١١٠٨.

(٢) كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» مجلد للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي الصوفي وهو كتاب على اصطلاح الصوفية مشتمل على نيف وستين باباً أوله الحمد لمن قام بحمده اسم الله. (كشف الظنون ١٨١).

(٣) الشملة: ثوب يُشتمل به (ج) شِمال.

(٤) البيارق: (ج) البيرق: الراية أو العلم.

أقدام جماعته؛ إذ كانوا يأتون حفاةً، ويرفعون أصواتَهم بشدَّةٍ، وقدَّموا شكواهم إلى الباشا، وإلى أرباب الدولة، فانبرى من بينهم الأستاذُ عبد الله الشبراوي قدَّس الله سرَّه، وكان شديدَ الحبِّ للمجاذيب، وتكلَّمَ مع الباشا، والأمراء، وقال لهم: إنَّ هذا الرجل من العلماء ومن الأولياء، فلا ينبغي التعرّضُ له. فعملوا له جمعيةً من كبار العلماء بالأزهر، وأحضروه فيها، فأخذ سيِّدي عليٌّ يقرأ لهم في «الأربعين النووية»[١] وشرحها، وصارَ يشرح لهم، ويقرِّرُ من كلام سيد البشر، ويأتي بالدَّليل والبرهان، وجواز الذكر في المساجد، وإباحة الدخول بالحفا، ورفع الصوت، وغير ذلك حتى أبهرَ عقولَهم، ولم يكن يعلم قدَّس الله سرَّه ما أضمروا عليه له، فأذعنوا له، وسكتوا، ورجعوا عمَّا هم عليه، وأقرُّوا بأنه من الأولياء الكاملين، وأقرُّوا على ما هو عليه، ولما رأى الباشا ذلك اعتقده، وأجلَّه، وعظَّمَهُ، وقبَّلَ يديه، وأمرَ ببناء مسجدٍ له، وضريحٍ ومقصورة، فشرعوا في بنائه موضعَ منزله الذي كان يسكنه.

وكان قدَّس الله سرَّه صاحبَ أنوارٍ باهرة، وأسرار ظاهرة، وخصَّه الله بالقبول بين الخاصِّ والعام، وصارَ إذا دخل خلوته تحضرُ عنده الأولياء، وكان يحضرُ بخلوته سيدي أحمدُ البدوي، وهو الذي ألبسه الزيَّ الأحمر مرَّةً في بركة الحاج، ومرَّةً عنده بالمقام.

ومن كراماته قدَّس الله سرَّه: أنه كان يُتوِّبُ العصاة، وقطاعَ الطُّرق، ويَصيروا من خواصِّ أصحابه، وكان يضربُهم بمقارعَ من الحديد، ويربطهم بسلاسلَ في عيدان جامع الظاهر، وكانت عليه هيبةُ الملوك، وكان إذا غلبَ عليه الحال، وأراد الذِّكرَ يصيرُ في غاية القوة.

توفِّي رحمه الله ونفعنا به سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف، وخرجوا بجنازته من داره، وصلُّوا عليه بالأزهر، ورجعوا به إلى المسجد، فدفنوه في مقامه الذي أُعدَّ له، وهو مقامٌ تلوح عليه الأنوار.

---

(١) كتاب «الأربعين النووية» وهو الإمام محدث الشام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ قال فيه: ومن العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد وبعضهم في الزهد وبعضهم في الآداب وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه وهو نصف الإسلام أو ثلثه ونحو ذلك، وألتزم فيه أن تكون صحيحة معظمها من صحيح البخاري ومسلم محذوفة الأسانيد ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها. (كشف الظنون ٥٩).

وكان يومُ وفاته يوماً لم يُر مثله قطُّ، رُفعت الأعلامُ والبيارق حول نعشه، واجتمعت جميعُ الطوائف، وأعلنوا بالذكر، وكان يوماً مشهوداً.

ولما توفّي شيخُ الإسلام الأستاذ حسن القويسني[١]، وكان من أجلِّ أصحابه دُفن بجواره في ضريحٍ خاص، ولوحظَ بأنوارِ شيخه. اللهم اغفر لنا، وارحمنا ببركة حبِّهم آمين.

٤٣

القطب سيدي محمد السمان[٢]

(١١٣٠ ـ ١١٨٩)

القطب الأكبر، والغوث الأشهر، عالم المدينةِ بأسرها، وليُّ الله العارف سيدي أبو عبد الله بن عبد الكريم السمَّان المدني الخلوتي الشاذلي.

كان قدَّس الله سرَّه من الأولياء الراسخين في الحقائق، انتهت إليه تربية المُريدين، فتخرَّجَ من تحت يده أولياء، وعلماء لا يُحصون.

ولد قدَّس الله سرَّه بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام، سنة ثلاثين ومئة وألف، فأشرق في الوجود نورُ هدايته، ونشأ قدَّس الله سرَّه ميَّالاً على الطاعة، وحضور الجُمعة والجماعة، وملازماً على الصوم، مُشتغلاً بمطالعة كُتب السادات، حتى أشرقت عليه الأنوار، وامتلأ من العلومِ والأسرار، وحضرَ مشايخَ العلماء، وتلقّى علمَ الحقيقة عن والده.

وحضر إلى مصر لتلقّي العلوم، فتغذّى بمعارف الفنون، وعقدَ حلقاتِ الذِّكر بالمشهد الحسيني، وحضرت مجالسَه أفاضلُ العلماء، فاشتهر أمرُه وظهر، وعمَّ ذكرُه وانتشر، وتمَّ له الكمال، ورُسم في ديوان الرجال، وأشرقت شموسُه في سائر الأكوان، وانتفعت بعلومه وأسراره عمومُ أهل الإسلام، من أقصى البلاد إلى خراسان.

---

(١) حسن القويسني (توفي ١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م).
حسن بن دوريش بن عبد الله بن مطاوع القويسني، برهان الدين. فاضل من أهل مصر. نسبته إلى قويسنا ولي مشيخة الجامع الأزهر سنة ١٢٥٠هـ، واعتراه الجذب في آخر عمره. له رسالة في «المواريث» و«شرح متن السلم» في المنطق سماه «إيضاح المبهم من معاني السلم».
الأعلام ٢/ ١٩٠، وخطط مبارك ١٤/ ١٤١.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٢١٦، ومخطوطات الظاهرية التاريخ ٢/ ٢٣٦ وانظر البلدية: تصوف ٥٠.

وله قدَّس الله سرَّه مُصنفاتٌ عديدة.

كان قدَّس الله سرَّه صاحبَ بسطٍ وجمال، ونورٍ وعرفان وكمال، وكلامه قدَّس الله سرَّه مشهود.

توفي قدَّس الله سرَّه بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، سنة تسعٍ وثمانين ومئة وألف، ودُفن بالبقيع[١].

وكان قدَّس الله سرَّه إذا غلب عليه الجمال تكلم بلسان الحال، فمن ذلك قوله:

قمْ نحو حاني سُحيراً إنْ ترمْ مَدَدِي ... واشربْ مُريدي بكأسي خمرةَ الصَّمَدِ
واسكرْ وهمْ في الورى تِيهاً فما أحَدٌ ... إلّا ولي شاهدٌ بالفضلِ والرَّشَدِ[٢]
أنا الإمامُ أنا القطبُ الشَّهيرُ أنا ... غوثُ الأنامِ أنا السمَّانُ ذو المَدَدِ
أنا محمَّدٌ المعمورُ فاسعَ إذاً ... ما شئتُ لي وصلةٌ من حضرة الأَمَدِ
الوقتُ وقتي وما في الكونِ أجمعُهُ ... في قبضتي وهو من جُندي ومن حَشَدي

ومن قوله في عينيته:

شربتُ كؤوسَ العشقِ صِرفاً وفضلتي ... بها هامَ من أسقيتُهُ فهو خالعُ
ظَهرتُ وشمسي في البريَّةِ ساطعٌ ... وكلّي لأسرار الوجودِ مَطالعُ
أنا كنتُ مكنوزاً لسرٌ علمتُهُ ... وعن فهمِهِ إدراكُ غيري قاطعُ
ويوم (ألستُ) الكلُّ جاؤوا لدعوتي ... وهاموا بحبِّي والدُّموعُ هوامعُ[٣]

ومن قوله قدَّس الله سرَّه في كتابه «النفحات الإلهية»[٤]: صحبةُ أهلِ الطريق هي التخلُّقُ بأخلاق أولئك الفريق.

وكان يقول رضي الله عنه: الفقراءُ هم الملوك، فينبغي للمُريد إذا صحبَهم أن يُعانقَ الأدب معهم.

وكلامه قدَّس الله سرَّه مقبولٌ، وله نَفَسٌ عالٍ في علم الحقائق، اللهم انفعنا بهم، وسامحنا، واغفر لنا ذنوبنا. آمين.

---

(١) البقيع: بقيع الغرقد: مقبرة في المدينة المنورة.
(٢) الورى: الخَلْقُ. التِّيهُ: الصلف والكِبْرُ.
(٣) دمعٌ هموعٌ: سيّال.
(٤) انظر إيضاح المكنون ٦٦٤.

٤٤

مولانا عبد العزيز الدباغ[١]
(١٠٩٥ ـ ١١٣١)

الولي الكامل، الغوثُ الحافل، الصوفيُّ الباهر، نجمُ العرفان الزاهر، صاحبُ الإشارات العلية، والعباراتِ السنية، والحقائقِ القُدسية، والأنوارِ المحمدية، والأسرار الرَّبانية، والهمم العرشية، مُنشئ معالم الطريقة بعد خفاء آثارها، ومُبدي معالم الحقائق بعد خبوّ أنوارها، الشريفُ الحسيب، الوجيه النسيب، ذو النسبتين الطاهرتين الجسمية والروحية، والسُّلالتين الطيبتين الشاهدية والغيبية، والولايتين الكريمتين الملكية والملكوتية، المحمدي العلوي الحسني، قطبُ السالكين، وحاملُ لواء العارفين، شيخنا وسيدنا ومولانا سيدي عبد العزيز بن سيدنا ومولانا مسعود الدَّبّاغ بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا محمد بن مولاي أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن أحمد بن سيدنا ومولانا قاسم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن هارون بن فنون بن علوش بن منديل بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن مولاي إدريس الأزهر بن مولاي إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا ومولانا علي رضي الله عنهم أجمعين.

ولد قدَّس الله سرَّه بفاس، وكان قبلَ ولادته أوصى لأبويه سيدي ومولاي العربي الفشتالي بأمانة، وقال لهما: سيزيد عندكما عبد العزيز، فأعطوه هذه الأمانة، وكانت هذه الأمانة هي شاشيةٌ وسباطٌ، فحفظوهما حتى حملتْ به أمُّه الشريفة، فلمَّا حملت به، ووضعته، تربّى في حِجريهما، حتى بلغ سنَّ الرشد، وصامَ من ذلك العام، وألهم الله سبحانه وتعالى أمَّه، فأعطته الأمانة التي أوصى بها مولاي العربي، وقال قدَّس الله سرَّه: فأخذتها، وجعلت الشاشية على رأسي، والسباط في رجلي، فحصلتْ لي سخانةٌ عظيمة حتى دمعت عيناي، وعرفتُ ما أشار به سيدي العربي، وفهمتُ إشارته والحمد لله رب العالمين، ووقع لي الفتحُ منذ لبستُها، وألقى الله في قلبي التَّشوُّفَ[٢] إلى العبودية الخالصة، فجعلتُ أبحث

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/٢٨، ونشر المثاني ٢/١١٨، وطبقات الشاذلية ١٤٧، ومخطوطات الرباط ٢/٢١٧، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٥٧.

(٢) تشوَّف فلان إلى الشيء: تطلَّع إليه ونظر وطمح بصره إليه.

عنها غاية البحث، فما سمعتُ بأحدٍ يشيخه النَّاسُ إلا ذهبتُ إليه وشيَّخته، حتى تمَّ الفتحُ على يد سيدنا الخضر عليه السلام، ولقَّنني الورد عند السِّدرة المحررة بضريح الولي الصالح سيدي علي بن حرزم، وقطعت ما أمرني به في ثلاثة أيام، واجتمعتُ بسيِّد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام بعد ذلك، وصرتُ أراه يقظةً لا مناماً، وكنت قبل ذلك أُلازِمُ سيدي عبد الله البرناوي قدَّس الله سرَّه، فقال بعد الفتح: يا عبدَ العزيز، كنتُ أخافُ عليك قبل اليوم، واليومَ حيثُ جمعك اللَّهُ مع رحمته تعالى وسيد الوجود ﷺ أمن قلبي، واطمأنَّ خاطري، فأستودعُكَ الله عزَّ وجلَّ، فذهبَ إلى بلاده وتركني.

قال قدَّسَ الله سرَّه: ومن جملة من لقيته من المشايخ، سيدي محمد اللهواج وبلاده بقرب تطاون، وسيدي عبد الله البناوي، وسيدي منصور، وسيدي عمر قيّم الروضة، وكلُّ هؤلاء ورثتُ أسرارَهم، والحمد لله.

قلت: وقد اجتمع قدَّس الله سرَّه اجتماعاً آخر مع جماعةٍ من الأولياء منهم: سيدي أحمد بن عبد الله، وكان من أهل الدائرة، ورجالِ الديوان، وبسبب صحبتِهِ له أطلعه الله تعالى على أسرارِ القرآن، حتَّى حلَّ مشكلاته، وفكَّ طلاسم آياته، ونطقَ بالمغيَّبات، وشاهدَ أسرار الملكوت، وجالَتْ روحُه في ميدان الجبروت[١]، وظهرت له كراماتٌ، ونطق بسائر اللغات، ودانتْ له ملوكُ الأرض، ونزلت بساحته الأولياء، واستمدُّوا منه بسائر الإمدادات.

ومن كراماته قدَّس الله سرَّه، تأثير كلامه في القلوب، فقد جاءه فقيهٌ من الفقهاء ذات يوم، وقال له: يا سيدي، ادعُ الله لي بقطع الوساوس من قلبي. فقال قدَّس الله سرَّه: الوسواس[٢] لا يكون إلا مع الجهلِ بالطريق، فمن قصدَ مدينةً، وهو جاهلٌ بطريقها، فإنَّ الخواطر تختلفُ عليه، ويقول له خاطره: الطريق هكذا، فيتَّبعه، ثم يقول له آخر: بل الطَّريقُ من ههنا، فيبقى حيرانَ، ولا يَدري أين يذهب، والعارفُ بالطريق يسيرُ، وقلبُه سالمٌ من ذلك، وطريقُ الدُّنيا والآخرة هو الله تعالى، فمن عرفَ هذا ربح خيري الدُّنيا والآخرة، وأحياه الله حياةً طيِّبةً، ومن جهلَ هذا كان على الضدِّ. قال الفقيه: فلمَّا سمعتُ هذا الكلام رحمني الله به، فصار الخاطرُ إذا توجَّه لقضاءِ حاجةٍ من غيره تعالى جذبَهُ جاذبٌ من غيرِه، وردَّه إلى الله عزّ وجلّ.

---

(١) الجبروت: صيغة مبالغة بمعنى القدرة والسلطة والعظمة.

(٢) الوسواس: جمع وساوس، وهو الاسم من وسوس ويعني الشيطان، أو مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن، أو حديث النفس مما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه.

وكراماته قدَّس الله سرَّه لا تَنحصر، فهو البحر الزاخر، والسرُّ الباهر، والكنز المطلسم، والغوثُ المفرد والعلم.

وقد أطال في كراماته تلميذه في «الإبريز» فراجعه تفزْ بعناية الملك العزيز.

وكان قدَّس الله سرَّه يقول لتلميذه سيدي ابنِ المبارك: يا ابنَ المبارك، لو عاش إبراهيمُ الدسوقي من زمانه إلى الآن ما أدرك صاحبَك عبدَ العزيز من الصباح إلى الآن.

أقول: الأولياء رضي الله عنهم وإنْ علت مراتبهم فهم فوقَ ما نُدركه، سيّما وعلمُهم هذا لا يُحاط بالفكر، ولا يقتضي للعقل تصوره، وإنَّما علمُهم هذا وراء العقل، إذ قد تقرَّرَ عند علماء هذا الفن أنَّ العقل وراءَه أطوارٌ، وهذه الأطوارُ تنطوي تحتها علومٌ وأسرار، هي علوم الخواصّ، فيجب علينا إذاً التسليم، فقد قالوا: التسليمُ ولايةٌ، ونعني به الولاية الصغرى، وكقول القائل:

وإذا لم تَرَ الهلالَ فسلِّمْ ... لأُناسٍ رأوه بالأبصار

ومثل هذه المقالة لا تحطُّ قدراً من العارف سيدي إبراهيم الدسوقي، فإن مثال هؤلاء علومهم علينا مبهمةٌ، ولا يمكننا فهمها، وأيضاً لما يتكلّمون به في بعض الأوقات بلسانِ الحال، وما من وليٍّ إلا وله شطحاتٌ ومشاهدات، انظر كتبَ الصوفية ساداتِنا تجدْها مشحونةً بهذه الأقوال، نفعنا الله بهم، ورزقنا التسليم لأقوالهم وأفعالهم. آمين.

وكانت وفاة مولانا عبد العزيز الدَّبَّاغ قدَّس الله سرَّه سنة إحدى وثلاثين وألف[١]، عن ستة وثلاثين عاماً.

وكان قدَّس الله سرَّه أُمّياً، لا يقرأُ ولا يكتب، ومن أرادَ الوقوف على شريفِ حاله، وخصائص سرِّه، وعلوّ مقامه، فليطالع «الإبريز» فقد جمع فيه تلميذُه المشارُ مناقبَه وفضائله، والحقُّ ما هي إلا قطرة من بحر فضائله.

وضريحُ مولانا سيدي عبد العزيز بحضرة فاس من أعظمِ الأضرحة وأجلِّها، ومقامُه بالمغربِ كمقام أكبرِ ضريحٍ بمصر، تُشدُّ إليه الرِّحالَ من أقصى البلاد، وتتزاحمُ عليه العباد، ويرجون عندَه خيراً كثيراً، وضريحه تلوحُ عليه الأنوار، ويُراعي زائريه، ويمدُّهم بالنَّفحات، اللهم احشرنا في حزبه، وأمتنا على حبِّه وحبِّ أتباعِه. آمين.

---

(١) في الأعلام ٤/٢٨: وفاته ١١٣٢هـ.

٤٥

مولانا علي بن العربي السقَّاط الشاذلي
(... ـ ١١٨٣)

الأستاذ العارف مولانا نور الدين أبو الحسن مولانا علي بن العربي بن علي العربي السقَّاط الفاسي المغربي الشاذلي.

ولد رضي الله عنه بفاس، وقرأ على والده، وحضر دروس مولانا عبد السلام البَنَّاني رضي الله عنه، وَوَرِدَ إلى مصرَ حاجًّا، فحضر في الأزهر دروس مشايخ العصر، ثم سافر إلى مكَّة والمدينة، وعاد إلى بلاده، وقدمَ مصرَ ثانية، واستقرَّ به المقام، ولازمَ مشايخ الوقت الأعلام، واجتمعَ بالشيخ التطاوني، وأجازه بجامع السُّلطان الغوري، واجتمعَ بالسيد مُرتضى الزبيدي[1]، وأخذ عنه علم التحقيق، ومالَ رضي الله عنه في نهايته إلى العزلة والانجماع، فانعزل عن الناس، وكان رحمه الله حسناً وقوراً، مُتواضعاً زاهداً، مُستأنساً.

توفّي رحمه الله سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف، أواخر جُمادى الأولى، ودفن في المسجد الذي كان يعتكفُ فيه بالفحَّامين، ممّا يلي حارة الجودرية الكبيرة، وله مقامٌ عظيم يُزار تتساقطُ عليه الأنوار، وتنشرحُ عنده صدور الزوَّار، وقد زرته، فانشرح خاطري، وكان في الزَّمنِ السالف يُعمل له مولدٌ عظيم، وكان الذي يحيي لياليه بالذِّكر والحضرات سيدنا ووالدنا عليه رحمة الله سيدي أبو عبد الله الحاج محمد بن قاسم الكوهن الفاسي، كان رحمه الله في ليالي المولد

---

(١) مُرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ = ١٧٣٢ ـ ١٧٩٠م).
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى. علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط، ومولده في الهند، ومنشأه في زبيد. رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر. وتوفي بالطاعون في مصر. من كتبه «تاج العروس في شرح القاموس» عشرة مجلدات، و«إتحاف السادة المتقين» في شرح إحياء العلوم للغزالي، عشرة مجلدات، و«أسانيد الكتب الستة» و«كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام» و«معجم شيوخه» و«ألفية السند» و«مختصر العين» في اللغة، و«جذوة الاقتباس في نسب بني العباس» و«الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار» وغير ذلك.
الأعلام ٧/ ٧٠، وفهرس الفهارس ١/ ٣٩٨ ـ ٤١٣، والجبرتي ٢/ ١٩٦ ـ ٢١٠، وخطط مبارك ٢/ ٩٤، وآداب اللغة ٣/ ٢٨٨.

يعملُ الحضرة كلَّ ليلةٍ مدَّة ليالي المولد على طريقة السَّادة العيساوية والحندوشية رحمه الله وأسكنه بمنّه أعالي فراديس[1] الجنان.

ومدفون في هذا المسجد تجاه مولاي العربي في الضريح المقابلِ له سيدي عبد السلام البَنَّاني الفاسي، وابنه مولاي أحمد المتوفى عام أربعة ومئتين وألف رضي الله عنهما.

ولمَّا تُوفي مولانا أحمد المحروقي الشاذلي رضي الله عنه دفن معهما في ضريحٍ واحدٍ، وإلى الداخل مقامُ الوليِّ العارف الأستاذ مرشد، وهذا المسجد عليه أنوار وتجليات. اللهم انفعنا بساكنيه، وأمدنا بإمداداتهم. آمين.

٤٦

أبو الحسن الشاذلي الجوهري[2]

(. . . ـ ١١٨٢)

الإمام الفقيه، المحدّث الأُصولي المتكلّم، شيخُ الإسلام، ومفتي الأنام مولانا أبو الحسن أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الجوهري الخالدي الشاذلي.

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين، والأولياء العارفين، اشتغلَ في بدايته بالعلم حتى حصّل منه قسطاً وافراً، وسلك طريقَ التصوف، وانقطعَ إليه، فأخذ الطريقَ الشاذلية عن القطب سيدي عبد الله، وأجازه بالأحزاب والأوراد، وأخذها عن مولاي الطيب الفاسي لمّا قدمَ مصر، ولزمه وانتفع به، فكثرت على يديه المُريدون، وأمّته العلماء والصلحاء للأخذ عنه، والانتساب إليه.

وكان رضي الله عنه له مكاشفاتٌ وكرامات تقع على يديه.

توفي رحمه الله ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وألف ومئة، ودفن بزاويته القادرية المعروفة بمسجده الجوهري الآن بالسكّة الجديدة بالقاهرة، بالدرب المعروف سالفاً بدرب شمس الدولة.

ومعه من ذريته في هذا المقام ولدهُ الشيخ الصالح أحمد شهاب الدين المتوفّى سنة سبعٍ وثمانين وألف ومئة.

---

(١) الفراديس: (ج) الفردوس: حديقة في الجنة.
(٢) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١١٢.

ومن ذريته سيدنا أحمد المشهور بابن الجوهري، المتوفى سنة ست عشرة ومئتين وألف رضي الله عنهم، وأمدنا من إمداداتهم. آمين.

٤٧

السيد علي البكري

(... ـ ١٢٠٧)

الشريفُ الحسيب النسيب، المعتَقدُ صاحبُ الكرامات، وخوارق العادات، السيد علي بن السيد مصطفى بن السيد درويش بن علي تقي الدين النحراوي بن السيد تقي الدين بن السيد صدر الدين بن السيد صفي الدين بن السيد صالح بن السيد محمد كمال الدين بن السيد إبراهيم القرشي بن السيد أبي المجد الدسوقي الشاذلي رضي الله عنهم أجمعين، فهو رضي الله عنه من ذريته الأشراف الدسوقية البراهمة.

وكان رضي الله عنه من المجاذيب، أربابِ الأحوال الصادقة، واشتهر بالبكري لسُكناه بسويقة البكرية.

أقام رحمه الله على قدم التجريد سنين عديدة، يمشي في الأسواق عريان، ويخلط في الكلام، وبيده نبُوتٌ[1] طَويل، يصحبه معه في غالب أوقاته، وكانت تتبعه امرأة يقال لها الشيخة أمُونة، من المجاذيب، وكانت من الزهاد أرباب الأحوال.

وكان يحلقُ لحيته، وللناس فيه اعتقادٌ عظيم، ويُنصتون إلى تخليطاته، ويوجِّهون ألفاظه، ويؤولّونها بما في ضمائرهم، ومقتضيات أحوالهم ووقائعهم، وحصلت له هذه الجذبة بعد نشأته حتى أسكرته طول حياته، فكان رضي الله عنه لا ينال إلا في الأزقة، وعلى قوارعِ الطرق، ويبيتُ غالب لياليه طاوياً من غير أكلٍ ولا شرب.

وكان له أخٌ من مساتير الناس، فحجزه أخوه في بيته، وكساه وأطعمه، وأنفق على أتباعه، وألبسه ثياباً حسناء، فصارتِ الناس تتردَّدُ إلى زيارته، وكان يُكاشفهم بأمورهم وأحوالهم، ورأوا منه كراماتٍ عظيمة، فصاروا يأتونه بالهدايا والنُّذور، فيأخذها أخوه، فأثرى بسبب ذلك، ولما رأى أخوه كثرة تردُّدِ الناس إليه، وبذلِ أموالهم بين يديه، بالغَ في إكرامه، وقيَّدَ له من يخدمه، ويقوم بمصالحه، ويراعيه في نومه ويقظته وقضاءِ حاجته.

وكان في بدايته رضي الله عنه إذا مشى في الأزقَّة تتعلَّق به أصحاب الحوانيت

(١) النَّبُوتُ: الفرع النابت من الشجر. أو العصا المستوية (مصرية) (ج) نبابيت.

والمارَّة، وسكان الدُّور حتى النساء، فصارت له أتباعٌ يمشون خلفه، ويُلازمونه أينما ذهب، وكلُّ من التصق به أو مرَّ على حانوته وباب داره، حصلت له جذبةٌ، وتبعه، حتى شاعَ هذا الأمر، وبلغَ العلماء وولاة الأمور، وصارت له شنَّةٌ ورنة، وباتتِ الناس تتحدَّثُ في ذلك، فأمرَ الوالي بإرساله إلى المارستان، هو ومن معه، فقبضوا عليه، وأودعوه بالمارستان(١)، فمكثَ به أسبوعاً، وبعد الأسبوع رُئي في الأزقَّة كحالته الأولى، فتعجَّبتِ الناس، وبلغَ الأمر أربابَ الدولة، فتركوه، ولكنْ قلّت أتباعُه، ما عدا الشيخة أمونة، فإنّها زادت في الانجذاب، وكشفتْ وجهها، ولبست ملابسَ الرجال، ولازمته أينما توجَّه، وصارَ كلُّ من يعترِضُ عليها يمسُّه سيدنا، فينجذبُ، ويخلعُ ثيابه، ويتحنجل في مشيته، حتى تبعهم خَلقٌ كثيرٌ من النساء والرجال، وصار لهم ضجَّةٌ عظيمة في الأسواق، وكانت تتبعهم الأطفال والكبارُ والصغار، ويصيرُ لهم كوكبة(٢)، وكثر هرجُ الناس ومرجهم، وكانت الشيخة أمونة تقفُ على دكَّةِ حانوت أحدِ التجار، وتتكلَّمُ وتخلط في الكلام، وتارةً تتكلَّمُ بالعربية، وتارةً بالتركية، وتارةً بالفارسية، وهكذا. والناس ينصتون لها، ويقبِّلونَ يديها، ويتبرَّكون بها، ودام الحال على ذلك مدَّةً إلى أن انفرد الأستاذ عنها، وعن أتباعه، ولزم بيت أخيه، وانفردت هي في منزلها، واعتقدتها الناسُ من كلِّ طائفةٍ من الخواصِّ ومن العوام، وتفرَّقت باقي المجاذيب، وظلَّ سيدنا عليٌّ ملازماً في دار أخيه على هذه الحالة، حتى توفّاه الله سنة سبع ومئتين وألف، واجتمعَ الناس لتشييع جنازته من كلِّ ناحيةٍ، ودفنوه بمسجده الشرَّابي بالقرب من جامع الرويعي، وعملوا له مقصورةً، ومقاماً يُقصد للزيارة، واجتمعوا عنده ثلاث ليال، وعملوا الحضرات والأذكار، وصارت المنشدون تنشد، واعتادوا كلَّ عام بإحياء ليلةِ مولده بمثل يوم توفّي، وضريحُه مشهورٌ، ينذرون له النذور، وله كرامات ظاهرة، ويتوالى على ضريحه الزائرون، نفعنا الله به. آمين.

٤٨

أبو البركات الدردير(٣)

(... ـ ١٢٠١)

البحر الزَّاخر، والكوكبُ الساطع الزاهر، أوحدُ وقته في الفنون العقلية

---

(١) المارستانُ: المصحَّة أو المستشفى (ج) مارستانات.

(٢) الكوكبة: الجماعة من الناس.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٤٤، وفهرس دار الكتب ١/ ٤٨٥ ثم ٢/ ٢٠٥، والمكتبة الأزهرية ٢/ ٣٠٦.

والنقلية، شيخُ أهل الإسلام، وبركةُ الأنام، قطبُ العارفين، سلالةُ الماجدين، ذو المآثر والمناقب، الذّاكرُ الناسك، العابد الزاهد، حجّةُ الأولياء، وتاجُ الأتقياء، قطبُ دائرة المحققين، وسلطان العلماء العاملين، مفتي العاملين، مفتي الديار، ومالك زمامِ الأسرار، المجاهدُ المغازي في سبيل الله، الخاشعُ العابد الذاكر الأوّاه، شيخُ الطريقين، وواحد الفريقين، أبو البركات سيدنا الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الشاذلي الخلوتي الملقب بالدردير.

ولد رضي الله عنه ببني عدي[١]، وحفظ القرآن، وأتمَّ بعضَ العلوم، ووردَ الأزهر، وسمعَ دروس الأشياخ، وبعد أن امتلأ من العلومِ الظاهرية، وأُسندت إليه رئاسةُ المالكية، سلك طريق القوم، وشمَّر عن ساعد الجدِّ، فتلقى طريقَ الخلوتية، وقطع الأسماء.

قال رضي الله عنه في «رسالته»: لمّا لقّنني شيخي وقدوتي سيدي شمس الدين سالم الحفناوي رضي الله عنه الذِّكرَ، وقد سيقتْ لي إشارةٌ ربانيةٌ قبل الاجتماع به أنّي سأسير بسيره، فلمَّا لقنني الاسم الأول، مكثتُ نحو ستَّة أشهرٍ نذكر به حتى أحرق الذِّكرُ جسمي، وأذهب لحمي ودمي، حتى صارَ مجرَّدَ جلدي على عظمي.

ولما بلغَ رضي الله عنه ونفعنا به الذكر معه منتهاه، وصارتْ روحانيته ذكراً في ذكرٍ من ذكرٍ إلى ذكر، صار في هذا المقام لا يعي شيئاً، مع أنه كان يُخاطبُ الناس بأحسن خطاب، وبعد التمامِ رُفع له الحجاب، ونالَ ما نال، وعُدَّ من الرجال، وأُشيرَ إليه بالكمال، وغلبَ عليه حال الوجد والهيام، ونزلت بساحته السادةُ الأعلام، ثم تحقَّقَ وأظهرَ التحقيقات البديعة، وصارت له أحوال عجيبة.

تلقى طريق الشاذلية والنقشبندية، وسلكَ بهما، وسلَّكَ وربّى إخواناً على الصدق أعواناً.

كان رضي الله عنه مهذَّبَ النفس، كريمَ الأخلاق، شهدت بفضله أهلُ مصر، والمغرب، والشام، والعراق، وقصدته سائرُ العباد من أقصى البلاد، كان رضي الله عنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وله في السَّعي على الخيرِ يدٌ بيضاء.

توفي رضي الله عنه سادس ربيع الأول سنة إحدى ومئتين وألف، وصُلّي عليه بالأزهر، بمشهدٍ حافل، ودُفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدنا يحيى بن عقب رضي الله عنهما، وضريحه مهبطُ الزائرين، وكعبةُ القاصدين، ومحلُّ

---

(١) في الأعلام ١/ ٢٤٤: ولادته سنة ١١٢٧هـ.

التجليات، ومركزُ البركات، ومعه في هذا المقام من الأولياء خليفتُه بعد وفاته على الفقراء السيد السِّباعي الكبير، وولده ذو الفضل الغزير، والعالم الكبير رضي الله عنهم أجمعين، ونفع المسلمين بعلومهم وأسرارهم، آمين.

وهذا المشهد المبارك مشهورٌ بالبركات، روضة من رياض الجنان، تفوحُ من جوانبه روائحُ المسك، ويَقصده القاصي والدان، نفع الله به أُمَّةَ سيِّد ولدِ عدنان، اللهم ثبّت قلوبنا على محبَّتك ومحبّة محمد منبع الجود والكرم، وآله وأصحابه وورثته وحزبه. آمين آمين آمين.

٤٩

سيدي محمد بن عبد القادر الكوهن

(... ـ ١٢٥٤)

العالم العلامة، الفاضلُ أوحدُ أهلِ زمانه، حالاً ومقالاً، الفقيه الخيِّرُ النيّر، السالكُ الأمثل سيدي الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن أحمد بن الجيلاني الكوهن الفاسي المغربي قدَّس الله سرَّه.

وهو أولُ قادمٍ من أجدادنا إلى المدينة المنورة، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام، لمّا هاجرَ من مدينة فاس المحروسة، مجاوراً لطلب العلم بعياله، فأقامَ بها، وابتنى له ذريةً صالحة، وصحبَ الأولياء والفضلاء، واجتمع بالأشياخ من أهل مكّة، والمدينة.

توفي رضي الله عنه بالمدينة أواسط القرن الثالث عشر، ودُفن بالبقيع.

ومن ذرّيته عمّي المرحوم بكرم الله سيدي الريس سُليمان العيساوي الكوهن، المتوفى في رجب عام أربعين وثلاث مئة وألف بالمدينة، ودُفن بالبقيع، وهو والد أولاد عمِّنا الموجودين الآن بالمدينة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

٥٠

سيدي عبد الوهاب العفيفي[1]

(... ـ ١١٧٢)

الشيخُ الإمام المعمَّرُ القطب، أحدُ مشايخ الطريق، وعينُ أعيان هذا الفريق،

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٦٧.

صاحبُ الكرامات الظاهرة، والأسرارِ الباهرة، سيدي عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي العفيفي المرزوقي الشاذلي.

أقبل رضي الله عنه من صغره على العبادة، وقطنَ بالقاعة، بالقرب من الأزهر، وحضر دروسَ مشايخ أهلِ عصره، وأجازوه، وتلقّى الطريقة الشاذلية عن مولاي أحمد التِّهامي حين ورد إلى مصر.

وكان رضي الله عنه يحبُّ العزلةَ، والتقشُّفَ في الملابس، ومكثَ رضي الله عنه مدّة حياته لا يأكلُ إلا العيش[١] اليابس مع الدقَّة[٢]، وكانت الأمراء تأتي لزيارته، ويفرُّ منهم، وكلُّ من دخل عنده يقدّم له ما تيسَّر من الزاد الذي عنده.

توفي اثني عشر صفر سنة اثنتين وسبعين ومئة وألف، ودفن بجوار سيدي عبد الله المنوفي.

ولمَّا نزل السيلُ العظيم، عام ثمانية وسبعين، ووصلَ إلى القَرَافة، وهدمَ بعض القبور، وهُدمَ قبرُه من شدَّة السيل، اجتمعَ أولادُه وأصحابه، ونقلوه بالعلوة يمين القبر الذي كان فيه، وبنوا على قبره قبَّةً، وعملوا له ضريحاً وصيَّروه مزاراً عظيماً، وانشأوا بجانبه مسجداً كبيراً، وقصراً عالياً مشيداً، وقد جدد هذا القصر مجدد المزارات عبد الرحمن كتخدا.

ومقامه بمصر مشهور بين الطائفة العفيفية الشاذلية، وسائر الأمة الإسلامية. نفع الله به. آمين.

٥١

سيدي أحمد البديري

(... ـ ١١٨٤)

وليُّ الله العارف، أحدُ المجاذيب الصادقين، الأستاذُ الشيخ أحمد بن حسن العريان الشهير بالبديري.

كان رضي الله عنه من أربابِ الأحوال والكرامات، وكان أول أمره الصحو، ثم غلب عليه السُّكر، فأدركه المحو.

وكان له في بدايته أمورٌ غريبة، وكان كلُّ زائرٍ يدخل عليه يضربُه بجريدة كانت في يده.

---

(١) العيش: الخبز.
(٢) الدُّقَّةُ: الملح المدقوق، أو الملح مخلوطاً بالأبزار أو التوابل.

وكان يحجُّ، ويزورُ كلَّ عام، ويذهب إلى موالد الأولياء.

وكان رضي الله عنه أُمِّياً، وإذا قَرَأ قارئٌ بين يديه، وحصلَ له غلطٌ، يقول له: قف، فإنك غلطت.

وكان رضي الله عنه يلبس جبَّةَ صوفٍ، وعمامة صوف حمراء، يعتمُّ بها على لبدةٍ[1] من صوف، ويركبُ بغلةً سريعةَ العدو.

وكان شهيرَ الذكر، تعتقدُه الخاصَّةُ والعامة، وتأتي الأمراءُ والأعيان لزيارته، ويُعطونه دراهمَ كثيرةً، ينفقها على الفقراء المجتمعين حوله.

وأنشأَ مسجدَه تجاه جامع الزاهد، بجوار داره بخطِّ المقسم، وبنى بجواره سبيلاً، وتحته صهريجاً، وعمل مكتباً لقراءة القرآن، وعمل لنفسه مدفناً، ولعائلته وأقاربه وأتباعه.

وكان ممَّن اتَّحد به الشيخ العروسي، وصارَ لا يفارقه سفراً ولا حضراً، حتى أشرقت عليه أنواره.

توفي رضي الله عنه سنة أربعٍ وثمانين ومئة وألف، ودفن بمسجده المذكور، ومقامه مشهور يُزار، رضي الله عنه، اللهم أمتنا على حبِّهم. آمين.

٥٢

سيدي أبو عبد الله التاودي الفاسي[2]

(... ـ ١٢٠٧)

عالم المغرب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المرّي الفاسي التاودي الشاذلي.

ولد رضي الله عنه بفاس[3]، ونشأَ بها، وتلقّى العلوم، وانتهت إليه الرِّياسةُ، وتكلَّمَ على أسرار القوم وعلومهم ومنازلاتهم، وأنشأَ زاويته بفاس تجاه جامع الأندلس.

---

(١) اللِّبْدَةُ: غطاء من أغطية الرأس يُتخذ من الصوف المتلبد (ج) ألباد ولبود ولبد.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ١٧٠، ١٧١، وفهرس الفهارس ١/ ١٨٥ ـ ١٩٠، وفهرست الكتبخانة ٣/ ١٦٤، وفهرس المؤلفين ٢٦٩، وشجرة النور ٣٧٢، وهو فيه «محمد التاودي بن محمد الطالب» وفيه أيضاً «ترجمته واسعة جمعها أبو الربيع الحوات في تأليف سماه: الروضة المقصودة في مآثر بني سودة» والفكر السامي ٤/ ١٢٧ واسمه فيه «محمد التاودي بن الطالب».

(٣) في الأعلام ٦/ ١٧٠: ولادته سنة ١١١١هـ.

وكانت له سبحةٌ[١] غليظةٌ، كان رضي الله عنه يُعلّقها في سقف خلوته، ويُسبّح عليها، وكان يُسمع لها صوتٌ عظيم.

توفي رضي الله عنه بفاس سنة سبع ومئتين وألف[٢]، ودُفن بزاويته، وضريحُه بها مشهور، وعلى تابوته سُبحتُه مَعلَّقة كما كانت أيام حياته رضي الله عنه. اللهم انفعني وأحبَّتي بمدده. آمين.

٥٣

سيدي أحمد العروسي[٣]

(... ـ ١٢٠٨)

علامةُ العلوم والمعارف، وروضة الآداب، شهابُ الفضل الثاقب، الإمام العلامة الهمام، القطب الرباني، الشيخ أحمد بن أبي الصلاح العروسي الشاذلي.

تولّى رضي الله عنه مشيخةَ الجامع الأزهر بنظرِ عمِّه الشيخ العريان، لمّا لازمه، وانقطع إلى خدمته، وكان فتحه على يديه، وزوّجه ابنتَه، واستمرَّ في المشيخة زماناً.

وكان رضي الله عنه ذا سمتٍ حسن، يلبس الملبوس النفيس.

توفي رضي الله عنه حادي عشر شعبان سنة ثمان ومئتين وألف، ودُفن بمسجد عمِّه وليِّ الله العريان بخطِّ المقسم تجاه جامع الزاهد، ومقامُه ظاهرٌ يُزار، اللهم أكرمنا بمحبَّة أوليائك. آمين.

٥٤

سيدي أحمد بن إدريس[٤]

(... ـ ١٢٥٣)

الأستاذُ الأعظم، والبحرُ الخضمُّ المطمطم، الغوثُ اللامع، والفردُ الجامع القطب، الذي لا يشاركه أحد في مقامه، ولم يُدانه أحدٌ في علومه من

---

(١) السُّبْحَةُ: خرزات منظومة في خيط للتسبيح (ج) سُبَحٌ.
(٢) في الأعلام ٦/ ١٧٠: وفاته سنة ١٢٠٩هـ.
(٣) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٦٢، وفي مقدمة شرح الأم للحسيني.
(٤) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٩٥، وقلب جزيرة العرب ٣٥٣ و٣٥٦، وملوك العرب ١/ ٢٥٢، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٣٧.

أهل وقته وأوانه، ذو النسبتين الطاهرتين، والسلالتين النيّرتين، القطبُ الرباني، والعارف النوراني، قطبُ دائرة التقديس؛ مولانا أحمد بن إدريس الحسني الفاسي الشاذلي المحمدي.

ولد[1] رضي الله عنه بميسور، بلدةٍ على ساحل البحر من أعمال فاس المحروسة، واشتغل بالعلم من أول عمره مدّة سنتين، حتى تحصّل على قسم عظيم من العلوم الظاهرية، وبرع فيها، وأُذن له بالتدريس من مشايخه، وصار يحضرُ دروسَه أفاضلُ مشايخ العصر، ثم طلبَ طريقَ التصوف، فأخذه عن أهله ذوقاً وإشراقاً، وأوّلُ من أخذ عنه سيدي عبد الوهاب التازي رضي الله عنه، ولازمه حتى تُوفّي، وأخذ بعده عن سيدي أبي القاسم الوزيري بإذنٍ خاص؛ وكان سيدي أبو القاسم هذا من أكابرِ العارفين، وله نَفَسٌ عالٍ في علم الحقائق، وكان يقال: إنه من الأفراد، وعلى مزاره قبّةٌ مبنيّةٌ في فاس، وضريحه مشهور، ولازمه حتى تُوفّي، وبعد وفاته لم يُؤذنْ له بصحبة أحدٍ من الأشياخ إلا بمعانقة القرآن، فاشتغلَ به، ولازمه إلى أن بدى له سرُّه، وحلَّ طلاسمه ورموزه، وأُذنَ له بعد ذلك في مقابلة الأشياخ، والتجوال في البلدان، فأخذ عن شاذليِّ وقته مولانا العربي الدّرقاوي رضي الله عنه، وعن قطبِ أهل المغرب سيدي أحمد التجاني قدّس الله سرَّه، ثم ارتحلَ من فاس إلى مكّة، وأخذَ عن صلحائها، ومكثَ بها أربع عشرة سنة، نشرَ بها أعلامَ طريقته، وسافر المدينةَ، والتقى هناك بالشيخ حمزة ظافر المدني رضي الله عنه، فأُعجبَ به، وأخذَ كلٌّ منهما عن صاحبه؛ وكثرت له الأتباع والمريدون من الأعيان.

ومن جملة من أخذ عنه عالمُ مكّةَ بأسرها الشيخ محمد عابد السندي رضي الله عنه، ومن أهل المدينة شيخُ علماء وقته، الشهيرُ بالمناقب المأثورة، المُتفقُ على جلالة قدره، من هو لكلِّ العلوم حاوي، سيدنا الشيخ أحمد الصاوي المتوفى سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف.

ثم أتاه الإذن بالسفر إلى بلاد اليمن، فسافر إليها، ونزلَ في دار قطبِ اليمن سيدي السيد عبد الرَّحمن الأهدل قدس سره، واستوطن صَبيا[2]، وانتشرتْ طريقته في بقاع الأرض.

وكراماته تجلُّ عن الحصر، لا تحويها الأوراق، فهو بحرٌ تلاطمتْ أمواجُه،

---

(١) في الأعلام ١/ ٩٥: ولادته سنة ١١٧٢هـ.

(٢) صبيا: من قرى عُشَرَ من ناحية اليمن. (معجم البلدان ٣/ ٣٩٢).

فعنه حدِّث ولا حرج، ولا يَخفى على من يطالع أحزابه وكلامه في طريق الخصوصية عظمُ قدره ومكانته.

وله مؤلفات نفيسة، تشهدُ بفضله، منها: «العقد النفيس»[١]، و«رسالة القواعد» وأحزابه وصلواته رضي الله عنه.

توفي رحمه الله ليلةَ السبت واحد وعشرين رجب سنة ثلاث وخمسين ومئتين وألف بصبيا، ومقامُه يُزار، تقصِدُه بلادُ الإسلام قاطبة من كلِّ ناحية، وتُشَدُّ إليه الرِّحال من سائر الآفاق.

وله ذريةٌ صالحة باقية إلى الآن، منهم ولده حسًّا ومعنًى، السيد محمد بن إدريس حاكم صبيا، وقد أخذ طريقةَ والده عن بعض خلفائه، نفعنا الله بهم، وحقَّقنا بالتبعية لهم. آمين.

٥٥

سيدي أحمد بن عجيبة الحسني[٢]

(. . . ـ منتصف القرن ١٣)

الشريف الحسيب، قطبُ دائرة الولاية الكبرى، ومنبعُ أسرار أهلِ الحقيقة، شيخ الطريقتين، وعُمدة الفريقين، وليُّ الله الأكبر، وغوثُه الأشهر، سيدنا ومولانا أحمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي.

كان رضي الله عنه من أهل التمكين، تلقّى في بدايته العلومَ الشرعية.

وكان رضي الله عنه يلبسُ الملابس الحسنة، ومالَ إلى طريقِ التصوف، فأخذَ أنوارَ الطريقة، وتلقّى أسرارَ الحقيقة من أستاذه فردِ هذه الطائفة سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه، ولقَّنه العهودَ، والأوراد، والذكر، وقال له: يا أحمد، يا ولدي، شروطُ الطريق عندنا الصدقُ والمحبة. وقال رضي الله عنه: فقلتُ له: يا سيدي، نحبُّ أن تكتبَ لنا ذلك في كاغد[٣]. قال: فكتبَ لي بذلك، ولمَّا خلوتُ

---

(١) انظر إيضاح المكنون ٤/ ١١١.

(٢) انظر ترجمته في اليواقيت الثمينة ٧٠ وفيه وفاته نحو سنة ١٢٦٦، والصواب في شِوال ١٢٢٤ كما حققه أحمد رافع الطهطاوي في ثبته (بالتيمورية ٣/ ١٩٧)، وإتحاف المطالع وعنه أخذ مولده ومكان دفنه وأن كتابه «الفتوحات القدوسية» مطبوع، ودليل مؤرخ المغرب الطبعة الثانية ١/ ٢٤٦، والمخطوطات المصورة، التاريخ القسم الرابع ص٢٥، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٤٠، واسمه أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة.

(٣) الكاغِدُ: ورق الكتابة (ج) كواغد.

بنفسي، نظرتُ إلى الكاغد، وقرأتُ ما فيها، ففُتح عليَّ في الحين، وصرتُ من أهل الحقائق والتمكين.

وبلغ رضي الله عنه وأرضاه مقاماتِ العارفين بصدقه وحبِّه، فخلعَ ما كان عليه من الثياب، لمَّا فُتحت له الأبواب، وناداه منادي الأحباب: ما هذا الحال يا ابن عجيبة؟ فأُفيضت عليه الأنوار، فارتدى مرقعةً وإزاراً، وعلّق سبحته وقرابه[١] في عنقه كما هو شأن الأخيار، وصار يمرُّ في الأسواق معلقاً قرابه في عنقه، لابساً لمرقعته وسبحته، وهو يقول بأعلى صوته: الله الله، أش هادي الغريبة؟ لو كان العلم يغني عن الحال، ما يعلّقُ القرابَ ابنُ عجيبة.

واستمرَّ على هذا الحال حتى نال ما نال، وتكلَّمَ على أسرار أهل الكمال، فأبدى علوماً غريبة، وأسراراً عجيبة، وأَجمعت على ولايته أهلُ المغرب بأسرها، وتبرَّكوا بتقبيل يديه، وأقبلتِ الوفود عليه، وكان قدَّس الله سرَّه نظره إكسيراً، إذا أتاه أو التقى معه مَنْ يَعرفه يرقيه في ميدان «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[٢]، حتى كثرت على يديه الأتباعُ والمريدون.

ومن يطالع شرحه على «الحكم» يعرفُ قدرَه ومكانته عند ربِّه، وكان شرحه لهذه «الحكم العطائية» بأمر مَنْ لا تسعه مخالفته فردِ الطائفةِ الشاذلية أُستاذِه وموصلِه بسلسلة الأنوار سيدي محمد البوزيدي، قال قُدّس سرُّه: وجلُّ هذا الشرح الذي نقيِّدُه إنما هو مواهبُ؛ لأني أكتبُ الحكمةَ ولا أدري ما أكتبُ، فأقف مفتقراً إلى ما عند الله.

وله تآليفُ وشروحٌ كثيرة، منها: كتاب «قواعد التشوف في حقائق التصوف»، وله تفسيرٌ للقرآن[٣] في الظاهر والباطن، قال قدَّس الله سرَّه: إذا أردتُ أن نتكلَّمَ في التفسير أو غيره نشرع في الكلام، ثم نغيب، فكنت نحسُّ بالكلام يخرج منّي من غيرِ اختيار، كأنَّه السَّحابُ، فتصدرُ منّي علومٌ وحكم، ولقد حضر معنا ذات يوم رجلٌ كبيرُ السن، فسمعَ ذلك، فقال: واللّهِ، لقد حضرتُ مجالسَ العلماء والصالحين، واللّهِ، ما رأيتُ مثلَ هذه الجواهر واليواقيت التي تخرجُ من سيّدي أحمد بن عجيبة، وذلك كلُّه ببركةِ صحبة أشياخنا، فجزاهم الله عنَّا أحسنَ جزائه.

ومن تفسيره عند قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ . . .﴾ [الأحزاب: ٥٦]

---

(١) القِرابُ: غمد السيف ونحوه (ج) قُرُبٌ وأقربة.

(٢) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٨٦)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٢٥٠) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٢٨)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ١٠٠)، وابن تيمية في (أحاديث القصاص ٥٨).

(٣) انظر الأعلام ١/ ٢٤٥.

وأمّا كونها ـ أي الصلاة ـ تقومُ مقامَ الشيخ في دخوله مقامَ الفناء والبقاء حتّى تعتدلَ حقيقتُه وشريعته، فلا تنقطع رعوناتُ[1] النفس إلا بآمرٍ وناه من غيره، يكون عالماً بدسائس النفوس وخدعها، وغايةُ ما تُوصل إليه الصلاةُ على رسول الله ﷺ إن لم يظفر بالشيخ الفناءُ في الصفات، وينالُ مقامَ الصلاح الأكبر، وتظهرُ له كراماتٌ وخوارق، ويكون من أربابِ الأحوال، وإن وصلَ إلى مقام الفناء، تكون شريعتُه أكبرَ من حقيقته، هذا ما ذقناه وسمعناه من أشياخنا، والطريق الَتي أدركناهم يستعملونها، وأخذنا عنهم أنَّهم يأمرون المُريد إن رأوه أهلاً للتربية أن يلتزمَ الاسمَ المُفرد، ويفني فيه حتّى تنعدمَ عوالمه، فإذا تحقَّقَ فناؤه، وغابَ عن نفسه ورسمه، ردُّوه إلى مقام البقاء، وحينئذ يأمرونه بالصَّلاة على رسول الله ﷺ؛ لتكون صلاتُه عليه كاملةً، يُصلّي على روحه وسرّه بلا حجاب، ويشاهده في كلِّ ساعةٍ كما شاهد ربَّه.

أقول: ولهذا كانت الطريقة الشاذلية بدايتُها نهاية غيرها، ونهايتُها تحقيقٌ فافهم.

وتآليفه قدَّس الله سرَّه، ونفعنا به عليها لوائح نفثات أهلِ المعرفة الكُمَّل، فإنه أُعطي رضي الله عنه ناطقةَ أسرارِ أهل الله، وأدركَ مقامات العارفين بربّهم، حتى عُدَّ قطبَ الزمان، وواحدَ الأوان.

وكلامه قدَّسَ الله سرَّه عالٍ، حلَّ مشكلات القوم، وفكَّ طلاسمَ أسرارهم، وتكلَّمَ بما أبهرَ عقولَ الأعيان.

توفّي قدَّس الله سرَّه في منتصف القرن الثالث عشر[2]، ومقامه بالمغرب مشهورٌ يُتوسَّلُ به إلى الله في قضاء الحاجات، ودفع الكُربات، أمدَّنا الله بمدده، ونفعنا به، وجعلنا على أثره. آمين.

٥٦

سيدي أحمد التيجاني[3]

(... ـ ١٢٣٠)

القطبُ الرَّباني سيدنا ومولانا، قطبُ دائرةِ التصريف، مولاي سيدي أَحمد التيجاني المغربي قدَّس الله سرَّه.

---

(١) الرعونات: (ج) الرعونة: الحُمْق.

(٢) في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٤١: توفي بقبيلة بني سلمان الغمارية عند شيخه البوزيدي في حياته عام ١٢٢٤ ودفن بالزميج من القبيلة الأنجرية.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٤٥ وفيه أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التّجاني.

ولد[١] بعين ماضي، ونشأَ بها، ووردَ مدينةَ فاس، وتلقّى العلمَ عن مشايخها، وسلكَ الطريق، ووصل إلى درجةِ الاجتهاد، فأخذَ عن المشايخ، وساحَ في طلب الشيخ سياحات طويلة، حتى وصل تِلمسان، فالمدينةَ، والتقى بالقطب سيدي محمد السمَّان، وأجازه بأحزاب الشاذلي، وورد مكَّةَ، والتقى فيها الشيخ الهندي، وورثَ سرَّه، وقصدَ مصرَ لمقابلة سيدي محمود الكردي بإشارةٍ وقعتْ له، وأخذ عنه، ودعا له، وعادَ إلى المغرب، ونشرَ طريقته هناك، ونُسبتْ إلى ذاته، واجتمعَ بالمصطفى ﷺ وأخذ عنه مباشرةً، واتَّسعت دائرتُه، وزادَ مددُه، وطار ذكره، ويكفينا في مناقبه ما هو مُسطَّرٌ في كتب تلامذته.

وله رسائلُ مباركةٌ، وأحزابٌ، وصلوات، وحقائق، وأنفاس صادقة، وخوارق، وأحوال.

وكان قدَّس الله سرَّه يقول: كلُّ الطرائقِ تدخلُ تحت دائرة الشاذلي، ما عدا طريقتي؛ فإنَّها مستقلةٌ، وهذا من تمام اجتهاده رضي الله عنه، وذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى أعطاه مقامَ الشاذلي، وصرَّفه في الكون بأمره، وأقامه رحمةً لعباده، وقوله هذا من باب التحدُّثِ بالنعم.

وقد ثبت أيضاً كما في «جواهر المعاني» أنَّه قال لتلميذه سيدي أحمد بن حِرازم بحضرة الرجال: يا ابنَ حِرازم، أُمرتُ أن أقولِ الآن: قدمي هذه على رقبةِ كلِّ وليٍّ لله، وكلِّ وليٍّ لله من خلق آدم إلى يوم القيامة. وهذه المقالةُ قد تكلَّمَ بها كثيرٌ من السادات، وإنْ أردتَ الوقوفَ على سرِّها فعليك بما قاله شيخنا أبو المواهب سيدُنا فتحُ الله البَنَّاني قدَّس الله سرَّه العالي، فقد أماطَ[٢] اللِّثامَ عن أسرار هذا الكلام، فراجعْه تفزْ إن شاء الله.

وكانت وفاة سيدي أحمد سنة ألفٍ ومئتين وثلاث وثلاثين، بحضرة فاس، ودفن في مسجده بحومة البليدة، ومقامه بالمغرب كعبة القاصدين، اللهم انفعنا وإخواننا ببركاته، وأمدنا بمدده. آمين.

٥٧

سيدي محمد الحرَّاق[٣]

(... ـ ١٢٦١)

مصباحُ الظلام، وحجَّة الإسلام، شيخ الطريقة، ومعدنُ السلوك

---

(١) في الأعلام ١/ ٢٤٥: ولد عام ١١٥٠هـ.

(٢) أماطه: نحّاه وأبعده. يقال: أماط الأذى عن الطريق؛ أي: نحّاه. ويقال: أماط اللثام.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٧٣، وسلوة الأنفاس ١/ ٣٤٢، وفهرس المخطوطات العربية =

والحقيقة، شريف النسبتين، ومُفتي المذهبين، القطبُ الرباني، أبو عبد الله سيدنا ومولانا محمد بن محمد الحرَّاق الشاذلي الدَّرقاوي بن مولانا عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن مولانا الحسن بن مولانا الحسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسن بن مالك بن عبد الكريم بن مولانا حمدون بن مولانا موسى أخي مولاي عبد السلام بن مولاي مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرملة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم أجمعين.

كان رضي الله عنه وأرضاه إماماً جليلَ القدر، مُتضلِّعاً في علم الظاهر، انتهت إليه فيه الرياسة، مشاركاً في فنونه من: تفسير، وحديث، وفقه، وفتوى، ومعقول، أمّا الأدبُ والشعر فقد كادَ أن ينفردَ به في عصره، وله ديوانٌ تكلَّمَ فيه في أسرار الطريقة، وإشاراتٌ رائقة، وقد نالَ رضي الله عنه الحظَّ الأوفر من علم الظاهر، وأكمل الله عليه نعمَه من علم الباطن، ليكونَ قدوةً للبشر، فحرَّر الطريقةَ، وسهَّلها، وسلك فيها أوضحَ المسالك وأَقربها، وأتى بأعجب العجاب من علم الإشارة بألطف بيان، وأوجز عبارة، وأسس طريقة على أربع قواعد: ذكرٍ، ومذاكرة، وعلمٍ، ومحبَّةٍ.

وفضائلُه لا تُحصى، ومحاسنه لا تُستقصى، وكفاه فخراً أنَّه تلميذٌ للقطب الكبير العارف مولانا الدرقاوي رضي الله عنه.

وله كلامٌ غريب في علوم القوم وإشاراتهم، فهو في زمانه رئيسُ العلماء الأعيان، وفريدُ أهل العصر والأوان، شهرته في بلادنا المغرب تُغني عن وصفه، أَجمعتِ البلاد على ولايته، وشهدوا بفضله ومكانته.

كان رحمه الله يربّي المُريدين، ويوصلهم إلى حقائق التمكين في حياة أستاذه وبعده لأنه هو الوارثُ الحقيقي، أخذَ عنه جمٌّ غفير من قبائل المشرق والمغرب، واشتهر نفعُه وطار صيته، مكثَ في طريقِ القوم شيخاً مربّياً نحو ثلاثين سنة.

تُوفّي رضي الله عنه ونفع به سنة إحدى وستين ومئتين وألف[1]، وله من

= في الرباط: الأول من القسم الثاني، الرقم ١٢٥٣، وطبقات الشاذلية ١٦٥، ومختصر تاريخ تطوان ٣٠٥ وفيه أن ترجمته في الأصل «تاريخ تطوان» بلغت ١٠٠ صفحة، ودليل مؤرخي المغرب ١/ ٢٣٤ وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٠٦.

(١) في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٠٦: توفي رضي الله عنه في أوائل القرن الثالث الهجري.

العمر خمسٌ وسبعون سنة، ودُفن بزاويته المشهورة بثغر تطوان ـ حفظه الله ـ بباب المقابر، ومقامُه ظاهرٌ يُزار، تَقصده الزُّوار من الأماكن البعيدة، والدُّعاء بساحته مُجاب.

وله رضي الله عنه رسائلُ وحكم، وتقاييدُ على بعض آيات قرانية، وديوانه المشهور، وتائيتُه التي سارت بذكرها الرّكبان، وشرحَها غيرُ واحدٍ.

ومن كلامه رضي الله عنه في توشيح له من الرمل مجزوء العجز:

زالَ عن قلبي تولُّه الفنا ... وصفا أمري
إذْ غدا لي كلُّ ربعٍ وطنا ... وانتفي نكري
كلُّ ماءٍ قد حوته شربتي ... فأنا ريّان
لستُ يوماً أَحتسي من خمرتي ... وأنا نشوان
من رآني ثابتاً في حِيرتي ... ظنَّني وسنان[1]

إلى أن قال مُتخلِّصاً رضي الله عنه:

فأنا في البين والعين أرى ... واحداً في اثنين
ظاهراً منّي ما قد بطنا ... فاعرفوا قدري
من رآني يَجتني زهرَ الجنا ... مدَّة العمرِ

ومن قوله في التائية عند ذكر خمريته:

أباحَ لي الخمَّارُ منه تفضُّلاً ... جناها فصارَ الشُّربُ ديني وملَّتي
فإن شِئْتُها صِرفاً شَربتُ وإن أشا ... نَشرتُ جميعَ الكائناتِ بنظرتي
وإن شئتُ أَطوي الكونَ طيًّا وإن أَشا ... مَزجتُ لأنَّ الكلَّ في طيِّ قبضتي
شربتُ صفاءً في صفاءٍ ومن يردْ ... من القومِ شرباً لم يجدْ غيرَ فضلتي

ومن قوله في فضائل الذكر:

إذا شئتَ أن تلقى السَّعادة والمُنى ... وتبلغَ ما عنه الرِّجالُ تولَّتِ
فطهِّرْ بماءِ الذِّكرِ قلبَك جاهداً ... بصدق اللجا واغسلْه من كلِّ علَّةِ

وله رضي الله غنه غير ذلك، ومن وقف على تآليفه النفيسة، وطالعَ كلامَه علمَ مكانته وتحقُّقَه من ربِّه، وصفاء باطنه، اللهم حقّقنا وأحبَّتنا بالسُّلوك على صراطهم القويم، وانفعنا بمحبَّتهم يا ربَّ العالمين.

---

(١) الوَسْنانُ: النائم الذي ليس بمُستغرق في نومه.

٥٨

سيدي عبد الواحد الدباغ[١]

(... ـ ١٢٧١)

قطبُ الوجود، وأستاذ كلِّ موجود، البحر الدافق، والسرُّ الناطق، صاحبُ الإشارات الكاملة، والمعارفِ الربانية، المربّي النفَّاع، الكثيرُ التلامذة والأتباع، شيخُ شيوخنا أبو المواهب مولانا عبد الواحد الدبَّاغ القصّار بن مولانا علال بن مولانا إدريس الشريف الحسني الإدريسي.

كان رحمه الله جبلاً راسخاً، وطوداً شامخاً، عارفاً، مربّياً، كاملاً، وفاضلاً محقِّقاً واصلاً، دالّاً على الله بسائر أقواله، مُشيراً إلى التعلّق به في جميع أحواله.

وقد ترجمه غيرُ واحدٍ من ساداتنا، منهم: شيخي وأُستاذي، وقدوتي وملاذي، مربّي المريدين، وزمزمُ أسرار الواصلين سيدنا ومولانا أبو المواهب سيدي الشيخ فتح الله البَنَّاني الشاذلي، قطبُ دائرة المتصوفين، وشيخُ المشايخ الواصلين رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا على أثره، ومتَّعنا برضاه، في «طبقاته الكبرى».

قال رضي الله عنه في كتابه «إتحاف أهل العناية» عند ذكر ترجمته ما نصُّه: وقد بسطتُ ترجمته في الجملة أيضاً في «طبقاتنا»، وذكرتُ بعضَ مآثره ومناقبه ومزاياه رضي الله عنه، فمن أرادَ الوقوفَ على ذلك فعليه بـ«طبقات سيدنا» وكتابه «إتحاف أهل العناية الرَّبانية».

ولنذكرْ جملةً من مناقبه تبرُّكاً به رضي الله عنه، فنقول: لما قدَم لفاس من بني زروال مولانا العربي الدّرقاوي رضي الله عنه جدَّدَ عليه سيدي عبد الواحد الوِردَ، وسلبَ له الإرادة، وكان أخذ طريقةً قبل قدومه عن أحدِ خلفائه على الفقراء بفاس، فلزمَ صحبته وخِدمته، وتولّى مولاي العربي خدمته هو بنفسه إلى أن كمل أمرُه، وفاض بحره، وانتصب لتربية المريدين، فكانت له تلامذةٌ وأتباع وأصحاب وأشياع، ظهرتْ عليهم بركتُه، وشملتهم عنايتُه ونفحته.

وذكرَ بعضُ أصحابه أنَّه أدركَ القطبانية.

توفي رحمه الله طلوع فجر يوم السبت سابع عشر ربيع الأول سنة إحدى

---

(١) انظر طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٦٤.

وسبعين ومئتين وألف، ودفن أولاً بالرُّميلة[١]، بقبَّةِ شيخه سيدي علي الجمل رضي الله عنه، وبعد عامين من موته جعلوا له زاويةً بحومة السياج قريباً من سُويقة ابن صافي، وجُعل عليه به دربوز، وجعلوه مزاراً، وهو مشهورٌ، يُتبرّك به.

وهو عالم حومة السياج، والدوح، والجرف، والعيون، وما هو منضافٌ إليها، اللهم اجعلنا على أثرهم، واحشرنا في زمرتهم. آمين.

٥٩

سيدي أبو بكر البَنَّاني[٢]

(... ـ ١٢٨٤)

قطبُ الدائرتين، وشيخُ الفريقين، العارفُ الرَّباني، الوليّ الصَّمداني، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة، سيدنا ومولانا والد أستاذنا سيدي أبو بكر بن سيدي محمد البَنَّاني الرباطي الشَّاذلي رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا من أهل حزبه، وأمدَّنا من أنواره. آمين.

وقد ترجمه شيخُنا نجلُه المحروس بعناية ربِّ الأنام، الملحوظُ بعواطفِ أَشرف الرُّسل الكرام، غزاليُّ وقته، في «طبقاته»، وفي «إتحاف أهل العناية» أيضاً.

والذي يطالع مؤلفاته، خصوصاً رسائلَه المُباركة المسماة بـ«مدارج السلوك إلى مالك الملوك»[٣]، يعرف عظيمَ قدره، وعلوَّ مقامه، وقد اشتهرت هذه الرسائل اشتهارَ الشَّمس المضيئة في رابعة النهار، وسارت بذكرها الرُّكبان في أنحاء الأرض بطولها والعرض، فقلَّما تجد بلداً من بلاد المسلمين، أو عالماً من علماء الدِّين، إلا وهي عندهم، يقرؤونها، ويقتدونَ بما ذكر فيْها من الآداب، ويَقتبسون منها علوماً وأسراراً، ولمَّا وقف عليهَا وعلى كتاب «إتحاف أهل العناية» شيخُنا قدس سره، إمامُ المحدِّثين في عصرنا سيدي الأستاذ محمد السمالوطي أبقى الله حياته، سُرَّ منهما كثيراً، واعتنى بهما.

---

(١) الرُّميلة: هو منزل في طريق البصرة إلى مكة بعد ضريّة نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. وقيل: من قرى بيت المقدس. (معجم البلدان ٣/ ٧٣).

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٣٤، وفي مذكرات تيمور باشا، ملخصة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٣٠١٩ تصوف، ضمن مجموعة بها بعض مؤلفات صاحب الترجمة. والانبساط ٢٨ ـ ٣١، والاغتباط بتراجم أعلام الرباط.

(٣) في الأعلام ٢/ ٧٠: «مدارج السلوك إلى ملك الملوك».

وبالجملة فمناقب سيدي أبو بكر البَنَّاني قدَّس الله سرَّه لا تُحصى، وفضائله لا تُستقصى، ويكفي ما ذكر في ترجمته من مناقبه ومزاياه في «طبقات شيخنا سيدي فتح الله رضي الله عنه» فمن أرادَ الوقوفَ على نقطةٍ من بحار فضله فعليه بـ«الطبقات» وستُطبع إن شاء الله، ويعمُّ نفعُها، ويتمُّ نشرُها، بفضل الله، وبمدد مشايخنا الكرام، وبسرِّ أُستاذِنا الهمام.

توفي أستاذنا سيدي أبو بكر البَنَّاني قدس الله سرَّه، ضحوة يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الثانية سنة أربع وثمانين ومئتين وألف، وكانت له جنازةٌ عظيمة، حضرها خلقٌ كثير، ودُفن بزاويته بحومة السويقة من بلده رباط الفتح حفظها الله، وضريحُه بها يُزار، وعليه من أنوارِ المهابة والإجلال ما يبهر عقولَ الأخيار، تقصدُ زيارتَه أهلُ المغرب قاطبةً لقضاء حاجاتهم، ونيلِ مآربهم الحسّية والمعنوية، وقد أكرمني الله بزيارته، والنزول بساحته، وأشهدني الله سرَّ أنواره، ببركة من نحن في حماه، سيدنا الأستاذ فتح الله رضي الله عنه وأرضاه، وحقَّقنا بالتبعية لهم، وحشرنا في زمرتهم، وأماتنا على حبهم. آمين يا رب العالمين.

٦٠

سيدي رفاعي بن عطاء الله السماني
(. . . ـ ١٣١٤)

الصوفي الفقيه، الزَّاهدُ النبيه، المشتغلُ بأُخراه عن دنياه، المتوكِّلُ على مولاه، إمامُ الطريق، وعُمدة أهل التحقيق، مربّي المُريدين بالهمَّة والحال، وموصلُهم إلى مقامات الرجال، العارفُ الربَّاني، والولي الصمداني، سيدنا ومولانا الأستاذ سيدي رفاعي أحمد بن عطاء الله السماني الشاذلي، شيخ الطريقة السمَّانية، وناشرُ لواء دولتها بين البرية.

نشأ قدَّس اللَّهُ سرَّه في بلدته بلصفورة، وبعد أن حفظَ القرآن، وتعلَّمَ العلم، اشتاقت نفسُه إلى العبادة والأُنس بربِّه، فكان يذهبُ إلى الجبل الغربي، ويمكثُ هناك أيامَ الأسبوع، ولا ينزل إلا لصلاة الجمعة، ومن ذلك الوقت تبعه خلقٌ كثير، وهو متجرِّدٌ[1] مقبلٌ على الطاعة، وقد هيَّأ الله له الأسباب، فسافر حاجًّا إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبرِ نبيه عليه الصلاة والسلام، وكان معه من أتباعه ما يزيدُ عن السبعين، منهم مولانا سيدي أحمد سرحان، وكان من أهل الشهود والعيان. ومنهم

(١) تجرَّد للأمر: جدَّ فيه وتفرَّغ له.

سيدي الحاج شيخون، فاجتمع بالمدينة المنوَّرِة بقطب الوقت، وصاحبِ الزمان الأستاذ سيدي أبو الحسن السمَّان، فأخذ عليه العهدَ، وأجازه بالإرشاد، فرجعَ وعينُ العناية تلاحظه، وقد زادَ شوقُه وهيامه، فربّى المُريدين، وأرشدَ السالكين، وانتشرتِ الطريقةُ على يده، وأجاز بالخلافة أهلَها في جهات متعدِّدة.

ثم توجَّه إلى الحجِّ لأداء الفريضة، وكانَ السفرُ من طريق القصير على البحر الأحمر، وأقامَ هناك أياماً تبعه فيها غالبُ أهل القصير، وخلفَ عليهم خليفةً مُباركاً، هو مولانا طه حمد، وهم لا يزالون هلى محبَّته إلى الآن، وقد أخبرنا من كان معه باحتفاء العرب به، وصفِّهم الموائدَ لأجله، ومساعدتهم له ولأتباعه.

وبعد أداء المناسك، سافرَ إلى المدينة المنورة، وبها اجتمعَ بشيخه أبي الحسن قدَّس الله سرَّه.

وفي هذا العام اجتمعتِ الخلفاءُ السمَّانية من جميع الأقطار في زاوية مولانا، بجوار الحرم المدني، وكان شيخُهُ من أهل الولاية والشهود، فطلبَ من الخلفاء الموجودين فتحَ الخلوة بدون مفتاح، وهذه الخلوة هي التي كانت لسيدي محمد السمَّان الكبير، صاحبِ الطريقة العلية، فتقدَّمَ كلُّ خليفةٍ على حسب الأمر، فلم يُفتح الباب، وكان الأستاذ سيدي رفاعي آخرَ القوم جلوساً، مُلتفًّا بعباءة صوف، فقالَ له الأستاذ: قم يا رفاعي. فقام مُتواجداً، وفتحَ الباب، وأخذه بعد ذلك حالٌ شديد، فخلعَ عليه الأستاذ خلعةً سنية، وألبسه التاجَ الذي كان يتبرَّكُ به طول حياته، ومن هذه الكرامة توجَّهت إليه البركات، وتواصلَ إليه الودُّ الروحاني، فأنشدَ لسانُ حاله يقول:

هل يَشترونـي بعيبي إنْ سَألتهمو ... أو يصبحوني غداً للظَّعنِ سَوَّاقُ[1]

إنّي رفاعيّكم منذ لستُ أنا ... من جملةِ القوم لي عهدٌ وميثاقُ

وهي قصيدة طويلة.

ورغماً عن تواضعه، وميله إلى الخمول، وعدم الشهرة، اجتمع بمصر مع السيد علي البكري، شيخ عموم المشايخ بالديار المصرية، فأعطاه إذناً عاماً على عموم الطرق، وأَذِنَه بأن يكون رئيساً يُرجع إليه في أَمر عمومِ أهل الطريق، وهذه الإجازةُ محفوظةٌ لدينا إلى الآن، ومن الغريب أنَّه لم يُطلعْ عليها أحداً في حال حياته بل كان سيرُه خاصاً بطريقته السِمَّانية فقط، تأمل.

---

(١) الظَّعن: الارتحال.

وفي عام وفاته أخبر زوجته أنَّه سيُتوفى في ليلة النصف من هذا العام، وفي هذه الليلة المعهودة، كان في بلده أحبابُه المزاولة، وبعد انتهاء حضرة الذِّكر مشى إلى جنينةِ[1] حبيبه فرغل بك عبد القادر، وأمرهم باستحضار أهلِهِ وولده، فحضروا، فأخذَ يُقبّل ولدَه الوحيد، وهو مولانا الأستاذ العارف بالله سيدي محمد السمان قدس سره، ويبكي، ويدعو له، وأخذَ يتلو في القرآن، يرفعُ صوتَه بالجلالة، واشتدَّ عليه المرض، فتوفي سحراً في ليلة النصف المباركة عام ألف وثلاث مئة وأربعة عشر، ودُفن بمشهدٍ عظيم في ضريح وليِّ الله سيدي محمد عبد القادر، بجوار ضريح والده، وعليه قبَّةٌ معقودةٌ، ومقام يُزار، تلوح عليه الأنوار، وتَقصدُه الزُّوارُ من كلِّ مكان.

وخلّفَ ولده المُشارَ، فسار بسيره، وسلكَ مسالكَ الطريقة، وتبعته تلامذةُ أبيه، وجدَّدوا عليه الطريق، وكثرتْ أتباعه، فجمع بين العلمِ والعمل، واقتدت به الرجالُ، وخلعت عليه خلع الكمال، وأقام حضراتِ الذِّكر، بهمَّته المعهودة، وتولّى خطابةَ مسجد العدوية، حيثُ هو الآن، ولقد أحسنَ إليَّ بتردُّدِهِ لديّ في كلِّ آن، بينا لستُ أَهلاً لذلك، وشاهدتُ عليه أموراً سنية، وأحوالاً بهيَّة، وأُعطي ـ رضي الله عنه، ونفعنا به ـ القبولَ الخاصَّ والعام.

لم أرَ أكثرَ منه تواضعاً في العلماء، يتواضعُ للكبير والصغير، في الكرمِ بحرٌ لا يُدرك له قَرار، مُتباعداً عن الأغيار، أدام الله حياته، وأفاضَ علينا من فيض مدَدِه آمين، فهو بدرُ العلوم اللائح، وقَطْرُها الغادي والرائح، وثبيرها الذي لا يُزحم، ومُنيرها الذي ينجلي به ليلُها الأسحم[2]، أما فنون الأدب فهو ابنُ بجدتها، وأخو جملتها، وأبو عُذرتها، ومالك أزمّتها، تُستخرجُ الجواهر من بحوره، وتحلى لبّات الطُّروس[3] بقلائد سطوره، تآليفه غُررٌ مُنيرات، أضاءت في وجوه دهم المشكلات، عالمْ أقلامُه نفثاتُ السِّحر، تآليفه عقائل أصبح الدَّهرُ من خطّابها، له بدائعُ مائسات الأعطاف، بحر البيان الزاخر، شيخ المعارف وإمامها، ومن في يديه زِمامها، لديه تُنشد ضوالُّ الأعراب، وتُوجد شوارد اللغة والإعراب، فسبحان المُنعم الوهّاب.

---

(١) الجُنينة: مُصغَّر الجنة: البستان التفَّ شجره حتى ستر الأرض بأشجاره. أو الحديقة ذات الشجر والنخل.

(٢) سَحِم الشيء سَحَماً وسُحْمَةً. وسَحُمَ سَحَماً: اسودّ. فهو أسحم وهي سحماء (ج) سُحْمٌ.

(٣) الطروس: (ج) الطِّرس: الصحيفة.

٦١

سيدي الشيخ فتح الله البَنَّاني الرباطي الشاذلي
(١٢٨١ ـ ١٣٥٣)

الأُستاذ الإمام، العالم العلامة الهمام، نخبةُ الأعيان، المكسوّ بأنوار المهابة والعرفان، الجامعُ بين فتنة الجمال وسطوة الجلال، الحائز قَصَبَ السَّبق في كلِّ خلق، نوارنيٌّ محمديٌّ بمنَّة الكريم المفضال، الولي الصالح، والكوكب الواضح، شيخُ الطريقة، وإمامُ الطالبين للحقيقة، مُحيي رسومَ الطريق بعد دُروسها، ومظهرُ معالِم التصوّف بعد أُفول شموسها، ومربي المُريدين، وعمدةُ السالكين، قمرُ الدَّياجي، المهتدى به في ظلمات المحسوسات والمعاني، وشمسُ الضواحي الساترة لكلِّ مضاد ومعاني، عُمدتي ومَلاذي، ومن على الله وعليه اعتمادي، العارفُ الرباني، والولي الصمداني، شيخُنا ووسيلتنا إلى الله، أبو الفضل سيدنا ومولانا فتح الله، نجلُ شيخ الطريق، ومعدنِ السُّلوك والتحقيق، سيدنا أبي بكر الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن الفقيه العلامة القاضي الأمثل سيدي عبد الله بن الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن الفقيه العلامة سيدي عبد السلام بَنَّاني، نفعنا الله والمُسلمين ببركاته، بجاه النبيِّ العدناني، صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ولد حفظه الله وحماه في شهر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف برباط الفتح، حيث هو الآن، حرسه الله، وأَصلُه من فاس، وكان جدُّهم سيدي عبدَ السلام المذكور آخر النسب، قدم منها بأمر مولوي أسماه الله لنشر العلم بالبلدةِ المذكورة، فبقي أولاده بها إلى الآن. وبيتُهم بيتُ علم ودين وولاية وصلاح، خلفاً عن سلف رضي الله عنهم، ببركة محبَّتهم له عليه الصلاة والسلام ولآل بيته رضي الله عنهم.

توفي والده رضي الله عنه وتركه ابنَ ثلاث سنين، فنشأ وتربّى في حِجر ساداتنا أكابرِ أصحاب والده رضي الله عنهم، أحسنَ نشأةٍ وتربية، في طاعة ربِّ البرية، وأحسنوا إليه وإلى إخوته غاية الإحسان، وفاءً بعهد والدهم رضي الله عنه، لما له عليهم من كمال الفضلِ والامتنان، وقرأ القرآن العظيم على الأستاذ الفاضل، الولي الكامل، سيدي الهاشمي القصري أبقى الله بركته، وقد سلب الإرادة إليه اليوم، ومدحَه بأبياتٍ مذكورة في «الفتح»، وأثناء القراءة عليه قرأ أيضاً جملةً صالحة منه على الشريف الجليل مولانا علي بن مولانا أحمد النجار، نفعنا الله

بهما، المُتوفّى سنة ستٍّ وتسعين ومئتين وألف رحمه الله، وكان يعظّمُ سيدنا الشيخ ويحترمه ويكرمه كالشيخ قبله، ولمّا كَمُلَتْ نجابتُه رضي الله عنه، وحفظ القرآن العظيم، وبعضَ مُتون الأمهات، اشتغلَ بقراءة العلمِ الشريف على مشايخَ كثيرين في بلده رباط الفتح، وغيرها.

منهم: أخوه وشقيقه الشيخ الإمام الدّراكة الهمام، الجامع بين الشريعة والحقيقة، سيدنا ومولانا **زين العابدين** جدَّد الله عليه سحائبَ الرَّحمات، وأسكنه بمنّه فسيح الجنات آمين.

ولد سنة سبع وسبعين ومئتين وألف، وتُوفّي يوم الثلاثاء ثامن عشر جُمادى الثانية سنة عشر وثلاث مئة وألف، ودُفن بلصق قبرِ والده بزاويته رضي الله عنه.

وكان علّامة وقته، وفريدَ نعته، قرأَ عليه شيئاً من النحو والتصريف والبيان والفقه والحديث وغير ذلك.

وفُتح عليه في علم الظاهر ببركته رضي الله عنه، وكان متأدّباً معه غايةَ الأدب، وكان يُعظّم سيدنا الشيخ ويحترمه، ويشهد له بالفضيلة.

ولما رجع سيدنا من حجّه وزيارته أوائل سنة عشر، طلبَ منه أن يجلسَ بجنبه في الدَّرس، ولا يجلس أمامه لِما شاهده فيه من النُّورانية الخاصة، فامتنعَ سيدنا من ذلك تأدُّباً معه رضي الله عنهم، ونفعنا بهم أجمعين.

ومنهم: شيخُ الجماعة، الإمامُ الأعظم، والهُمام الأفحم، العلامة المُشارك سيدي الحاج **إبراهيم بن سيدي محمد التادلي**[1]، أجزلَ الله أجره، وخلَّد في الصالحين ذكره.

وكان من العُلماء العاملين، قرأ عليه فنوناً عديدة كالنحو، والأصول، والفقه، والحديث، والتوحيد، وغير ذلك من الفنون.

وكان شاذلي الطريق رضي الله عنه، وكان يحبُّ سيدنا الشيخ رضي الله عنه ويعظّمه، ويطلب منه الدُّعاء الصالح، وأجازه بقراءة مئتين من سورة الإخلاص في كلِّ يوم، وكذلك أجازه في العموم بجميع مَروياته إجازتين، **إحداهما**: بواسطة أخيه المُتقدّم، **والثانية**: بواسطة شيخه سيدي الهاشمي الحجوي رحمه الله المتوفّى

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٧١ ـ ٧٢، والاغتباط بتراجم أعلام الرباط، ترجم له في ١٤ صفحة وانظر الانبساط بتلخيص الاغتباط ٢٧ وواسطة العقد النضيد لمحمد بن علي دنية ٤٤ ـ ٥٢ ومحمد المنوني في مجلة «تطوان» العدد السادس السنة ١٩٦١، ومخطوطات الرباط ٢/ ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥١، والأزهرية ٦/ ٣٠٧ وفيه وفاته بعد ١٣١٤ خطأ.

عام خمسة عشر وثلاث مئة وألف، والإجازتان مثبتتان في «طبقات» سيدنا رضي الله عنه، المسماة بـ«المجد الشامخ فيمن اجتمعَ بهم من أعيان المشايخ» المشتمل عليها «الفتح الربَّاني في التَّعريف بسيدنا الشيخ فتح الله بن الشيخ سيدي أبي بكر بَناني» فراجعْه ترَ ما يسرُّك ببركة النبيِّ العدناني صلّى الله عليه وآله وسلّم.

توفي هذا الشيخ رضي الله عنه ليلة الجمعة الثامنة عشرة من ذي الحجة الحرام عام أحد عشر وثلاث مئة وألف.

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه العلامة الهمام سيدي **الجيلاني بن إبراهيم** حفظه الله، ولا زال بقيد الحياة، وهو عالمٌ خيِّرٌ ديّن فاضلٌ شديد الشكيمة[١] في دين الله.

قال سيدنا رضي الله عنه في «طبقاته»: وجلُّ قراءتنا كانت على هؤلاء الأعلام الثلاثة المذكورين، وبنظرتهم ونظرة الأكابر الذين قرأنا عليهم، واجتمعنا بهم، حصَّلتُ ما حصَّلتُ؛ فإن السرَّ في النظرة، وبها تنقطع التقولات الموجبة للندامة والحسرة، كما قال عالم الحضرة إمامُنا مالك[٢] رضي الله عنه: ليس العلم بكثرةِ الرِّواية، وإنما العلمُ نورٌ يضعه اللَّهُ في قلوبِ المحبوبين من عبيده رضي الله عنهم، وجعلنا منهم آمين.

وقال رضي الله عنه: العلمُ نَفُورٌ، لا يأنس إلا بقلبِ تقيٍّ، أكرمنا الله بالتقوى، في السر والنجوى. آمين. انتهى.

وأما المشايخ الذين حضرَ دروسَهم، أو اجتمع بهم على سبيل التبرُّكِ في المشرق والمغرب فلا يُحصون كثرةً.

وأجازه الأئمة الأعلام كشيخِ الجماعة سيدي إبراهيم المتقدّم، والفقيه العلامة الشريف الحسني سيدي محمدِ بن سيدي جعفر الكتّاني الفاسي حفظه الله،

---

(١) الشَّكيمةُ: الأنفةُ، وقوة القلب. يقال: (فلان شديد الشكيمة)؛ أي: شديد النفس أبيٌّ حازم (ج) شكائم.

(٢) الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩هـ = ٧١٢ ـ ٧٩٥م).

مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي، فضربه سياطاً انخلعت له كتفه. صنف «الموطأ» وله رسالة في «الوعظ» وكتاب في «المسائل» ورسالة في «الرد على القدرية» وكتاب في «النجوم» وغير ذلك.

الأعلام ٥/٢٥٧، ٢٥٨، والديباج المذهب ١٧ ـ ٣٠، والوفيات ١/٤٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥، وصفة الصفوة ٢/٩٩، وحلية الأولياء ٦/٣١٦.

والعلامة المُحدّث سيدي محمد بن خليفة المدني رحمه الله، والفقيه العلامة شيخ الجماعة بالشام سيدي بكري العطار الدمشقي رحمه الله، والفقيه العلامة المحقّق سيدي يوسف بن إسماعيل النبهاني، والعلامة الشهير سيدي عبد المجيد بن محمود الدرغوثي المغربي الطرابلسي الشامي، والعلامة الشيخ إبراهيم السندروسي حفظهم الله، إلى غير ذلك من الأئمة الأعلام، الأجلّة العظام، الذين أخذَ عنهم، وانتفع بهم رضي الله عنه، وإجازاتُهم مذكورة في «طبقاته»، وقد قال فيها حفظه الله ما نصه: من مِنَنِ الله عليَّ بفضله وكرمه أنّني ما علمتُ أبداً أن أحداً من الكبراء والأعيان ساداتنا المشايخ الآتين، وغيرهم بحول الملك الديَّان طلبتُ منه إجازةً بشيءٍ ما بإلهمام ربَّاني، ووارد نوراني، وامتنع؛ بل منهم من يُجيزني بفضل الله بدونِ طلبِ لساني، فأتلقّى ذلك بالقبول، مُتمثِّلاً بقول بعض الفحول:

مـا كـنـتُ أهـلاً فـهـم رأونـي ... لـذاكَ أَهـلاً فـصـرتُ أَهـلا

انتهى.

وأخذ عنه جماعةٌ من العلماء، كالفقيه العلامة سيدي أحمد بنَّاني حفظه الله قاضي رباط الفتح سابقاً، والفقيه العلامة الشريف سيدي الحاج المكّي البطاوري قاضي البلدة المذكورة حالاً حفظه الله والشريف العلامة سيدي أحمد بن محمد العلمي الفاسي.

وأخذ عنه أيضاً جمعٌ من تلامذته، وأهلِ زاويته منهم: أخوه وشقيقه العالم الفاضلُ سيدي الماحي حفظه الله، والشريفُ الأجلُّ العلامة الصوفي الأكمل مولاي المأمون العلوي، والفقيه الأجلُّ سيدي الغازي سباطة، والفقيه سيدي عمر ملين، وابن عمه العربي ابن أحمد النسب، والفقيه العالم سيدي الحاج محمد عاشور، والفقيه سيدي أحمد التادلي بن سيدنا إبراهيم المتقدّم، وولد أخته الفقيه النّبيه سيدي العباس دنية، والفقيه الخيّر سيدي محمد سباطة صاحب «الفتح الرباني» وغيرهم من الأكابر؛ أشراف، وعلماء، وصلحاء حفظهم الله تعالى جميعاً بمنه وكرمه.

وأخذ حفظَهُ اللّهُ طريقة والده العليَة التي هي الطريقة الشاذلية الدَّرقوية الدبَّاغية عن مشايخَ من أصحابه. أعني أصحاب والده القطب الربّاني الوليّ الصمداني سيدنا أبي بكر البَنَّاني رضي الله عنه، ونفعنا به.

وقد تركَ رضي الله عنه ورحمه بعد وفاته جماعةً وافرةً في الرباط، وغيرهم من المشايخ الواصلين إلى حضرة ربِّ العالمين.

وكان له قدمٌ كبير في معرفة الله تعالى، ومعرفة الطريق الموصلة إليه، وإن

أردتُ بسطَ ترجمته، وتراجم أصحابه؛ لتعرفَ ما كانوا عليه من الجدِّ والاجتهاد في طاعة الله عزَّ وجلَّ فعليك بـ«طبقات سيدنا الشيخ رضي الله عنه».

وقد كبرَ سيِّدنا حفظه الله في حِجرهم على حالةٍ مرضية من كمالِ الأدب معهم، والتوقيرِ لكبيرهم وصغيرهم، بحيثُ كان بين أيديهم تلميذاً خادماً، لا يُعرفُ من بين الفقراء إلا بعد التنبيه والتعريف بفضل الكريم اللطيف، ولا يَتظاهرُ عليهم بأُبَّهةٍ ولا أنانية، حسبما هو شأنُ غالب أولاد المشايخ مع مريدي والدهم، إلا من أخذَ الله بيدهم.

وكان يَرى أصغرَ تلاميذ والده بالعينِ التي يرى بها والدَه رضي الله عنه.

يُحكى أنَّ بعض المشايخ العارفين قال له بعضُ أصحابه: متى أُدركُ مقامك يا سيدي؟ فقال له: إذا نظرتَ أصغرَ أصحابي بالعين التي تراني بها. أي من كمالِ التَّعظيمِ والاحترام والتوقير، أكرمنا الله بالحظِّ الأوفر من هذا المشهد العزيز.

وأول من أخذ عنه منهم: صهرُه وتلميذُ والده العارفُ الرباني، الولي الصَّمداني، الصوفي الأمجد، الزَّاهد الأرشد، ذو الأحوال الربَّانية، والأخلاق المحمَّدية، أبو عبد الله سيدي الحاج **محمد الخلطي الرباطي** نفعنا الله به، كان إماماً جليلاً، ديناً فاضلاً، جامعاً بين علمي الظاهر والباطن، وله باعٌ طويل فيهما، أما علمُ الظاهر فكان مُتقناً للواجب عيناً منه، وأمَّا علمُ الباطن فكان فيه بحراً لا ساحل له، وكان يعجزُ الفحولَ عند المذاكرة، حتى كانوا يقولون له: يكفينا في مناقب شيخك سيدي أبي بكر البَنَّاني، كونك تلميذاً له.

وكان على قدمِ التجريد، ولبس المرقعةَ، حتى لقي الله تعالى زاهداً في الدنيا، قانعاً باليسير منها، حسنَ الأخلاق التي عليها مدار طريق الصوفية رضي الله عنهم، وجعلنا منهم، مُتواضعاً، لا يأنف من مجالسة الدراويش[1]، ويرضى بالدُّون من المجلس، ولا يتظاهرُ بأبَّهةٍ ولا أنانية.

وهو أول مُجيزٍ لسيدنا الشيخ رضي الله عنه بلبس الخرقة، وغيرها من وظائف الطريق.

وكان إذا أجازه بشيءٍ من ذلك يقول له: إنَّما كان عندنا من سيِّدنا والدِكَ على سبيل الأمانة لك، رضي الله عنه.

وكان يلازم سيدنا جداً خلوةً وجلوة، ليلاً ونهاراً، إبّان تربيته، ويُسيِّرُهُ تسييراً

---

(١) الدراويش: (ج) الدَّرْويش في نظام الصوفية: الزاهد الجوّال. (فارسي).

عجيباً، بلطافةٍ وسياسة عجيبة، وبسببه فُتحَ على سيِّدنا في طريق أهل الله، رضي الله عنهم، وجعلنا منهم في الدنيا والآخرة، بمنّه وكرمه؛ إنّه جوادٌ كريم، وإليه ينتسبُ إذا سُئل عن شيخه.

ولهذا الشيخِ رسائلُ عجيبة، مذكورٌ بعضها في «طبقات سيدنا الشيخ» رضي الله عنه.

توفي في صفر الخير عام اثنين وثلاث مئة وألف، رحمه الله رحمةً واسعة.

ومنهم: تلميذُ والدِه أيضاً الشيخُ الإمام، القدوةُ الهمام، الصوفيُّ الأرشد، صاحبُ الأحوال الربانية، سيدي **عبد السلام بن محمد فتحا بناني** رضي الله عنه، كان إماماً جليلاً، دائمَ الذِّكر والفكر، كاملَ الاستغراق في شهود عظمة الله تعالى، ناصحاً لعباد الله، مُحرِّضاً كلَّ من اجتمع به على الانتساب إلى جانب الله، غائباً عن شهود المزيَّة لنفسه، فارًّا من الدعوى، مقتصراً من الدنيا على ما تدعو إليه الضرورة، مُعتزلاً عن الخلق، لا يُخالطُ أحداً إلا لضرورةٍ فبقدرها.

وقد أجاز سيدنا رضي الله عنه بإعطاء الطَّريق الشاذلية الدَّرقوية قديماً بلفظه.

وعند إرادته القدومَ إلى حجِّ بيت الله الحرام، وزيارة حضرة نبيّنا عليه الصلاة والسلام، وذلك سنة تسع، أمرَ رحمه الله ولدَه بكتابة ذلك خطًّا لذهاب بصره إذ ذاك، وإجازتُه مثبتة في «طَبقات سيدنا» حفظه الله.

توفّي رحمه الله بعد ظهر يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة الحرام عام سبعة عشر وثلاث مئة وألف، ودُفن بزاوية شيخه سيدي أبي بكر بَنَّاني رضي الله عنه، كالشيخ قبله.

ومنهم: تلميذُ والده أيضاً الشيخُ الإمام، الصوفيُّ الهمام، سيد الحاج **عليُّ الدُّكالي** رحمه الله ونفعنا به. آمين، أصلُه من دكالة[1]، وكان إماماً جليلاً، مُشتغلاً بما يعنيه، تاركاً لما لا يعنيه، صحيحَ القصدِ في حركاته وسكناته، كاملَ الاستغراق في محبَّة شيخه، مُتخلّياً عن الدنيا على بساط التجريد منها.

ولما حانتْ وفاتُه رضي الله عنه صار يؤكِّدُ على ساداتنا الفقراء بشدِّ اليد على طاعة الله، واعتقادِ سيدنا الشيخ، ومحبّته وتعظيمه وتوقيره لله في الله.

وتوفي بسلا عام ثمانية عشر وثلاث مئة وألف، جدد الله عليه سحائبَ الرَّحمات، وأسكنه بمنّه فسيحَ الجنَّات. آمين.

(١) دكالة: بلد بالمغرب يسكنه البربر. (معجم البلدان ٢/ ٤٥٩).

وهؤلاء المشايخ الثلاثة، أخذوا الطريقة عن شيخهم العارف الكبير، القطب الشهير، سيدنا ومولانا أبي بكر البَنَّاني المُتقدّم الذكر، وهو عن شيخه الشريف الحسني مولانا عبد الواحد الدبَّاغ الفاسي، وهو عن سيدنا ومولانا العربي الدرقوي، إلى آخر السلسلة المنظومة في «التوسلات العلية برجال الطائفة الشاذلية الدرقوية» إلى غير ذلك من المشايخ الذين أَخذَ عنهم، وأجازوه، وانتفعَ بصحبتهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

واجتمع أيضاً بعددٍ كثيرٍ منهم على سبيلِ التَّرقية والتبرك.

وله رضي الله عنه إجازاتٌ بطُرقٍ عديدة؛ كالناصرية، والقادرية، والتجانية، والأحمدية الإدريسية، والرفاعية، والباعلوية اليمنية، والعيسوية، وغيرها بفضل الله، وعطفة مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله

وصفته رضي الله عنه مربوعُ القامة، مُعتدلُ الجسم، أبيض اللون بياضاً مُشرباً بحمرة، أسودُ الشعر، كثُّ[١] اللحية، أقنى الأنف، أسيلُ الخدّين، أَدعجُ[٢] العينين، يمشي الهوينا[٣].

وأما **سيرتُه وأحواله وأقواله وأفعاله** رضي الله عنه فقد حازَ ـ نفعنا الله به ـ من جميلِ الأخلاق، وجليل الأذواق، ودقائق المعارف، ورقائق العوارف ما عزَّ نظيرُه في غيره، وقلَّ مثيلُه في أبناء عصره، مُتحَقّقاً بالحقيقة في جميع الأحوال، مُتوسّماً بالشريعة في الأقوال والأفعال، بحيث لو عُرضت جميعُ أقواله وأفعاله على الكتاب والسُّنة المحمدية، لوجدتَ لكلِّ جليلةٍ ودقيقة من شمائله شواهدَ مرضية.

قد علاه نورُ الجمال، وهيبةُ الجلال، تلحظُه الأعينُ بالتعظيم والإجلال، من رآه بديهةً هابه، إرثاً محمدياً رضي الله عنه، دائمَ العكوفِ على حضرة الحقّ، لا معوّلَ له إلا عليه، ولا استنادَ منه إلا إليه، لا يزيدُ فيه إقبالُ الخلق وتعظيمهم، ولا ينقصُ منه إدبارُهم وتقصيرهم؛ لشدّة فنائه في حضرة الله، لا يتكلَّمُ في غيرِ حاجةٍ، وإذا تكلَّمَ تكلّمَ بكلام بيِّنٍ فصلٍ يَفهمُه كلُّ من سمعه، يأخذُ بمجامع قلوبِ الأحباب، وتنقادُ له الألباب، ويتكلَّمُ مع الفقراء على قدرِ أحوالهم ومقاماتهم، ولا يحبُّ التَّخليطَ في المقام المؤدي إلى المراء والجدال في الكلام، ويكرِّرُ قولَ الشيخ مولاي العربي الدَّرقوي قُدِّس سِرُّه: من التَّقوى مُناسبةُ الكلام للكلام.

---

(١) الكَثُّ: الكثيف. يقال: هو كث اللحية؛ أي: كثيفها.

(٢) دَعِجَتِ العينُ دَعَجاً ودُعْجَةً: اتسعت واشتد سوادها وبياضها. فهي دعجاء. والمرأة دعجاء والرجل أدعج (ج) دُعْجٌ.

(٣) الهُوَيْنَى: الاتِّئادُ في المشي. يقال: مشى الهوينى؛ أي: مُتَّئداً مُترفّقاً.

ولا يتكلَّفُ قُدِّس سرُّه في كلامه تحسينَ عبارةٍ، ولا تَنميق مُذاكرةٍ، بل يتكلَّمُ بحسب ما سمح له الوقت والزمان، وكذا إذا كان يؤلِّفُ كتاباً أو غيره، إنَّما يَصيرُ كأنَّ ذلك محفوظٌ عنده، ويَنهى عن التَّكلُّفِ في جميع الأشياء، كالتكلُّفِ في الملبوس والطعام، وغير ذلك، ويقول: قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا وأتقياءُ أُمتَّي بُرآءُ من التكلّف**»[1]. والتصوف ترك التكلف.

ولا يتقيَّدُ بزيٍّ مخصوص، ولا بهيئةٍ مخصوصة، يأكلُ ما وجدَ، ويلبسُ ما وجدَ، ويقول: الفقيرُ قوتُه ما حضر، ولباسه ما ستر. ولا يتكلَّفُ في الملبوس إلا بقدر ما يحفظُ به بشريّته بحسب التيسير، وربَّما يُؤثر الثيابَ الرفيعة في بعض الأحيان، وغيرُ خفيٍّ أنَّ حالَ المعرفة ليسَ كحال الورع، ولكلٍّ في لبسه وهيئته نيَّةٌ صالحة، وقصد صحيح.

كثيرَ الصمت، دائمَ الفكر، كثيرَ الجولان والاعتبار، طليقَ الوجه، دائمَ البشر، حسن الخلق مع عباد الله، حسنَ المداراة، سهلَ الملاقاة، ليِّنَ الجانب، ذا سكينةٍ ووقار، ومهابةٍ وفخار، حسنَ السياسة، رفيقاً بالضعيف، معظِّماً للشريف، رحيماً بالمبتدئ، حليماً عفيفاً، صبوراً رؤوفاً. وغيرُ خفيّ أنَّ هذه الأخلاق الكريمة ناشئةٌ عن سعةِ علمِ صاحبها، وبسطِ معرفته، وكمال ولايته.

كثيرَ المواساة والإنفاق في سبيل الله، لا يدَّخرُ شيئاً، بحراً واسعاً في السخاء والجود، يسمحُ في حقِّه ويُعطيه لغيره، كثيرَ الصدقة، لا يردُّ سائلاً وقاصداً بفضل الله. سريعَ الرضا لا يغضبُ لنفسه ولا ينتصرُ لها.

ويكفي في مناقبه رضي الله عنه ذكره حساده وأعداءه الذين يكرهونه ويؤذونَه في جملة المشايخ الذين اجتمعَ بهم وتبرَّكَ، وتعظيمُهم وتوقيرهم، وغيبتُه عمَّا يصدرُ منهم، وعدمُ التفاته إلى ذلك.

كثيرَ الصبر على النوائب الوقتية، والنوازل القهرية، مع كمال الرضا، يحذر من الطمع كثيراً، ومن تأميل غير الله آخذاً بالحظ الأوفر من الفهم عن الله في جميع التجلّيات جلالاً وجمالاً، بسطاً وقبضاً، شدَّةً ورخاءً.

ويحضُّ رضي الله عنه على القناعة بما يسَّر الله، والشكرِ على ذلك، وعلى تركِ التَّدبير والاختيار، وسلب الإرادة للفاعل المختار، والاكتفاء بالله.

ومن عظيم أخلاقه ـ نفعنا الله به ـ تواضعُه للكبير والصغير، للجليل والحقير، يبدأُ من لقيه بالسلام بطلاقةِ وجهٍ، وبشرٍ، وابتسام، ويختارُ مجالسةَ الفقراء، ومرافقة

(١) أخرجه الفتني في (تذكرة الموضوعات ٦٧)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٨٦).

الضعفاء، ويحبُّ المساكين، ويكره صحبةَ الأغنياء، ومُخالطةَ الفراعنة.

وكان في بدايته على قدم كبير من الزهد والتخلّي، مُكتفياً باليسير من الدنيا الدنية، مُعرضاً عمَّا يتشوَّفُ إليه أقرانُه وأبناء وقته من نيلِ المراتب الحسّية، كثيرَ المجاهدة في سائر القربات، تاركاً للوقوف مع العوائد والشهوات.

وكان يجلسُ على الحصير، وينامُ بظهر الإهاب(١)، زاهداً في حلاوة رطوبته، وتقوّياً على طاعة الله وعبادته، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، ولا يُبالي بمن مدحه، ولا بمن ذمَّه، مُتجلبباً جلباب الفاقة والافتقار، مؤثراً في جميع أحواله الذّلةَ والاحتقار، مُعتكفاً في الزاوية، ملازماً لها آناء(٢) الليل وأطراف النهار، بتوفيق الكريم الغفَّار، كاملَ الاحتياط في تنظيم شعائرها وأمورها من تشطيبٍ وتنظيفٍ وغير ذلكَ، حسبما هو مشهور، مَنْ لطريق الجدِّ سالك، حتى ربح بذلك الربح الخاص، ونال ما ناله أهلُ الخصوصية والاختصاص، متعرضاً لما ورد في ذلك من الفضل العظيم، والثواب الجسيم، مبالغاً جهده في التحافظ والاعتناء بنفائس الأوقات، ولا يرضى بها أن تمرَّ فارغةً مشوبةً بالغفلات، وإذا رأى فقيراً مُتسامحاً في ذلك يزجرُه ويقويه، ويقول: إن ذلك من علامات الشتات، وعدمِ الذوق في جميع الحالات.

ويحضُّ رضي الله عنه إخوانَه وتلاميذه على الصدقِ والإخلاص في سائر الأعمال، ويقول: قليلُ الأعمال يكفي مع الصدق مع الله تعالى، وصفاء الباطن.

ويحضُّ على المحافظة على الطهارة والمواظبة عليها، ويقول: الوضوءُ سلاح المؤمن.

ويحضُّ على مراعاة الآداب في ذلك، وخصوصاً آداب دخول الخلاء.

ويحضُّ على التحافظ على ركعتي الوضوء، والاستعداد للصلاة، وإيقاعها في وقتها، ويَنهى عن إخراجها عن وقتها، ويدلُّ على الحضور والخشوع فيها، والمحافظة على آدابها الظاهرة والباطنة. شديدَ الاعتناء بالقيام بورد الليل الذي هو أعظمُ مطالب الأخيار المقرّبين الأحرار. دائمَ الرَّغبة في التلاوة والاستغفار، وذكرِ الله تعالى في السر والجهار، مواظباً على ذلك.

ويحضُّ الفقراءَ على الاعتناء بإحياء ما تيسَّرَ من الليل؛ ابتغاء رضا الكريم

---

(١) الإهابُ: الجلد المغلّف لجسم الحيوان، أو ما لم يُدبغ منه (ج) أُهُبٌ.

(٢) الآناء: (ج) الأنى والإنى والأَنْيُ والإِنْيُ: الساعة من الليل. يقال: هو يقوم آناء الليل.

الغفّار، ويحرّضهم على إيقاع صلاة الصبح في وقتها، موزّعاً نهاره على أنواع الطاعات، معمّراً أوقاته بما شرعه الله ورسوله في الآيات البينات.

وله أحسن الله إليه تآليفُ جيدةٌ مفيدة نافعة، منها: «تحفته السنية». ومنها: مولده العجيب المسمى باسمه «فتح الله في مولد خير خلق الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما دام ملك الله». ومنها: طبقاته الجامعة المشتمل عليها الفتح الرباني المسماة بـ«المجد الشامخ فيمن اجتمع بهم من أعيان المشايخ». ومنها: «تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء». ومنها: «إتحاف أهل العناية الربّانية في إتّحاد طرق أهل الله وإن تعددت مظاهرها الحقّانية». و«بعض فضائل الشاذلية الدباغية البَنَّانية، ذوي الهمم العالية والأحوال النورانية». ومنها: «خلاصة الوفا في مقدمة فتح الشفا» و«تحفة الأحباب فيمن تكلّم في المهد بالأمر العجاب» ويُسمّى أيضاً «طالع السعد فيمن تكلم في المهد». و«فتح الله في بعض ما يتعلّق بأسماء الله» و«النصيحة الوافية الكافية لأهل الطريقة الشاذلية الدرقوية الدباغية البَنَّانية وسائر طوائف أهل الله في الملة الإسلامية». ومنها: تعليق على «جامع الشيخ خليل»، وشرحه للشيخ التاودي رضي الله عنهما، وتعليقٌ آخر على اختصار «المواهب». ومنها: رسائله العظيمة الشأن، التي يكتُبها لحضرات الإخوان بحسب وقائع الأزمان إلى غير ذلك من التقاييد والتصانيف، نفعنا الله وإيّاه بها، وجزاه عنّا أفضلَ الجزاء وأكمل مرادنا ومراده؛ إنه كريم منّان.

ويكفينا في فضيلته رضي الله عنه انتفاعُ الوجودِ به، وبأسراره، ومعارفه، ومجالسه العلمية، وفتوحاته الربانية، وإملاءاته الحديثية، فتجد مجالسه رضي الله عنه مشحونةً بالمعارف والفوائد والإشارات، والغوصِ في بحور المعاني مع الإتيان بواضح العبارات.

ذكرَ مشايخَه، وحكمهم، ومعارفهم، وأسرارهم، رضي الله عنهم بدون كلفةٍ، ولا معاناة مشقّةٍ، وكثرةِ مطالعة، بل كثيراً ما يستغرقُ الوقت في مقابلة الإخوان ومجالستهم، وإعطائهم ما يليق بذلك من آداب الوقت، وغير ذلك فإذا وصل وقتُ الدرس خرجَ إليه بدون مُطالعةٍ أصلاً، ويظهر منه حينئذٍ في مجلسه ما يَبهرُ العقولَ بفضل الله، وعطفة النبيِّ الرسول ﷺ، وبركة مشايخه الفحول، وقد حضر درسَه أناسٌ من أكابر ساداتنا أهلِ فاس وغيرهم، وحكموا وشهدوا بأنَّ هذا شيءٌ عزيز في الوقت جداً، والمنة لله ولرسوله ﷺ.

ومدحَه أكابرُ وعلماء بقصائد وأشعار تنبىءُ بسرٍّ ما ذكرناه بفضل الله، ومدحِ النبيِّ المختار. وإن أردتَ الوقوف على شيءٍ من ذلك مع زيادةِ البيان فعليك

بـ«الفتح الرباني»، فقد أتى فيه بنبذةٍ شافية من أحواله، وأقواله، وأفعاله المرضية، وأخلاقه، ومناقبه، ومآثره السنية، ممزوجةٍ بما يُناسبها من المذاكرات، ويعضدُها من الاستشهادات الواضحات، فراجعه تنلْ ما يقرِّبُك إلى الله في جميع الحالات، ببركة سيد السادات صلّى الله عليه وآله وسلّم في الماضي والآت، جزى الله مؤلِّفه خيراً، وجعله من الآمنين دنيا وأخرى، وأيضاً كتاب «معارج المُنى والأماني» لسيدي محمد بن الموقِت المراكشي رضي الله عنه وأرضاه. وسيجري طبعه قريباً بحول الله، وعطف مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله.

وقد تحركتِ القريحة[1] لإنشاءِ هذه الأبيات، تقرُّباً إلى جانبه رضي الله عنه، وتعرّضاً لنفحاته الأقدسية، وفيوضاته الربانية:

خذِ الكاساتِ يا ظمآن واشربْ ففي الكاساتِ خمرٌ ذو معاني
وحدّث لا تُبالي إن شيخي إمامُ العصر بل قطبُ الزَّمانِ
كثيرُ الفيض برَّاقُ الثنايا كريمُ الأصل للضعفاءِ حانِ
هو الشيخُ الهُمامُ كما أبوه هو المُروي القلوبَ من المعاني
أفتحَ الله أوصلني فإنّي على الأعتابِ مُنطرحٌ أُعاني
واجذبني إليك لعلّي أَحظى فقد طالَ اشتياقُ المقلتينِ
على أنَّ الإله حباني سرًّا وأَشهدني أموراً عن عيانِ
ولكن ما سقاني منه شيخي كفاني إذْ سقاني ما كفاني
فانزعْ من حضيضِ الطبع روحي وخذْ وصفي لأنَّك ذو ائتمانِ
فأنتَ وسيلتي ولأنتَ ذُخري فأيِّدني بتأييدٍ يمَاني

وقلت هذا التوشيح متوسلاً بأسيادي أنجالِ شيخنا رضي الله عنهم وأرضاهم، وهم: مولاي سيدي محمد العربي، ومولاي سيدي محمد عبد الرحمن، ومولاي سيدي لطف الله، ومولاي سيدي محمد الحبيب أمدَّنا الله بمدَدِهم، ومتّعنا بمشاهدة أنوارهم، وجعلهم أقماراً يُستضاءَ بهم، ونفعنا وبأسرارهم. آمين:

دهشتُ من ذاتي لذاتي شيء عجيب
حباني بأنوارٍ علية شيخي (**العقاد**)
وضمَّ ذاتي لذاته غاب الفؤاد
شهدتُ سرًّا عجيباً منه نشوان
حبيبي شيخي وذخري سي (**فتح الله**)

(١) القريحةُ: مَلَكَةٌ يستطيع بها الإنسان ابتداع الكلام وإبداء الرأي (ج) قرائح.

أفـدي حـيـاتـو بـروحـي أيـم والله[١]
إمـامُ وقـت وقـطـب لأهـل الـحـضـرة
وشـيـخ أهـل الـتـصـريـف سـرُّه عـظـيـم
يـا سـادتـي يـا أهـل الـتـصـريـف أرجـو والله
تـمـدُّوا هـذا الـمـتـيـم شـيء لله
أنـتـم رجـال الآخـرة وأنـا مـحـجـوب
وسـرُّكـم يـعـلـو دومـاً فـاقـبـلـونـي
يـا سـي (محـمـد) يـالـحـبـيـب يـا ابـن الأسـتـاذ
مـحـبـكـم واسـمـه (الـحـسـن) يـا بـاب الله
لـه نـصـيـب فـي حـبّـكـم عـطـفـاً لله
يـا سـي (محـمـد) يـالـمـشـهـور بـسـي (لـطـف الله)
ها (الحسن) صار في حكم حماكم يـا رجـال الله
يـا عـابـد الـرحـمـن هـيـا نـظـرة لله
تـرانـي صـرت خـادمـكـم يـا أهـل الله
يـسـي (الـعـربـي) داويـنـي بـمـتـاع الله
يـا أسـيـادي نـظـرة إلـيـنـا نـظـرة لله
الله أعـلا شـأنـكـم بـرسـول الله
وبـيـتـكـم ديـمـاً مـعـمـور ذا فـضـل الله

٦٢

السيد محمد العقاد[٢]

(١٢٦٩ ـ . . .)

أستاذُ مشايخ الطريقة الشاذلية الوفائية، أيَّدَ الله دولتها العلية، وسلّم الحضرة النبوية، وسلالة العصابة الهاشمية، الملحوظُ بعناية ربِّ البرية، حجَّةُ الإسلام، وكهفُ الأنام، حاملُ لواء العارفين، وأستاذُ المشايخ الراسخين، كوكبُ العناية، وقطب دائرة الهداية، أستاذُ التصوف والإرشاد، ملاذُ أهل التمكين، ذو الإمداد الشريف، الحسيب ذو النسبتين العلويتين، والسلالتين الطاهرتين، أبو المواهب

(١) ايمُ اللَّهِ: قَسَمٌ همزته همزة وصل.
(٢) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢١٠.

شيخي وملاذي، سيدنا ومولانا الأستاذ تاج الدين السيد محمد بن أحمد العقاد الحسني الإدريسي الشاذلي الوفائي رضي الله عنه وأرضاه. أَخذتُ الطريقةَ، وتلقَّيت أنوارَ الحقيقة على يديه بواسطة صفوة خواصّه المقرّبين المتحقّقين بحقائق التمكين، أهلِ الشهود المتمتّعين بجمال الحضرتين، وارث السرَّين، سيدي العارف بالله مولانا نسيم حلمي الدرمللي الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه، وطيَّب مضجَعه وثراه، ومنذ أخذتُها تعلّق قلبي بمحبَّته رضي الله عنه، وكنت إذ ذاك لم أجتمع به، وبقيتُ هكذا مدَّة ستَّة أعوام، فلمَّا اجتمعتُ به بعد هذه المدة، وعاينت ما علا جبينه من الأنوار بعطفةِ النبيِّ المُختار، وشاهدتُ من معارفه ولطائفه ما بهرَ عقلي، وقادني إليه، فسمعتُ منه ما لم أسمعْه قطُّ من إنسان، ولا طرقَ أُذني في أيِّ زمنٍ من الأزمان، فأيقنتُ بأنّه وليٌّ من أولياء الله تعالى، ومن أهلِ الشهود والعيان، المستمدّين من بحر سيد الأكوان، وكذا ما سمعته من أصحابه، فحولِ الرجال، فأحببتُ أن أُقيِّدَ جميعَ ما سمعته بأذني، ورأيته بعيني، وشاهدتُه بروحي، والمقصودُ هو الانتفاعُ لأهل المحبَّة والاتّباع، لا لحصر مناقبه وفضائله، فإنَّا لو تتبعناها فلا نقفُ لها عند حدٍّ محدود، فإنَّه رضي الله عنه مغترف من بحر سيد الوجود بنعتِ أهل الشهود. واعلمْ وفَّقك الله أنّي ما قيَّدتُ إلا نقطةً من بحرٍ زاخر، تلاطمتْ أمواجُه، فتطايرَ منها قطراتٌ على أهل المحبَّة، نفعنا الله بهذه القطَرات، بحقِّ عَالِم الخفيّات، وكيف أُحصي مناقب من شهدِ بفضله الخاصُّ والعام؟! أم كيفَ أُحصيَ من اتَّفقَ على جلالة قدره وولايته المشرقان والمغربان بل وعموم الإسلام؟!

ومَنْ لي بحصرِ البحرِ والبحرُ زَاخرٌ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكبِ

فأقولُ، وفي بحر مدده أَجول:

نسبه الشريف: اعلم أيها المشغوف بذكر أهل الله أنَّ شيخنا رضي الله عنه هو الأُستاذ السيد محمد العقاد بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا أحمد العقاد الكبير بن سيدنا ومولانا مصطفى العقاد دَفين المحلّة بن سيدنا ومولانا محمد العقاد بن سيدنا ومولانا مصطفى بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا يوسف العقاد بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن سيدنا ومولانا مُحسن العقاد بن سيدنا ومولانا حُسين بن سيدنا ومولانا خليل بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا عبد الواحد العقاد الكبير بن سيدنا ومولانا عبد السلام بن سيدنا ومولانا محيي الدين بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا عيسى بن سيدنا ومولانا محمد أبي البركات بن سيدنا ومولانا تاج الدين بن سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا محيي الدين بن سيدنا ومولانا محمد شمس الدين بن سيدنا ومولانا عبد السلام بن مولانا مَشيش

شيخ سيدنا أبي الحسن الشاذلي قُدّسَ سرُّه بن سيدنا ومولانا أبي بكر بن سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا مرمه بن سيدنا ومولانا عيسى بن سيدنا ومولانا سلام بن سيدنا ومولانا مزوار بن سيدنا ومولانا علي جد السادات الوفائية بن سيدنا ومولانا محمد بن مولاي إدريس الأزهر بن مولاي إدريس الأكبر بن مولانا عبد الله المحض بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين.

مولده رضي الله عنه ومنشؤه وصفته: اعلم أيها الأخ في الله السالك طريق أهل الله، أنَّ شيخنا الإمامَ العلامة الهمام، ذا النِّسبتين الطاهرتين المعنوية والحسّية، سراجَ الأولياء، وتاجَ الأصفياء، القطبَ الغوث، والفردَ الليث، الولي الصالح، والكوكبَ الواضح، شيخَ الطريقة، وإمام الطالبين للحقيقة، مربّي المُريدين، ومرشدَ السالكين، وزمزمَ أسرار الواصلين، مَنْ سَلَكَ مسالك الأبرار، فشملته عواطفُ النبيِّ المختار، الساري سرُّه في الوجود، المقتبس مِنْ نُوره كلُّ موجود. ولد حفظه الله ومتَّعنا ببقائه ورضاه بالمحلَّة الكُبرى سنة تسعة وستين ومئتين وألف، ونشأ بها في حِجر والده المرحوم بكرم الله، فحفظَ القرآن، وأتمَّ العلومَ الظاهرة، ومالَ إلى العلوم الآخرة، فسلَكَ على يد أُستاذِهِ ومربيه، وهو الذي ربَّاه، وفي حِجره أنشاه، فكاَن رضي الله عنه مثالَ الكرم والاستقامة، والورع والزهد، تبدو على وجهه دلائلُ الأنوار، وتشرقُ من جبينه لوامعُ الأذكار.

نشأ رضي الله عنه عفيفاً، طاهرَ النفس، ورعاً زاهداً، مُتحقِّقاً بمقامات الإحسان، وارثاً لمكارم جده ﷺ، متمسّكاً بآداب مشايخه، رضوان الله عليهم أجمعين، ولما كملتْ معانيه، وتحقَّقتْ لدى الطالبين جواهرُ مبانيه، أَجلسه الحقُّ على بساط النور، وكرَّمَه وشرَّفَهُ على ممرِّ الدهور، ولمَّا حانت وفاةُ أستاذه أَمَرَه بالإرشاد، وخلعَ عليه خلعَ القبول والإمداد، فورثَ السرَّيْن، سرَّ أُستاذه، وسرَّ ذاته الشريفة، وقد بشَّره أستاذُهُ بحضرة فحول الرجال، بانتشار الطريقِ على ممرِّ الأيام والليال، فكانَ بحمد الله ما أَخبَرَ به، وكثرتْ على يديه الطلابُ، وسعتْ إلى داره الأقطاب، مُقتبسين من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، ومواهبه اللدنية، ولسانُ حالهم يُنشدُ يقول:

يا سادتي إنّي أَتيتُ بذلَّتي ... والدَّمعُ من عيني بَدا فوقَ الخُدود

واشتغل رضي الله عنه بالتجارة في أيام بدايته، كما هو شأن الكرام، اقتداءً بجدِّه عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانَ نِعْمَ التاجر الصدوق.

أحواله رضي الله عنه: أحوالُ خاصَّة الخاصَّة من الأولياء، كثيرَ الصمت، دائمَ الفكر والذِّكر، مستغرقاً في شهودِ عظم المالك.

صفته رضي الله عنه: مربوعَ القامة، أبيضَ اللون، أقنى الأنف، أَدعجَ العينين، يشرقُ من جمال وجهه أنوار، يَهتدي السائرُ بها في الظلام، بشوشَ الوجه، طلقَ المحيَّا، جميلَ الطلعة، دائم الابتسام، يمشي هوناً، تنزل بساحته الأكابرُ والأصاغر، متواضعاً يتواضعُ للكبير والصغير، والرفيع والوضيع، يُجالس الفقراء، ويَنتصر للضعفاء، كريماً للغرباء، مُواسياً للفقراء، مُحسناً للمساكين والبؤساء، باذلاً قُصارى جهده في قضاءِ مصالح المسلمين، سالباً إرادته لربِّ العالمين، قد علاه نورُ الجمال، تلحظه الأَعينُ بالإجلال، إشاراتُه خفيّة، وأقوالُه مَرضيّة، ومذاكراته نورانية، ورثَ المقامات المُحمّدية، أجمعتِ الناس على ولايته، وأُشير إليه بين الأخيار، واشتهرَ أمرُه في البلاد والأمصار، وقصدته أهلُ الفضل والإحسان من أقصى البلاد والأقطار، مُستمطرين من فيض إمداده المِدْرار، فمنهم النجباءُ الأخيار، ومنهم السادة الأَطهار، اللَّهُمَّ حقّق نسبتنا إليه، وأَقمنا لخدمته، والوقوفَ بين يديه، رضي الله عنه وأرضاه، ونفعنا به وبأسراره. آمين.

ذكر شيوخه وموصليه بسلسلة الأنوار: اعلم أيُّها المحبُّ الواصل، أن شيخنا حجَّةَ العارفين، وقدوةَ الواصلين، ومعدنَ أنوار السالكين، مصباحَ الطّريقة، وشمسَ الحقيقة، وارث العلوم الدقيقة، بحرَ العرفان، ومجمعُ البحرين فيه يلتقيان، متَّعنا الله بحياته، وأفاضَ علينا من بوارق نظراته، أخذَ الطريقة، وتلقّى أنوار الحقيقة، عن البحر الزاخر، والكوكب الزاهر، قطبِ الأقطاب، ومربّي الأحباب، ومرشدِ الطلاب، كعبةِ القاصدين، وملجأ الطالبين، ومرشدِ الفُقراء والسالكين، إلى مقام التمكين، الدَّالِ على الله بالله، المقتبسِ من أنوار مولانا رسول الله عترتي ورجائي، مولاي أبي الهدى السيد **محمود الوفائي الحسيني الشاذلي**[١]، من ذرّية سيدنا تاج العارفين بن الوفا المُتوفّى ببغداد في أوائل القرن الخامس، وضريحُهُ بها يُزار، قدَّس الله سرَّه، كان سيدي محمود الوفائي قدَّس الله سرَّه، عالماً عاملاً، ومربِّياً كاملاً، زاهداً عارفاً، جمعَ بين الهمَّة والمقال، فاقتدتْ به الرجال، وورثَ القطبانية الكُبرى.

وتلمذَ له جماعةٌ كثيرون جلُّهم أولياءُ واصلون، كانت أخلاقُه محمَّديةً، وأحوالُه مرضية، وأقواله صوفية، ومعارفه غيبية، وله كلامٌ عالٍ في طريق القوم، ونَفَسٌ عالٍ في علم الحقائق.

ولد قدَّس الله سرَّه بفيشا سليم، ونشأَ بها حتى بلغ مبالغ الرجال، وحازَ درجات الكمال.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢١٨.

وله تآليف نفيسة، منها: كتابه «الروضة الشاذلية»، وكتاب «معاهد التحقيق»، وله أحزاب وتوجهات وكرامات وبشارات.

توفي قدَّس الله سرَّه بطندتا يوم الاثنين اثنين وعشرين شهر محرم سنة ثمان عشرة وثلاث مئة ألف، بعد قدومه من الحجِّ، ودُفن بطندتا بالقرافة، وله ضريحٌ يُزار، ومقامٌ تلوح عليه الأنوار.

وهو تلقّى الطريقةَ العلية عن الأستاذ المربّي الكامل، والشيخ الهمام الواصل، مولانا شمس الدين **محمد المكي الفاسي** قدِّس الله سره، كان من المشايخ المربّين، ومن أهل الحقائق والتمكين، كانت أيامُه زاهيةً زاهرة، ولياليه بذكر الله عامرةً، وعيناه لإرشاد المريدين ياقظةً ساهرة، وكان قدَّس الله سرَّه عالماً عاملاً، زاهداً عارفاً، جامعاً بين الحقيقة والشريعة، انتشرت الطريقةُ في الأقطار الحجازية، والديار الشامية، والمصرية على يديه اشتهارَ الشمس المضيئة، وأخذ عنه جمٌّ غفير. تُوفّي قدَّس الله سرَّه بمكّة شرفها الله تعالى، ودُفن مع والده بالمعلى[١]. اللَّهُمَّ أمِدّنا وأحيّنا وانفعنا بسرِّه آمين.

وهو قدَّس الله سرَّه أخذ الطريقة والحقيقة من أستاذه ووالده شمسِ الطريقة، ومعدنِ الحقيقة، وارثِ العلوم والأسرار، المحمدي الخلق، حجةِ الواصلين، وإمامِ المحقّقين الكاملين، مُزيلِ القناع، من عمَّتْ أنوارُه جميع البقاع، سيدنا وأستاذنا سيدي **محمد بن مسعود الفاسي** قدِّس سره، وقد ترجمه سيدي محمود الوفائي قدَّس الله سرَّه في كتابه «معاهد التحقيق» فقال رضي الله عنه في السؤال التاسع والأربعين ما نصُّه: وأما السؤال التاسع والأربعون عن أحوالِ أستاذنا الشيخ العارف بالله سيدي محمد الفاسي، وسلسلته من طريق الإمام الشاذلي رضي الله عنه، ونسبنا إليه. فالجواب عنه واللَّهُ أعلم: أنَّه لما لمعت على قلبي بوارقُ الرشد والهداية، وارتحلتُ إلى نورِ اليقين من ظلمة الشكِّ والغواية، جمعني الله على الأنوار الفاسية المدنية الشاذلية، بمسجد السُّلطان الحنفي بالمحروسة أيامَ دخولِ الشيخ في سنة ألف ومئتين وتسع وثمانين إلى الديار المصرية الذي تعطَّرت بطيب شذاه جميعُ المحافل والزوايات، وقد أقلقني رعدُ محبّته، فأمطر قلبي سحائبَ الفضل، فأنبتت أرضُه كلَّ البركات، ولما شاهدتُ من صور تجلّي الجمال في نعوت الكمال ما به طاشَ عقلي، واندهشَ من ذلك لُبّي، هجرتُ الأهلَ والأوطان، ولزمتُ الأعتاب بطنطا بين يدي أبي الفتيان، وبإذن الأستاذ جاءني

---

(١) المعلى: موضع بين مكة وبدر بينه وبين بدر الأُثيل. (معجم البلدان ٥/ ١٥٨).

خليفتُه ببندرِ السويس العارفُ بالله سيدي ومولانا أحمد عثمان في عشر ذي الحجة سنة ألف ومئتين وتسعين، وهو من أهل التحقيق، وزال عنّي ما أجده من التَّعويق، وصارَ يتردَّدُ إليَّ، وأنا إذ ذاك قائمٌ بالحضرتين مع الإخوان، وكلَّما ازددتُ سكراً ازددتُ صحواً، حتى أدركتني العناية الربانية، وجذبتني يدُ القدرة الإلهية، فردَّتني إلى عالم حسِّي، ورجوعي إلى ربِّي بربي، واجتمعتُ بابن المشار إليه حسًّا ومعنًى أستاذي سيدي محمد شمس الدين المكي رضي الله عنه، حين شرفَ السويس في سنة ألف ومئتين وثلاث وتسعين، بعد وفاة والده رضي الله عنه، فأغرقني لذيذُ خطابه في بحار التوحيد، وسقاني شرابَ الصفا، فتضلَّعتُ من البقاء والتفريد، وأَمرني بالتوجُّه إلى مكّة المشرفة، وكنت وقتها خالياً من الدراهم، فما مضى عليَّ سنةٌ إلا وقد مَنَّ الله عليَّ ببركته بما ينوفُ عن المئة وعشرين جنيهاً، فأخذتها ميراثاً عن والدي، وتوجَّهتُ إلى مكّة حسبما أمرني في سنة أربع وتسعين، وعند دخولي الزاوية العامرة سطعتْ عليَّ أَنوارُ الرجال، فدهشتُ من الجمال والجلال، ورأيتُ من أوصافِ المتجردين ما لا تحويه العقول، وأنشد لسان الحال يقول:

أَبـرقٌ بـدا مـن جـانـبِ الـغـور لامـعُ ... أمِ ارتفعتْ عن وجهِ سَلمى البَراقعُ[1]

فعند ذلك أخذ بيدي الأستاذ المكي قدس سره، وأجلسني بين يديه، وتذاكرَ معي مذاكرةً سرية، وأدخلَ في فمي لقمةً من طعام كان بيننا، فكشفَ لي عن أسرارٍ لا ينبغي إفشاؤها إلا لذوي المعارف الربانية، فجدَّدتُ عليه الطريق، وقد جدَّدَ عليه من قبلي خلفاءُ والده للإشارة النبوية، إذ قال له والده قبل وفاته بجمعٍ من أكابر علماء الحرم، ومن معهم أهل السنة المحمدية: الحمدُ لله الذي بشَّرني فيك جدّي رسولُ الله ﷺ بأنَّك خليفتي من بعدي، فكان ذلك سبباً لتمسُّك العلماء والفضلاء وأكابر أهل المشرق بأذياله زيادةً على ما كانوا عليه منه؛ لأنَّه تحقق بمعارف أهل العرفان بعد أن أخذَ عن والده، وتربّى في حِجره، وربّى كثيراً من المريدين في حياته إلى أن أرادَ الله عمومَ نفعه للعباد، فأذِنَ له والده في الإرشاد لعلمه أنه نالَ الهنا وبلغ المُراد، فنشرَ الطريقة، وأظهر الحقيقة، ووصلَ المُنقطعين إلى أعلى المقامات، ولذلك كانت تُشدُّ إليه الرحال من كلِّ الجهات، وقد ظهرتْ على يديه من الكرامات حالَ حياة والده وبعدها ما لا يُحصى.

وبعد أخذي عليه الطريقَ أَلبسني المرقعةَ بعد نزولي من الحجِّ ورجوعي إلى الزاوية عقبَ أيام التشريق[2]، ثم قمتُ بخدمة الإخوان المتجرّدين إلى أن أمرني

(١) البراقع: (ج) البُرْقُع: غطاء للوجه يكون للدواب ولنساء الأعراب.
(٢) أيام التَّشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النَّحر.

الأستاذ بالرجوع إلى البلاد المصرية كما كنت بها لإقامة شعائر الطريقة الشاذلية، وببركته قد جمع الله علينا.

أقول: قوله: (من نثق به في طريق الله) إشارةٌ إلى اجتماعه بمولانا الأستاذ العقاد رضي الله عنه؛ فإنَّه خليفتُه، ووارث مقامه من بعده، وقد كان ذلك من قَبْلُ في عالم المعنى، كما شوهد في عالم الحسِّ، والله أعلم اهـ، جعلنا الله من المتمسِّكين به حتى نلقاه.

٦٣

سيدي محمد الفاسي[١]

(... ـ ١٢٨٩)

قال شيخنا رضي الله عنه: وأمَّا أحوالُ الشيخ سيدي محمد الفاسي فإنَّه رضي الله عنه كان مُتشرِّعاً متحققاً بالعلوم والمعارف الإلهية، ومتخلِّقاً بجميع الأخلاق والصفات المحمَّدية، أعطاه اللَّهُ الكشف، وألبسه من حلل المهابة، وتوَّجه بتاج الكرامة، وأسبغَ عليه نعمه، وأعطاه القطبانية، فسبق أهل العرفان والولاية، جَمَعَ بين الحقيقة والشريعة، وأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، اتَّسع كشفُه إلى أن سمعَ تسبيحَ الملائكة والجبال والحجر والمدر[٢]، فزاده الله شرفاً، ورفع في العالم الأسنى شأنَه، اغترفَ من العلوم الشرعية ما يعجزُ عنه مقالي، وأمَّا علومُ أهلِ الطريقة والحقيقة، فحدِّث عنه ولا تبالي، أَصغِ بقلبك لِمَا أُمليه عليك من ذكرِ مشايخه في علمِ الظاهر والباطن.

قرأ القرآن في بدايته بالمغرب الأقصى، واشتغل بقراءة العلم على مذهب إمام دارِ الهجرة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه، فكان من جملة أشياخه الشيخُ العلَامة، والبحر الفهّامة، عمدةُ المحقّقين القاضي سيدي العباس أبو سودة بن مرّة الفاسي المالكي، قرأ عليه «الخليل»[٣] في الفقه، وشارحه الخرشي، وعبد الباقي،

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢١٣.

(٢) المَدَرُ: المدن والقرى أو الحَضَر.

(٣) الشيخ خليل (توفي ٧٧٦هـ = ١٣٧٤م).

خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي. فقيه مالكي، من أهل مصر. كان يلبس زيّ الجند تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك. له «المختصر» في الفقه، يُعرف بمختصر خليل وقد شرحه كثيرون، وترجم إلى الفرنسية، و«التوضيح» شرح به مختصر ابن الحاجب، و«المناسك» و«مخدرات الفهوم في ما يتعلق بالتراجم والعلوم» و«مناقب المنوفي».

=

والشيخ العلامة المحدّث الهُمام، واسطةُ عقد العلماء الأعلام، وشيخ الحديث والتدريس سيدي عبد السلام البرعي، قر عليه التَّفسير، والحديث، والمصطلح، وغيرها من السُّنَّة، وتخرَّجَ على يده، فكان يتعجَّب من حفظه ونقله، واطلاعه وكشفه. وأما كتبُ السِّير كالكَلاعي[1] والواقدي[2] والحريفيش[3] و«الترغيب والترهيب»[4] وغيرها من كتب الحديث، فتخرَّج بها، وقرأها على الهمام سيدي

= الأعلام ٢/ ٣١٥، والدرر الكامنة ٢/ ٨٦ وفيه وفاته سنة ٧٦٧هـ ومثله في حسن المحاضرة ١/ ٢٦٢ وآداب اللغة ٣/ ٢٤١، ومعجم المطبوعات ٨٣٥.

(١) الكَلَاعي (٥٦٥ ـ ٦٣٤هـ = ١١٧٠ ـ ١٢٣٧م).
سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع. محدث الأندلس وبليغها في عصره من أهل بلنسية، ولي قضاءها، وحمدت سيرته. له شعر رقيق أكثره في الوصف، وكان فرداً في الإنشاء وصنف كتباً، منها «الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا» و«أخبار البخاري وترجمته» و«معرفة الصحابة والتابعين» و«جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح» و«برنامج روايته» وغير ذلك. توفي شهيداً، والراية في يده، في وقعة أنيشة.
الأعلام ٣/ ١٣٦، وقضاة الأندلس ١١٩، وصفة جزيرة الأندلس ٣٢، والتكملة ٧٠٨.

(٢) الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ = ٧٤٧ ـ ٨٢٣م).
محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي. من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطاً (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠هـ، في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد، واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه «المغازي النبوية» و«فتح إفريقية» جزآن و«فتح العجم» و«فتح مصر والإسكندرية» و«تفسير القرآن» و«فتوح العراق» وغير ذلك. (الأعلام ٦/ ٣١١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧، ووفيات الأعيان ١/ ٥٠٦، وتاريخ بغداد ٣/ ٣ ـ ٢١، وميزان الاعتدال ٣/ ١١٠).

(٣) الحُريفيش (توفي ٨١٠هـ = ١٤٠٧م).
شعيب بن عبد الله بن سعد بن عبد الكافي، أبو مدين، المعروف بالحريفيش، متصوف مصري من أهل القاهرة جاور بمكة. له كتاب «الروض الفائق في المواعظ والرقائق» و«شرح قصيدة: من ذاق طعم شراب القوم يدريه» في أوقاف بغداد (٤٨٣٣).
الأعلام ٣/ ١٦٧، والضوء ٣/ ٣٠٦، وذخائر الأوقاف ١٤٠ و١٦٣، ومعجم المطبوعات ٧٥١.

(٤) كتاب «الترغيب والترهيب» للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ وهو كتاب كبير في مجلدين. ذكر أنه ألفه حاوياً لما تفرق في غيره من الكتب مقتصراً على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب وذكر الحديث بعزوه إلى من رواه من أصحاب الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن الأربعة وبعض المسانيد ثم أشار إلى صحة إسناده وحسنه أو ضعفه وأفرد للراوي المختلف فيه باباً في آخر الكتاب ذكرهم مرتباً على الحروف وذكر الأحاديث في خمسة وعشرين كتاباً على ترتيب المصابيح. (كشف الظنون ٤٠٠).

العربي الزرهوني المالكي المغربي الفاسي. وأمّا علمُ النحو، وبعض علوم الأدب والمعقول، فقرأها وتخرَّجَ بها على الأديب الأوحد سيدي عبد السلام بن موسى الأندلسي، وقرأ «الرسالة»(١) للقشيري، وغيرها من كتب التصوف على العالم الفريد سيدي التهامي بن حمادي. فهؤلاء أشياخُه رضي الله عنهم، فكانوا يتعجَّبون من شدَّةِ اطلاعه، وسرعة حفظه، واقتلاعه؛ لكونه محفوظاً بالعناية الأزلية، ثم اشتغل رضي الله عنه بعبادة الله تعالى حتى كان ممن قِيل فيهم:

رجالٌ على التَّحقيق ليس لغيرِهم ... من المُلك إلّا اسمُهُ وعُقابُه

فكان في هذه المدة مُشتغلاً آناء الليل وأطراف النهار بالصلاة على نبيه ﷺ، حتى كان يختم «دلائل الخيرات» في كلِّ يومٍ إحدى وعشرين مرّة، غير ما يعقبها من تلاوة القرآن والذكر والصلاة.

وكان رضي الله عنه كثيرَ الزيارة للأولياء الأحياء منهم والأموات، عفيفاً عن محارم الله تعالى، غاضًا بصره عن ما لا يُرضي الله تعالى، ثم بشَّره بالولاية رجلٌ من أولياء الله تعالى يُقال له الشريف سيدي أحمد الغيران، كان من أهل التعريف والأحوال، كان لا يقدرُ أحدٌ يُكلّمه، وكان رضي الله عنه إذا لقي أستاذنا، وهو في تلك الحالة صحا وعانقه، ويقول له: مرحباً بسيدي ابن عطاء الله، هكذا كان دأبَهُ كلَّما لقيه إلى أن جمعه الله تعالى على شيخه قطبِ الدائرة والمدد الأستاذ الأعظم سيدي الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني قُدّس سرّه، فاقتبسَ من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، ومكثَ يقتبسُ من هذه الأنوار التي تَفيض على روحه من حضرة الوهّاب نحواً من ثمانية عشر عاماً، وهو يُربّي المُريدين في حياة شيخه إلى أن تحقَّقَ بالولاية الكبرى، وأذِنَ له شيخُه بالإرشاد، وإظهار أسرار الحقيقة، ونشر الطريقة في بلد الله الأمين، وقد انتفعَ به أهلُ المشرق والمغرب.

وكراماته لا تحصى منها: أنه في ابتداء أمره رضي الله عنه حين تجرَّدَ لله ورسوله، وتركَ الدنيا وراء ظهره، ونفرَ من أبناء جنسه، وصار تائهاً في حبِّ الله تعالى، وكان يحتطبُ لإخوانه، ويخدمهم، ويقوم بما يُرضيهم، وكان كثيرَ السياحات مع إخوانه مع خرق العادات، وقد أتاه مرةً أربعةٌ من اللصوص، يُريدون أخذ ما عنده، فأشارَ إليهم بيده، فأعمى اللَّهُ أبصارَهم عنه، وصاروا يقولون: أين ذهب، وكان الآن معنا؟! وهو معهم يراهم ويسمعُ صوتهم.

---

(١) «الرسالة القشيرية في التصوف» للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستاذ الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥ عن ٨٩ سنة. وهي على أربعة وخمسين باباً وثلاثة فصول وهي عمدة في هذا الفن. (كشف الظنون ٨٨٢).

ومنها: أنه حصلتْ له في بعض سياحته مشقَّةٌ وتعب، حتى تورَّمت قدماه، فخطر بباله ما لا يليق في حقِّ أُستاذه، ونوى الذهاب إلى مكَّة ليفتِّشَ على شيخ كامل، فرأى الحقَّ جلّ وعلا في تلك الليلة رؤيةً منامية، وأمرَ الحقُّ تعالى به أنْ يُضرب، فضرب سوطين[1] أدباً، ثم قال: إلهي، تبتُ إليك. فقال تعالى: أطلقوه، ثم أوقفه بين يديه، وقال له: سلني. فقال: إلهي، سألتُكَ العصمة. فقال: لا أعصمك، وليست إلا للأنبياء. فقال: إلهي، أَسألُكَ الحفظَ. فقال: لك ذلك، ثم انتبه من نومه رضي الله عنه، ثم ترادفت عليه المعارفُ الإلهية من حينه، ونظم قصيدته العينية، وهي تنوفُ عن سبعين بيتاً التي أولها:

شربتُ شرابَ السرِّ من خمرةِ الصَّفا ... فسُكري بها حقاً وما لي منازعُ
سَقاني ساقيها الحبيبُ فلم أرَ ... سواه على الإطلاقِ في الكونِ لامعُ
ولا خطرتْ لي في سِواه معيةٌ ... فمهما رأيتُ الخلق ما أنا جازعُ
وأبصرتُ ما فوق البرية والثرى ... كذا العرش والكرسي لحكمي طائعُ
فصرتُ أنا السَّاقي لمن جاء عاطشاً ... مُغيثاً لمن ناداني في الكلِّ شافعُ
أنا الشُّربُ والمشروبُ والقدحُ الذي ... يكونُ لأهلِ الشُّربِ فيه الودائعُ
أنا النورُ والأنوارُ والسِّرُّ والخفا ... أنا الشمسُ والأقمارُ من نوري ساطعُ
فيا أيُّها الملهوفُ إنْ كنتَ ظامئاً ... فنادي بنا يا فاسي آتِ، أُسارعُ

إلى آخر القصيدة المشهورة.

ومنها: أنَّه كانَ في بعض السياحات، فحلَّ بأرضٍ من أعمال طرابلس، فاجتمعَ عليه أهلُ تلك الأرض، فصاروا يبكون، ويستصرخون، ويستظلمون من واليهم، ويستغيثون بالشيخ من جور هذا الوالي وظلمه، وهجومه على بيوت المسلمين، والشيخُ قُدّس سرّه يبكي بينهم، ثم قال لهم الأستاذ: باللَّهِ الذي لا إله إلا هو، لا يبقى متولياً عليكم أكثرَ من هذا الشهر، إمّا أن يُعزل، وإمّا أن يموت، فعُزلَ بعد ثلاثةِ أيام، وحصلَ منه بعد ذلك ما كان سبباً لموته، وقطع رأسه.

ومن أسرار الأستاذِ قُدّس سرّه، ما أخبر به أخونا سيدي الأستاذ أحمد الحضراوي قال: كنتُ مع الأستاذ قُدّس سرّه في بعض السياحات، قال: فدخلتُ ذات ليلةٍ على الشيخ، فرأيت شمسَ أنوار التجلّي عليه ساطعةً، ومكالمة الذاتي في ذاتِ صفاته قاطعةً قامعة، إذ برقَ لي منه بارقُ القبول والوصول، فقال قُدّس سرّه: تعالَ يا أحمدُ عندي، واكتب عنّي واسمع ما أقول: أتاني الساعةَ من الله ورسوله

---

(١) مثنى السَّوْط: ما يُضرب به من جلد مضفور ونحوه (ج) سياط وأسواط.

أن أقولَ: قَدَمي هذا على رقبةِ كلِّ وليٍّ حيٍّ. قال قُدّس سرّه: فلمَّا قلتُها وأنا في وسط ديوان أولياء الله تعالى، أرادَ بعضُ الأولياءِ الحاضرين حينئذٍ أن يقولَ هذه المقالة، فقلت له: وعزَّةِ الله وعظمتِهِ، إن قلتَها لأُخرجنَّكَ من الديوان والدائرة، وأَسلبنَّكَ من الولاية، فسكتَ، ولم يقلْها، وقد قال العارفون في معنى ذلك قصائدَ كثيرةً، فهو الحائزُ للخلافة المعنوية كما رأى ذلك، وهو في الروضة الشريفة بين يدي رسول الله ﷺ أخبرَ عن ذلك بما يُبهر العقول، وإن أردتَ الوقوف على ذلك فانظرْ إلىَ مؤلفاته ومناقبه، وكثيراً ما كان يقول: واللَّهِ، لولا أنّي مقيَّدٌ بقيد الشريعة لأَظهرتُ العجبَ العجاب.

وكان يقول: أعطاني الله علوماً مثلَ علوم من سبق من الأوّلين، ولا يسعُ ما أعطاني الحقُّ إلا صدري، فكان قُدّس سرّه قطبَاً ربانياً، وهيكلاً صمدانياً، اجتهدَ في جَمْعِ قلوبِ عبادِ الله على الله، حتى صارَ له من الزوايا العامرة بالمتجرّدين ما لا يُحصى عددُه في بلاد الحجاز، والهند، والشام، ومصر، وسائر بلاد الإسلام.

خدمَ رضي الله عنه الأولياءَ إلى أن خدمته الأقطاب، ساحَ في هذا الشأن نحو تسع وعشرين سنة، وأَلَّفَ في العلوم كتباً كثيرة مشهورة في البلاد الإسلامية. وانظر إلى كتابه «الكنز المطلسم»، تر ما يسرُّك من العلوم الربانية، وكتابه «الفتوحات الربانية والإجازة المدنية» وكتاب «مراتب الدين ونهاية العارفين» وناهيك بها من مؤلفات نفيسة.

وقد انتقل إلى رضوان الله تعالى، ودفن في المعلى بمكّة المكرمة سنة ألف ومئتين وتسع وثمانين.

وورث عنه سرَّ الذات، وسرَّ الروح، نجلُه السعيد سيدي محمد المكي شمس الدين لا زالت الإمدادات منهما تزيد إلى يوم الدين.

ولو تتبَّعنا أحوالَ الشيخ وكراماته لم تسعْها هذه الورقات، وإن أردتَ الزيادة على ما ذُكر فعليك بكتاب «معاهد التحقيق» لمولانا سيدي محمود الوفائي قُدّس سرّه، الجاري طبعُه الآن بمشيئة الملك الديان بالمكتبة الفاسية الشاذلية، هو وبعض مؤلفات الأستاذ مولانا محمد الفاسي رضي الله عنه، وأرضاه. اللهمّ ارزقني وأحبَّتي الانخراطَ في سلكهم، والسلوكَ على نهجهم وطريقهم، بجاه سيّدنا ومولانا محمد ممدِّهم ﷺ وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. آمين.

وأما سيّدنا محمد الفاسي رضي الله عنه فأخذَ عن شيخه القطب الكبير، والعَلَم الشهير، سيدي محمد حمزة ظافر المدني رضي الله عنه، وقد ترجمه في «فتوحاته»، فقال: أخذتُ الطريقة الشاذلية عن سيدي وأستاذي مربّي المريدين

بالهمّة والحال، ومُوصلِهم إلى مقام التحقيق بالأوصاف في مقامات الإنزال، قطبِ الدائرة، والمدد الغوث الجامع الفرد الشيخ سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني قُدّس سرّه العزيز في سنة ١٢٤٢ بعد موت أستاذه، ورجوعه من المغرب الأقصى، إلى طرابلس الغرب فجمعني الله به، واقتبست من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، فكنت أقتبسُ من تلك الأنوار التي تفيضُ على روحه من حضرة الجبار نحواً من ثماني عشرة سنة، فنفعني الله به.

كان رضي الله عنه تنبتُ الأولياء بساحته كما تنبت الأرضُ البقلَ إذا صبَّ عليها المطر، كانت أخلاقُه أخلاقَ الأنبياء، وأحوالُه خاصةَ الخاصة من الأولياء والأصفياء، كان قُدّس سرُّه قطباً، فمن أنواره تستمدُّ الأقطاب، ومن بحارة تستمدُّ الأنجاب، من نظر إليه أغناه، ومن عرفَه لا يُريد سواه، له أحوالٌ عجيبة، وأسرار غريبة، اجتهد في علم المعاملات إلى أن بلغَ أعلى المقامات، وخدمَ الأولياء إلى أن خدمته خاصَّةُ الخاصة من الأصفياء والأولياء، وساحَ في هذا الشأن نحو خمسٍ وعشرين سنةً في أرض المغرب الأقصى إلى أن وصل إلى ساحلِ عين حمية، وخدمَ بنفسه المشايخَ والصالحين، وهو يطلبُ حي ليلى، إلى أن وجدَ أهلَها في حائط ليلى، وحائطُ ليلى هذا اسمُ مكانٍ لمستقرِّ مولانا الشيخ العربي.

توفي قُدّس سرّه سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف، ودُفن بمسرات بزاويته، ومقامُه بها، تقصدُه الزوَّار من كلِّ مكان، اللهم انفعنا به، واحشرنا تحت لوائه. آمين.

وأمّا سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني[١] **قُدّس سرّه**، فأخذَ الطريقةَ عن أستاذه وموصله بالسلسلة النورانية مولانا العربي الدِّرقاوي رضي الله عنه.

وقد ترجمه شيخُنا رضي الله عنه في كتابه «إتحاف أهل العناية» فقال: أما الدرقوية فنسبةً إلى أصل مددِها، وعنصرِ مشربها، وقطبِ دائرتها، الذي تدور عليه، وهو أستاذُ شيوخنا العارف الأكبر، القطب الأشهر، الشريفُ الحسني سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الدرقوي قُدّس سرّه، ونفعنا به، وجعلنا على عهده، وأثره إلى لقاء الله، وحشرنا في زمرته. آمين.

وقد بسطتُ ترجمتَه في الجملة في «طبقاتنا»، وذكرتُ بعض مآثر طريقه ومناقبها ومزاياها، ونقلتُ ما للأكابر في ترجمته، ومنه ما ترجمه به العلامة

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٧٦ وهو فيه «محمد (ظافر) بن محمد حسن بن حمزة ظافر»، وفهرس المؤلفين ٢٦٤ و٢٦٥ وشجرة النور ٤١١، وهدية العارفين ٢/ ٣٩٩، ومعجم المطبوعات ١٢٥٥ والأعلام الشرقية ٣/ ١٢٥، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٠٩.

الأمجد، الصوفي الأوحد، مُليِّنُ القلبِ القاسي أبو العباس سيدي أحمد بن الخياط الفاسي رضي الله عنه، ونفعنا به، ولنُشر إلى ذلك باختصار فنقول: هو الشيخ الإمام، الغوثُ الهُمام، العارف الربّاني، المحقِّقُ الصمداني، شيخ المشايخ العارفين، وقدوةُ الصدور المربّين، الواصلين الكاملين، مَنْ بالنظرة والعطفة يداوي، ولغيرِ سيده ومولاه لا ياوي، الشريف الحسني أبو المعالي مولاي العربي بن أحمد الدرقوي.

قال الأستاذ أبو العباس المذكور بعد التحلية المتقدِّمة: فهو رضي الله عنه من ساداتنا الشرفا، أهلِ بيت الرسول المصطفى، الذين عنهم الرِّجسُ انتفى، وشمسُ مجدهم ما لها خفا، من الفرقة التي لقبُها الدرقاويون، وهم في بقاعٍ من الأرض منتشرون، وفي أماكنهم معظّمون، وبحيازة النسب الشريف مَعروفون، ذكرهم غيرُ واحدٍ من أهل التأليف، ورفعَ نسبَهم الشريف في الكتب والتصانيف، عند ملوك الإسلام بأيديهم ظهائرهم الآمرة بتعظيمهم بين الأنام، سيما ظهائر الشريف الجليل أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، فقد بحثَ عن الأشراف، وميَّزَ اليواقيتَ من الأصداف، واستعملَ النظر، وتوّج بطالعه الشريف من له الدليل المعتبر.

قال أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سيدي محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل في ظهيرٍ له ما نصُّه: ولا يحلُّ لنا أن نهمل ما أظهره الله بالمواجب الشرعية، والظهائر السلطانية، لأن الملوكَ الأقدمين كانوا لا يجدّدون جديداً إلا بعد شهادة أهلِ بلادهم لهم، بتحقيق نسبهم.

وقال في هذا الظهير أيضاً قبل هذا ما نصُّه: ويُعلم ويتحقّق أنَّ العلماء العالمين أجمعوا على أن النَّسب المقطوعَ به في غربنا من غيرِ شكٍّ ولا ريب هو ما أُدخل في دفتر مولانا الجد رحمه الله، بعدما تحقَّقَ أمرُه، لأن ملكَه أتبعَ القرى، والمداشر، والحواضر، وشهدتْ لهم الكافَّةُ والجمهور، وحقّق من دفتر أبي العباس المنصور، وبحث فيه أولاً وثانياً، فإذا هو مشهور، وبوجوده رحمه الله انقطعتْ شوكةُ أهل الظلم والجور، والجرأة والعناد بالكذب على سيد العباد. انتهى المُراد منه.

ونحوه لمولانا سليمان في ظهيرٍ له، وذكر فيه مولانا العربي رضي الله عنه، ووصفَه بالزُّهد والمعرفة بالله في قضيةٍ ذكرها في شأنه، ولا شكَّ أنَّ هذه الطائفة من الأشراف منتشرة، وفي مواضعها مشتهرة، ففرقة منها بفاس دفع الله تعالى عنها كلَّ باس، بالعيون، تُعرف بأولاد ابن عبد النبي، وكانت في هذه الفرقة المباركة النقابةُ زمنَ مولانا إسماعيل، وسيدي محمد بن عبد الله، ومولانا سليمان، كما

وقفتُ على ذلك في غيرِ موضعٍ، ومنها فرقةٌ بسوس الأقصى[١]. ومنها فرقةٌ بساحل دكالة بثغر مدينة آسفي، التي بها ضريحُ الوليِّ الصالحِ الشهير الواضح أبي محمد صالح تلميذ الشيخ الكبير أبي مدين الغوث، نفعنا الله به، والكثيرُ منها بقبيلة بني زروال، وكلُّهم أهل حياءٍ وسخاء، ومسكنةٍ وعفّة، وجدُّهم الذي ينتسبون إليه هو الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الملقَّبُ بأبي درقة، كان قُدّس سرّه عظيمَ القدر، شهيرَ الذكر، وكان قُدّس سرّه عالماً، عاملاً، زاهداً كثيرَ القيام، والصيام، والصدقة، يختمُ القرآن كلَّ يوم، مُجاهداً في سبيل الله، وكانت له درقةٌ[٢] كبيرةٌ يتوقى بها في الحروب، فصارَ يُقال له أبو درقة، وضريحُه مشهور للزيارة، عليه قبَّةٌ مُتقنةٌ بتامسنة بقبيلة الشاوية، قريباً من وادي أمِّ الربيع، وهو من ذرّية مولانا أحمد بن مولانا إدريس بن مولانا إدريس رضي الله عنهم.

وقد كان الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه في حالِ شبابه تحيَّر في أمرِ نفسه، فأراه الله تعالى ذلك عياناً، وكشفَ له عن نورٍ كالنور الذي تسمّيه العامة عروسةَ المطر، ضارباً قوساً من النبي ﷺ إلى مولانا إدريس، ومن مولانا إدريس إلى سيدي أبي درقة، ومن سيدي أبي درقة إلى والد مولانا العربي رضي الله عنه، وهذا التحيُّرُ كثيراً ما يعتري الأفراد من آل البيت رضي الله عنهم، وسببُهُ التعظيمُ لهذا النسب الشريف، وخوفُ الدعوى، وهذا الخوفُ من الورع، وإلا فكلُّ مَنْ وجدَ قومه وآباءه يدَّعون نسباً حُرِّمَ عليه أن يدّعي خلافه، إلا أن يتحقَّق خلافَ ذلك، وكذبَ آبائه.

ولد الشيخ المترجم له قُدّس سرّه بعد الخمسين والمئة والألف، بقبيلة بني زروال، ذات البركات المتكاثرة، والأنوار الساطعة، بعطفة سيد الأرسال، فهي قبيلةٌ مُباركة، ولها منافعُ وخواص شهيرة. منها حسبما نقله أبو العباس المذكور أن بها أولاد الخلفاء الأربعة ساداتنا أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي قُدِّس سرّهم. ومنها أنَّ الوليَّ الكبير الأستاذ الشهير سيدي الحاج ابن فقيرة الزروالي قرأ سلكة برواية السبعِ في الروضة الشريفة، روضةِ النبي ﷺ فلمَّا ختمها أجابه ﷺ وقال له: هكذا أُنزلَ عليّ أيها الإمامُ الزروالي، بارك الله فيك، وفي قبيلتك الزروالية. ومنه ما جمع الله فيها من الزُّروع، والضروع، والعنب، والزيتون، والفواكه، وشجاعة أهلها.

وكان هذا الشيخُ مولانا العربي قُدّس سرّه يقول: الناس يقولون: من مسَّ

---

(١) السوس الأقصى: كورة مدينتها طرقلة، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين وبعده بحر الرمل وليس وراء ذلك شيء يُعرف. (معجم البلدان ٣/ ٢٨١).
(٢) الدَّرَقَةُ: تُرسٌ من جلد ليس فيه خشب (ج) دَرَقٌ (جج) دِراقٌ، وأدراقٌ.

ثوبَه ـ ثوب الزروالي ـ يربح ولا يخسر. كأنّه قُدّس سرّه أشارَ بهذا الكلام لنفسه تحدُّثاً بنعم الله تعالى، ونصيحةً لعباد الله؛ فإن أولياء الله تعالى إكسيرُ القلوب، من رآهم سعدَ بهم سعادةً لا يَشقى بعدها.

وكونه قُدّس سرّه زروالياً ولادةً ومنشأ ونسبةً لا يُنافي كونه من أعيان آل بيت الرسول ﷺ لما اشتُهر عند المحدثين أنَّ من قامَ بموضعِ أربعِ سنين ذهب إليه، وصحّت نسبتُه إليه.

نشأ رضي الله عنه عند أهلهِ في عفافٍ وصيانة، وحياءٍ ومروءة، وكان وقت صباه مشتغلاً بالقراءة والزيارة، لا يعرفُ إلا الأخيار مؤيداً محفوظاً. قال رضي الله عنه: هممتُ مرةً بمعصيةٍ في حال الصبا مع بعض من تتعلّقُ الشهوةُ به، فخرجتْ بجسمي قروح[1] كثيرةٌ عند ورودِ خاطر السوء على قلبي، فاستغفرتُ الله، فذهب ما بي في الحين، فضلاً من الله ونعمة.

حفظَ القرآن في السلكة الأولى حفظاً متقناً، وكان محبوباً عند جميع من رآه. قال رضي الله عنه: كنت أسلك للطلبة ألواحَهم، وكثيراً ما أقبضُ اللوح بيدي، وأقول لصاحبه قبل أن أنظرَ فيه: هذا اللوح ثقيل، فيه كذا وكذا خسارة، أو خفيف ما فيه إلا كذا وكذا، أو لا شيءَ فيه، فلا أجدُ إلا ما أخبرتهم به إلهاماً من الله سبحانه.

وكانت حالُه في القراءة عدمَ التكلّف، بل يكتبُ اللوح ويتأمّله قليلاً، ويتركه، ويشتغلُ بالكتابة لألواح الطلبة، والسرد معهم، وكذلك كانت قراءته للسبع حتى حفظها، ثم اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية مدَّةً صالحة، ثم لقي الشيخ الكبير العارف الشهير الشريف المنيف أبا الحسن سيدي علياً بالمعروف بالجمل، نفعنا الله به، بعدما تكررت منه الزيارة لمولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنهما. قيل: قرأ بضريحه ستين سلكةً في طلب الشيخ المرشد. ولما ختم الختمة المكمِّلة للستين بكى بكاءً شديداً إلى أن احمرَّتْ عيناه، وخرج من ضريح مولانا إدريس، فمرَّ بالشريف سيدي حميد من حفدة القطب الشهير العارف الكبير مولانا عبد العزيز الدبَّاغ من ابنته، فقال له، وكان منظوراً عنده وعند غيره بالتعظيم: ما لي أراك على هذه الحالة؟ وألحَّ عليه، فأخبره بأنه اضطر إلى من يأخذ بيده، فقال له: أنا أدلُّكَ عليه إذا لم تُشاور عليه أهلَ الرأي القاصر، والعقل الفاتر، وقد قال الشريشيُّ في رائيته:

ولا تسألنْ عنه سوى ذي بصيرة ... خليٍّ من الأهواءِ ليس بمغترِّ

---

(١) القروح: الجروح.

قال: فقلت له: ومن هو؟ فقال: هو الأستاذ الجليل الشريف الأصيل، الغوث الجامع، والبحر الواسع أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل رضي الله عنه.

وقد قال الشيخ المترجم قُدّس سرّه: وكان عادتي أن لا أُقدمَ على أمرٍ من الأمور جليلاً أو حقيراً إلا بعد الاستخارة النبوية، فاستخرت الله في تلك الليلة، فبتُّ أخوضُ في صفاته: كيف هو؟ وكيف تكون ملاقاتي معه؟ حتى لم يأخذني النوم تلك الليلة، ولَمَّا صليتُ الصبح قصدتُه لزاويته بالرُّميلة التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود للزيارة، فدققتُ الباب، فإذا به قائمٌ يشطب الزاوية، إذ كان لا يتركُ تشطيبها بيده المباركة كلَّ يومٍ مع كبر سنه، وعلوّ شأنه، فقال: أيش تريد؟ قلت: أريد يا سيدي أن تأخذ بيدي لله، فَقَامَ معي قومةً عظيمة، ولبسَ الأمر عليّ، وأخفى عنّي حالَه، وصار يقول: من قال لك هذا؟ أو مَنْ أخذَ بيدي أنا حتى آخذ بيدك؟ وزجرني ونهرني، وكلُّ ذلك اختبارٌ لصدقي، فولّيت من عنده، قال: فاستخرتُ الله تلك الليلة أيضاً، فصلّيتُ الصبح، وقصدته لزاويته أيضاً، فوجدته على حاله يشطب الزاوية رضي الله عنه، فدققتُ الباب، ففتحَ لي، وقلتُ: تأخذ بيدي لله؟ فقبض على يدي، وقال لي: مرحباً بك، وأدخلني لموضعه بالزاوية، وفرح بي غايةَ الفرح، وسُرَّ بي غايةَ السرور، فقلت له: يا سيدي، كم لي أُفتِّشُ على شيخٍ؟ فقال لي: وأنا كم لي أُفتِّشُ على مُريدٍ صديق، فلقَّنني الوردَ، وقال لي: امش، وجِيء، فكنتُ أمشي وأجيء كلَّ يوم، فيذكّرني مع بعض الإخوان من أهل فاس حرسها الله من كلِّ باس.

ولزم شيخَه سنتين، ولما فجأه الفتحُ المبين، وتمكَّنَ من حاله غايةَ التمكين، وأرادَ الله نفع العبادَ به، خرقَ عنان عنايته إلى الانتقال من فاس إلى بلده، قبيلة بني زروال حيث هو الآن بها، فاستأذنَ شيخَه حينئذٍ في الرَّحيل بأولاده، فأذنَ له بذلك رضي الله عنه، ونفعنا به.

وأمّا سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله: فقد كان بحراً لا ساحل له، وقد تكلَّمَ على ذلك في الجملة غيرُ واحدٍ من تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه كمولانا الوالد في «الفتح الوهبي»، والشيخ سيدي المهدي ابن القاضي في «النور القوي»، والعارف بالله أبي العباس المتقدّم، وغيرِ هؤلاء السادات رضي الله عنهم، وكلٌّ ذكرِ رشحةً من بحره الطامي، بحسب ما سمحَ له به الوقتُ، وتجلّت له به الحضرة.

ومن ذلك ما قاله الشيخ أبو العباس المذكور جزاه الله الكريم الشكور ونصُّه: لنذكرْ جملةً من سيرة مولانا العربي رضي الله عنه في بدايته وسلوكه، وبيان روايته ونسكه، وجملةً من أحواله التي أدركه أصحابه عليها.

أما أحواله رضي الله عنه في بدايته وسلوكه فمعظمُها زُهْدُه في الدنيا، وتجرّده عنها حسًّا ومعنًى، وتحققه بوصفه، ومخالفته لنفسه وتركه للأخفِّ عليها، ومتابعة لما يثقلُ عليها، إلا ما كان حقاً وأسرع إجابة وفتحاً، كما قال رضي الله عنه. وإقبله على الحقِّ، وإعراضه عن جملة الخلق، لا يُبالي بهم، مدحوه أو ذمُّوه، وتمسُّكه بالفاقة[١] والافتقار وإيثاره للذلَّة والاحتقار، وحذرُه ممَّا ألفه الناسُ من الجمْعِ والادخار، لا يترك من عشائه لغدائه، ولا من غدائه لعشائه، بل يأخذُ قدرَ ما يُقيم به بنيته وبُنية عياله، ويُخرج الباقي لعباد الله، وهذا مسلكٌ عظيم، لا يقدر عليه إلا من أقدرَه الله عليه.

قال الشيخ الإمام العلامة النحرير[٢]، العارفُ المُكاشَف الكبير، ولي الله تعالى، أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة المنجري الحسني: مكثَ مولانا العربي على هذه الحالةِ الموصوفة خمساً وعشرين سنة، لا يتركُ من عشائه لغدائه، ولا من غدائه لعشائه، بل حتَّى ما يكون في المصباح من دهنِ الفتيلة[٣]، ثقةً بالله، واعتماداً على الله، واعتصاماً بالله، وكان تأتيه الفتوحُ من عند الله، ولا يأخذُ منها إلا قدر ضرورته وزوجه وأولاده منها، وهم جماعةٌ كالطير في وكرها غدواً وأَصيلاً[٤] حتى أتاه الإذن من الله، فكان يأخذُ بالله كما كان يتركُ الله، وصارَ يزيدُ بكلِّ شيءٍ، ولا ينقصُ منه شيء.

وكان رضي الله عنه في ابتداء أمره يلبسُ الخشن؛ كالتليس، وكالدربال، والغرارة، والكساء الغليظ جداً، المخطَّط بالسواد، أو القشَّابة المقلوبة وحدها، والشاشية البالية النقية المرشوقة، بل كان يردف الشواشي على بعضها فوق رأسه ثلاثاً أو أربعاً، ويحملُ على ظهره قرابيْن أو ثلاثة.

وأمَّا تعريةُ الرأس، والمشي بالحفاء، والسؤال بالأسواق، وغيرها، والجلوس على المزابل مع الحذر من النجاسة والرقا بالطريق، وحمل القربة[٥]

(١) الفاقةُ: الفقر والحاجة.
(٢) النِّحْريرُ: العالِمُ الحاذقُ في علمِهِ (ج) نحارير.
(٣) الدُّهْنُ: ما يُدهن به من زيت وغيره من الطيوب.
الفتيلةُ: ذُبالةُ السِّراج (ج) فتائل.
(٤) الأصيلُ: الوقت حين تصفرُ الشمسُ لمغربها (ج) آصال وأصائل، وأُصُلٌ وأُصْلانٌ.
(٥) القِرْبَةُ: وعاءٌ من جلد يُخرزُ من جانب واحد، ويُتخذ لحفظ اللبن أو الماء ونحوهما (ج) قِربٌ وقِرْباتٌ وقِرِباتٌ.

على الظهر، وإعطاء الماء لله إلى غير ذلك من أحوال الملامية[١]، وفعالهم التي تبعد من الخلق، وتقرِّبُ من المَلكِ الحقِّ، ولا يفعلها إلا المخلوق الذي لا يُبالي بنفسه، ولا يُرائي أبناء جنسه، فكان على كثيرٍ منها، بل كان على أحوالٍ غريبة، ونوافلَ شاقة على النفوس صعبة، وكلامُه في رسائله مشحون بما يدلُّ على ذلك.

وقد نالَ رضي الله عنه من الله تعالى بهذه الرواتب الحظَّ الأوفر، والنصيبَ الأكبر، ولا يزالُ يتقرَّبُ إليه تعالى بها وبغيرها حتى اجتباه، ولحضرته بمنِّه حباه، فكان آيةً في المعرفة بالله، والعمل، والكرم، والحلم، والصبر، والتأنّي، والعفة، والخشية، والهيبة، والسكينة، والتواضع، والحياء، والجود، والسخاء، والزهد، والورع، والرحمة، والتوكل، والشفقة، والقناعة، والاكتفاء بعلم الله، والأنس والاطمئنان بالله، والسكون إليه في جميع الأحوال، والعشق والشوق، والعزم، والقريحة، والنية الصالحة والمحبة، والظنّ الحسن، والصدق، والهمة العالية، وسعة القدر، والأخلاق الكريمة، والمحاسن العظيمة والأحوال السنية، والمقامات السمية، والمواهب اللدنية، والمواجيد الربانية، صاحب محو وفناء، وصحو وبقاء، وغيبة في مولاه، وشهود لما به تولّاه، وقد أغرق في بحر الحقيقة، وأُوتي الجذبَ حقيقة، وأُعطي القوّة والتمكين، والرسوخ في المعرفة واليقين، وسلك من السُّنَّة منهاجاً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وشربَ من الخمرة الأزلية صفواً، وورد منهلها الأروى، فقويت أنوارُه، وفاضت في الآفاق بيِّناته وأسراره، وسقى الجمَّ[٢] الغفير من شرابه كؤوساً، وملأ قلوبَهم وأرواحهم أقماراً وشموساً، فتوالت بذلك إرادته، ودامت لديهم مناولته، ومدّوا منها على الأبد، بمدد جسيم: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] وهذا مما ليس شأنُه أن تُقام عليه البراهين والبيّنات، لا سيما عند أهل الاعتقادات الكاملة والنِّيات الصالحات.

على أن مآثرَ هذا السيد الجليل قد بلغت مبلغَ التواتر القطعي، وخصوصاً عند هذه الطائفة الشريفة المنيفة المُنتشرة انتشارَ الشمس في الآفاق. وبالجملة فظاهر هذا السيد كغيره من العارفين رضي الله عنهم كالناس في أحوال بشريَّتهم من الأكلِ، والشرب، والنوم، والنكاح، والبيع، والشراء، والتسلف، والتعجب، والضحك ممّا يضحك الناسُ منه، والسهو، والنسيان، والسؤال عما لا يدرونه، والضعف والمرض، والاحتياج، والافتقار، والعجز، وغير ذلك من أوصاف

---

(١) الملامتيّة: من مذاهب الصوفية. سُئل عنه حمدون فقال: هو خوف القدرية ورجاء المرجئة. (الرسالة القشيرية ص٤٢٦).

(٢) الجَمُّ الغفير: الجمع الكثير (ج) جمام وجموم.

البشرية التي لا تُناقض العبودية، بل بها وفيها كمالُها، وباطنُهم وحقيقتهم، واللَّهِ ليسوا كالناس، وإن وافقوهم في الصورة، فمشاهدتهم لم تكن لهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة، فهم كالإكسير الذي يقلبُ الأعيان حقيقةً لا محالة، وهم كلمةُ الله التي لا حصرَ لها، ولا نفاد، فلا تُحصى شمائلُهم، ولا تنتهى فضائلهم، حتى قال الشيخ أبو العباس المُرسي رضي الله عنه: لو كُشف عن حقيقةِ الولي لعُبِدَ، وحسب من لم يصل إلى مقامهم، ولا خرجَ من سجن نفسه، ولا سلكَ سبيلَ هذا الطريق، أن يسلّمها لأهلها، ويحسم مادةَ الإنكار من أصلها، ويدخل في حيّز «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخِر فليقلْ خيراً أو فليصمت**»[١]، إذ «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[٢] فينتفعُ بالتسليم كما ينتفع بالإيمان بالغيب، وأمّا من أراد تفقهاً، فقد دخل حتماً في قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩] ومبنى طريقِ القوم رضي الله عنهم كلِّه على التسليم والانقياد، أو تصميم الإيمان، والاعتقاد لا على الإنكار والانتقاد. فقد قال الشيخ زرُّوق رضي الله عنه: مبنى الفقهِ على البحث والتحقيق، ومبنى التصوف على التسليم والتصديق، وبالله التوفيق.

وأما **عبادته** رضي الله عنه: فقد كانت على منهاج الشرع، من غيرِ تعمُّقٍ ولا فتور متوسطة، ليست بالإفراط ولا بالتفريط، لا رخصةَ عنده في مؤكَّد السنن، والرغائب في النظافة والطهارة، والتلاوة، والاستخارة، والزيارة، وصلاة الضحى، وتحيّة المسجد، وقيام سويعة قبل الفجر، ويوقظ أهلَ داره كلَّهم في ذلك الوقت، وعيادة المرضى، وتَشييع الجنائز، وإطعام الطعام للصادر والوارد، حتى كان نادرةَ الزمان، شائعٌ خبرُه، ذائعٌ في جميع الأوطان، والصدقة كلَّ يومٍ وكلَّ ليلة، حتى كادت تبلغ عنده حدَّ الفرائض، أمرٌ مخصوصٌ فوق ما هو عليه من إطعامِ الطعام للخاص والعام، والمسارعة للفضائل في كلِّ وقت، والتواضع لله مع كلِّ خلقٍ، حتى مع من لا خَلَاق له، يعظمه، ويكرمه، ويواسيه، ويُجالسه، ويُباششه فوق ما نرفع ونصنع نحن مع العلماء والصالحين، لكن من ذاق عرف، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠] فليس من اطّلع على حقيقة الوجد وعرفها بالعيان والشهود كمن لم يرَ إلا سماءً وأرضاً، ومخلوقاتٍ مختلفات الألوان، والأسماء، والصفات، واللغات، والذوات ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

---

(١) أخرجه البخاري (أدب ٣١، ٨٥)، (رقاق ٢٣)، ومسلم (إيمان ٧٤)، (لقطة ١٤)، وأبو داود (أدب ١٢٣)، والترمذي (قيامة ٥٠)، والموطأ (صفة النبي ٢٢)، وأحمد بن حنبل ٢/ ١٧٤، ٢٦٧، ٤٣٣، ٤/ ٣١، ٥/ ٢٤٧، ٦/ ٦٩، ٣٨٤، ٣٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي (زهد ١١)، وابن ماجه (فتن ١٢)، والموطأ (حسن الخلق ٣)، (كلام ١٧).

ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] لا والله، مع ذلك كان يحبُّ التخشُّنَ في اللباس، والمأكل، والفراش، والجلوس، ويختارُ الصلاة، والجلوس على التراب، ويقول: الجلوسُ على الأرض من غيرِ فراشٍ يُورث الغِنى.

وكان رحمه الله كثيرَ التحفّظ على الاستبراء قولاً وفعلاً، ويحضُّ عليه غاية أكثرَ من كلِّ شيء، ولا يتوضَّأ إلا أن تنقطع عنه بواقي البول بالكلّية، ويطمئنُ قلبُه بذلك، ويقول: من توضأ قبلَ أن يتحقَّقَ بانقطاع بواقي البول لا وضوءَ له، ولا صلاة له، ولا دين له.

وكان يؤكّد على أصحابه المواظبةَ والدأب على الوضوء دائماً، ومهما أحدث، والصلاة عقبه، والدعاء عقب الصلاة، وكان يؤخِّرُ قلنسوته(١) وعمامته في السجود، ويُباشرُ الأرض بجبهته وأنفه، ويرتِّل(٢) القراءة، ويفصلُ بين الفاتحة والسورة قدرَ ما يبلعُ الإنسان ريقه، وكذا بين السُّورة والشروعِ في تكبير الركوع، وكان يُبَسْمِل قبل الفاتحة في الفريضة والنافلة، ويُسِرُّ بها في الفريضة في محلِّ الجهر للوفاق بين الأئمة، كما اختاره الإمام المازري، وغيره. وكان يذكرُ الذِّكرَ الوارد عقب صلاة الفريضة: أستغفر الله ثلاثاً، اللَّهُمَّ، أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعودُ السلام، حيِّنا ربَّنا بالسلام، وأدخلنا دارَ السلام، تباركتَ وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا رادَّ لما قضيت، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ ويقرأ آية الكرسي إلى آخرها، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين مرَّة مجموعةً، ويرفع يديه، ويسألُ الله من فضله الهدايةَ والعافية لجميع العباد.

وكان أحبُّ الأعمالِ والأذكار والعبادات إليه رضي الله عنه الصلاةَ، ويقول: كرَّرنا أعمالاً كثيرةً سنينَ عديدة، وقد وجدنا لسائرها بركةً كبيرة، وبركةُ تكرار الصَّلاة قد وجدناها واللَّهِ تفوقُ بركة كلِّ عملٍ، ولولا ما تعرّض لنا من قول المشايخ الذي هو: من لا شيخ له، فالشيطان شيخه، ومن لا شيخَ له لا قبلةَ له، ومن لا شيخَ له فهو بطّال، إلى غير ذلك، لقلنا: إنها - أي الصلاة - تقومُ مقام الشيخ، وكذلك الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك الهيللة، وكذلك تلاوة القرآن، وغير ذلك من أعمال البرِّ، لأنَّه قُدّس سرّه، كان يرى الدأبَ على العمل مع حضور القلب، وتركَ ما لا يعني بالكلية، والمحافظةَ على الفرائض، والسنن

(١) القَلَنْسُوَةُ: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (ج) قلانس.
(٢) رَتَّلَ الكلام: أحسن تأليفه، وأبانه، وتمهَّل فيه **﴿ورتّل القرآن ترتيلاً﴾**.

يقوم مقامَ الشيخ لمن لا يجده، وأمَّا من وجده فقد قال في شأنه: ما نفعَ القلبَ شيءٌ مثل الزهد في الدنيا، والجلوس بين يدي الأولياء.

وكان يحضُّ على الصلاة غايةً لِمَا رأى فيها من المصافاة والمناجاة، ولكونها محلَّ تنزّل البركات والرحمات، وجامعةً لجميع لعبادات.

وقال قُدّس سرّه: ونرى ـ والله أعلم ـ أنَّ من صلّى الصلاة كاملةَ الشروط والأدب بشرط أن لا يتوضَّأ إلا بعد استبرائه من بوله، حتى لا يبقى أَدنى بواقيه، فإنه يُفتح عليه الفتحُ الكبير الذي لا مثل له ولا نظير، إن شاء الله تعالى.

وكان يقول: اغتنموا الصلاةَ قبل الفوت، بالضعف والكبر، أو الموت، ومن عليه فوائتُ فليقضها، وإلا فسيندم عليها، والحاصل أنها كانت قرَّةَ عينه، ومطمحَ نظره، ومفزعَه في الرخاء والشدَّة، والملاء والوحدة، وأعظمَ الكنوز والذخائر عنده، فلا يَعجزُ عنها، ولا يَكسل، ولا يقنطُ من تكرارها، ولا يملُّ أحضراً أو سفراً، قياماً وقعوداً، صحةً وسقماً، مع كبر سنّه، لأنَّها كيمياء الأدباء التي تقلب الأعيان، وقد قال رسول الله ﷺ: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[١].

وكان قُدّس سرّه يسردُ كتبَ الصوفية رحمهم الله على طبقاتهم أهلِ المجاهدة، والرياضة، والسلوك، وأهل الجذب، والحقائق بدايةً ووسطاً، ونهاية، ويَقتطفُ من بساتينها الأزهار والأنوار، ويَجني منها الفواكهَ والأثمار، ويطالع بعض كتب الفقه كالعبادة، وشرح «الرسالة» وشرحي الشيخ ميارة[٢] الكبير والصغير على «المرشد المعين» لابن عاشر[٣] وشرح «الوغليسية» للشيخ زرّوق، و«طبقات

(١) أخرجه القاضي عياض في (الشفا ١/ ١٢٠).

(٢) ميَّارة (٩٩٩ ـ ١٠٧٢هـ = ١٥٩٠ ـ ١٦٦٢م).

محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، ميارة. فقيه مالكي. من أهل فاس. من كتبه «الإتقان والاحكام في شرح تحفة الحكام» جزآن، و«الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين» فقه ويُعرف بميارة الكبير، تمييزاً عن مختصر له، يسمى «ميارة الصغير» و«تنبيه المغترين على حركة التفرقة بين المسلمين» و«تكميل المنهج للزقاق» أرجوزة، في خزانة الرباط (١٠٤٠د).

الأعلام ٦/ ١١ ـ ١٢، وصفوة من انتشر ١٤٠، والتيمورية ٣/ ٢٩٧، وسلوة الأنفاس ١/ ١٦٥ ـ ١٦٧، والأزهرية ٢/ ٣٠٤، وسركيس ١٨٢١، وإيضاح المكنون ٣/ ٤٤٥.

(٣) ابن عاشر (٩٩٠ ـ ١٠٤٠هـ = ١٥٨٢ ـ ١٦٣١م).

عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، فقيه، له نظم. أندلسي الأصل. نشأ وتوفي بفاس، عن ٥٠ عاماً. له تصانيف، منها «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» منظومة في فقه المالكية، وأرجوزة في «عمل الربع المجيب» و«تنبيه الخلان» في =

الأولياء»[١] رضي الله عنهم للشيخ الشعراني، و«طبقات العلماء» رضي الله عنهم للشيخ سيدي أحمد بابا السوداني[٢]، و«المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزّى» وغيرهم، وكتب التفسير كالإمام ابن عطية[٣]، والإمام الخازن[٤]، وذي

= علم رسم القرآن. و«فتح المنان» في شرح مورد الظمآن، في رسم القرآن، و«شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح».
الأعلام ٤/ ١٧٥، واليواقيت الثمينة ٢٣٠، وصفوة من انتشر ٥٩، وخلاصة الأثر ٣/ ٩٦، وفهرس المؤلفين ١٧٥، والكتبخانة ٧/ ٣٤١، وسلوة الأنفاس ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦.

(١) هو «لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار» في مجلد للشيخ أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ قال: لخصت طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله تعالى إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر. فرغ منه في الخامس عشر من شهر رجب سنة ٩٥٢ وذكر فيه من الصحابة أربعة وعشرين نفساً، ومن التابعين خمسة وتسعين ومن النساء سبع عشرة، ومن المشايخ مائتين، ومن مشايخ عصره ستاً وثمانين فجملة ما ذكره أربعمائة واثنان وعشرون نفساً أراد به تعريف طريق القوم لا غير، ثم ذيله بكتاب مختصر ذكر فيه جماعة من مشايخ مصر في عصره. (كشف الظنون ١٥٦٧).

(٢) التُّنْبُكْتي (٩٦٣ ـ ١٠٣٦هـ = ١٥٥٦ ـ ١٦٢٧م).
أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، مؤرخ من أهل تنبكت في إفريقية الغربية. أصله من صنهاجة من بيت علم وصلاح، وكان عالماً بالحديث والفقه. وعارض احتلال المراكشيين لبلدته «تنبكت» فقبض عليه وعلى أفراد أسرته واقتيد إلى مراكش سنة ١٠٠٢هـ وضاع منه في هذا الحادث ١٦٠٠مجلد، وسقط عن ظهر جمل في أثناء رحلته فكسرت ساقه، وظل معتقلاً إلى سنة ١٠٠٤ وأطلق، فأقام بمراكش إلى سنة ١٠١٤ وأذن له بالعودة إلى وطنه، وتوفي في تنبكت. وكان شديداً في الحق لا يراعي أحداً. له تصانيف منها «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» في تراجم المالكية، و«كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» تراجم، وغير ذلك.
الأعلام ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وصفوة من انتشر ٥٢، والمحبي ١/ ١٧٠، وفهرس الفهارس ١/ ٧٦، وآداب اللغة ٣/ ٣٢١، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٥٨.

(٣) ابن عطية (٤٨١ ـ ٥٤٢هـ = ١٠٨٨ ـ ١١٤٨م).
عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد. مفسر، فقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة. له «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» في عشر مجلدات، و«برنامج» في ذكر مرّوياته وأسماء شيوخه.
وقيل في تاريخ وفاته: سنة ٥٤١ و٥٤٦، الأعلام ٣/ ٢٨٢، ونفح الطيب ١/ ٥٩٣، وقضاة الأندلس ١٠٩، وبغية الملتمس ٣٧٦، والمعجم لابن الأبار ٢٥٩، وكشف الظنون ٤٣٩ و١٦١٣، وبغية الوعاة ٢٩٥، والكتبخانة ١/ ٢٠٨.

(٤) الخازن (٦٧٨ ـ ٧٤١هـ = ١٢٨٠ ـ ١٣٤١م).
علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن. عالم بالتفسير والحديث، =

الجلالين[1]، ولم يكن يستوعب كتاباً بالمطالعة من أوله إلى آخره، سوى «صحيح الإمام البخاري» رضي الله عنه، و«الشفا» للقاضي عياض رضي الله عنه.

وكان يُحبُّ التجريد، ويأمر به، ويلبسُ المرقعة ويقول: التجريد من الدنيا ظاهراً وباطناً، يصلح لجميع الناس، وعندي ما من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا كان متجرِّداً من الدنيا، ومُحذِّراً مُتَّبعيه منها.

قال: والتجرُّدُ عند أهله كالإكسير عند أهله، فلا يُنكره إلا من جهله، ولم يعرف قدره.

أمَّا حَلْقةُ الذكر التي شاع أمرها وذاع عند كافة أصحابه بأرضِ المشرق، وأرضِ المغرب، والصحراء، وسُوس الأقصى والأدنى في المدن، والقرى والمداشر، والخيام في المساجد، والزوايا، والديار ليلاً ونهاراً بالجهر والقيام والقعود، والإجلال والتعظيم جماعةً بلسانٍ واحد، وميلةٍ واحدةٍ بالإشباع والتوسط والقصر في الهيللة، واسم الجلالة باللِّسان والصدر على حسب المراتب، وتشبيك الأيدي في القيام وفي الجلوس كحالة التشهد، إلى غير ذلك من آدابها، وإنشاد الأبيات بالمعاني الرقيقة، وتغزلات الحقيقة التي اصطلح الصوفية رضي الله عنهم عليها، فهي دأبُه وديدنُه، ومنها كان فتحُه واستمداده، وعليها دار مذهبه، ومشربه، والمبتدئ والمتوسط والمنتهي وطالب التبرّك وذو المحبة كلّهم فيها سواء، كالصلاة، وكلٌّ واحدٍ يجني ثمرةَ ذكره بحسب مكانته من ربِّه وقدره، إلا النساء فلا يحبُّ حضورهن، بل ولا قربهن للرجال، نعم إن كنَّ وحدهن بموضع خلوي بحيث لم تُسمع لهن أصوات فيحبُّهنَّ يذكرن حينئذٍ بجماعةٍ على لسانٍ واحدٍ جهراً، كحال حلقةِ الذكر عنده، وبالله التوفيق.

= من فقهاء الشافعية بغدادي الأصل، نسبته إلى «شيحة» من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السمياطية فيها. وتوفي بحلب. له تصانيف منها «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير يُعرف بتفسير الخازن، و«عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام» في فروع الشافعية، و«مقبول المنقول» في الحديث.
الأعلام ٥/ ٥، والدرر الكامنة ٣/ ٩٧، وبرنامج المكتبة العبدلية ١٣٥، ومعجم المطبوعات ٨٠٩.

(١) كتاب «تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الإسراء» للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤ ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ كتب تتمة على نمطه بتعبير وجيز وهو مع كونه صغير الحجم كبير المعنى لأنه لب لباب التفاسير، وكان المحلي لم يفسر الفاتحة وفسر السيوطي تفسيراً مناسباً وتكملته من غير مباينة. ولم يتكلم الشيخان على تفسير البسملة فتكلم عليها بأقل ما ينبغي من الكلام بعض العلماء من زبيد وكتب ذلك حاشية بالهامش. (كشف الظنون ٤٤٥).

تخرج على يده رضي الله عنه خلقٌ كثير، وانتفع به من عباد الله جمٌّ غفير.

حدّثنا شيخنا الفقيه العلامة أبو حفص سيدي الحاج عمر بن سودة المُريّ رحمه الله أنه ما تُوفّي الشيخ مولانا العربي حتى خلف نحو الأربعين ألفَ تلميذ، كلُّهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه، انتهى كلام الشيخ سيدي أحمد بن الخياط رضي الله عنه.

وأمّا علومه ومقالاته في الطريق وحكمه، ووصاياه التي انقادتْ وخضعت لها أهلُ الحقِّ والتحقيق، فرسائلُه المباركة الجليلة كفيلةٌ بها، ومُشتملةٌ على قدرٍ وافر منها، ونفعُ الوجود بها لا يَشكُّ فيه اثنان، ولا يَمتري فيه أهل سلامة الأذهان، فمن أرادها فليراجعْها، وقد طُبعت بالمطبعة الفاسية، فلتطلب حيث توجد، وبالله التوفيق.

وأما الشريف مولانا علي الجمل العمراني الحسني[1] **رضي الله عنه** أستاذه فكان من الشرفاء الأعيان، والعلماء أهل العرفان، ومقامه بفاس، وله ضريحٌ يزار بالرُّميلة، وعليه قبّةٌ، وضريحه مشهور، والدعاء عنده مجرَّبٌ لدفع المُلمّات، ونزول البليات.

وأخذ طريقته رضي الله عنه عن أستاذه العالم العلامة الشيخ سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي رضي الله عنه، وهو أخذ عن والده حسًّا ومعنًى سيدي أحمد بن عبد الله، صاحبِ المخيفة المشهور عند أهل الغرب بالغوث.

وكان رضي الله عنه مجابَ الدعوة، قطباً كاملاً، مهاباً في القلوب، أنوارُه فيّاضة.

توفي رحمه الله بفاس، ودفن بمدافن أسلافه السّادات الفاسية رضي الله عنهم.

وهو أخذ عن أستاذه المشار إليه بالبَنان[2] مولانا قاسم الخصاصي، دفين باب الفتوح من حضرة فاس حرسها الله من كل باس، وهو عن أستاذه الكامل، الغوث الشامل، مولانا محمد بن عبد الله الفاسي رضي الله عنه، ونفعنا به، وهو عن القطب الرباني، والعارف الصمداني، الشيخ سيدي أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، كان رضي الله عنه بحراً في العلوم الظاهرة، وله تآليفُ عديدةٌ، ومناقبُ حميدة، وكان سُمّي عند أهل فاس بصاحبِ العلم الأعلى، شهرتُه بالغرب تُغني عن تعريفه، وهو اقتدى، وصحب شيخَه ومربيه سيدي يوسفَ الفاسي رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٤١.

(٢) البَنانُ: الأصابع، وأطرافها، واحدتها بنانة.

وكل هؤلاء من السادات الفاسية ومدافنهم بباب الفتوح من أبواب فاس، وشهرتهم بالغرب كشهرة السادات الوفائية بمصر، اللهم انفعني وأهلَ محبَّتي بحبهم.

وأخذ سيدي يوسف عن أستاذه القطب المحبوب مولانا عبد الرحمن المجذوب[١]، دفين مكناسة الزيتون، ومقامُه بها يُزار. وكان رضي الله عنه من أهلِ الحقائق المتمكّنين، ومن السادات أربابِ الدوائر المتصرّفين، وله لسانٌ عالٍ في كلام القوم، فمن قوله رضي الله عنه:

النــــاسُ زارتْ مــحــمــد   وأنــا سكــن لــي فــي قــلــبــي

وكلامه رضي الله عنه كلُّه حقائق، أمدَّنا الله من أنواره، ونفعنا بأسراره.

وهو أخذ عن شريف صنهاجة المكنّى بالدوّار سيدي علي الصنهاجي، دفين باب الفتوح، كان رضي الله عنه من أكابر العارفين، ومن أهل التمكين، وقبره بفاس، ليستغاث به، ومن الأماكن المجربة لإجابة الدعاء، اللهم إنّا نتوسَّلُ به إليك في قضاءِ حوائجنا، ودفعِ مُلمَّاتنا يا كريم.

وهو أخذ عن شيخِ الرجال، وقطب الأنجاب والأبدال أبي إسحاق سيدي إبراهيم الفحّام[٢]، تلميذِ البحر الدفُّوق سيدي أحمد زرّوق رضي الله عنهم أجمعين، اللهم إنّا نتوسَّلُ بهم إليك أن تجعلنا من الذين أنعمتَ عليهم، وعطّفْ علينا قلبَ مولانا رسولِ الله ﷺ.

وأخذ سيدي إبراهيم عن شيخه سيدي زرّوق، عن سيدي أبي العباس الحضرمي، عن سيدي أبي الفضل يحيى الفوائي القادري، عن سيدي علي وفا، عن والده سيدي محمد وفا، عن سيدي داود بن ماخلا، عن سيدي تاج الدين بن عطاء الله، عن أبي العباس المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي قطب الدائرة والعدد، عن شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن الزيات، عن سيدي تقي الدين الفقير، عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نور الدين، عن سيدي تاج الدين، عن سيدي شمس الدين، عن سيدي إبراهيم البصري، عن أبي القاسم أحمد بن مروان، عن القطب سعيد، عن القطب سعد دفين مصر، عن أبي عبد الله محمد فتح السعود، عن القطب الغزواني، عن التابعي سيدي أبي جابر، عن سبط خير البرية ومنبع أسرار هذه الطريقة العلية، الإمام محمد بن الحسن بن الإمام علي كرّم الله وجهه، وابن مولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ وعظم

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٥٣.
(٢) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٩.

وكرم، اللهم أمدّنا، وأحبّتنا، ووالدينا، ومشايخنا، وإخواننا وكافَّةَ المسلمين من أنوارهم القدسية، وأصلح بواطننا بمشاهداتهم الربانية، واجمعنا على بساطِ القرب والمشاهدة، وألحقنا بنسبهم، وحققنا تحققَ أهل المُراقبة والمعرفة بجاه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

مبنى طريقة شيخنا رضي الله عنه وأنها الطريقة المحمدية: اعلم أيُّها الأخُ الناجح أنَّ العارفَ الرباني، والقطبَ الفردَ الهيكل الصمداني، قطبَ الدلالة والإرشاد، نبراس[1] الحقيقة والإسعاد، سلّمَ الحضرة النبوية، المُتمسكَ بالكتاب والشريعة النبوية، شيخَنا وملاذَنا[2] بنى طريقتَه على أربعِ قواعد: ذكرٍ، ومذاكرةٍ، واجتماعٍ، واستماعٍ. وكثيراً ما يُحرّض الإخوان على التَمسّك بآداب أهل العرفان ويدلُّهم على فعل الخيرات، وتركِ العموم، ومصاحبة الإخوان في الله، ومحبّتهم لله في الله، وتطهيرِ الأعراض ممّا في أيدي الناس من الأغراض، والزهدِ وعدم التكلّفِ، ولينِ الجانب، والمحبّة، والتوادد، وغير ذلك من الصفات الحميدة، وناهيك بما وردَ في ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة، والأوامر الشرعية رضي الله عنه وأرضاه وعمنا برضاه آمين.

محاسنه وخلقه في التواضع وكرم الأخلاق: اعلم أيها المشغوف بذكرِ سماع فضائل الصالحين، أنَّ شيخنا ومولانا كريمَ الأخلاق، أقامَهُ الله رحمةً للعباد، فسادَ وشاد، ونصحَ العباد، فهو آيةٌ عظمى أهدتها يدُ العناية الرحمانية إلى العالم، فتلقّاها بالقبول، ودرةٌ ثمينة كبرى، تحلّتْ بها جيادُ أهلِ المعرفة والوصول، حازَ من المعارف أسناها، ونالَ من الفضائل أعلاها وأغلاها، وتمنطق برداء مقامات العبودية السَّنية حتى بلغ مُنْتهاها، تحلّى بأحسن الشمائل، وتجمَّل بأجمل الفضائل، يتواضعُ للزائرين، ويُباسط الحاضرين، ما رأيتُ مثلَه في التواضع، يأمر رضي الله عنه بالانخفاض، وإسقاط المنزلة والجاه خصوصاً لأمّة لا إله إلا الله. ويقول: التواضع صفةُ العارفين، وسرٌّ من أسرار ربِّ العالمين. ويؤيدُ هذا القولَ قولُ مولانا العربي الدرقاوي قُدّس سرّه، لما سألَهُ سائلٌ عن التصوف: ما هو؟ قال: هو إقامةُ شرائع الدين، والقيامُ بخدمة المسلمين، وسلب الإرادة لربِّ العالمين. أو كلام هذا معناه.

ويأمر قُدّس سرّه أصحابَه بالتشبُّه بأهل الله، والاتصاف بالذلِّ والانكسار، والعزَّة لله الواحد القهار.

---

(١) النِّبراسُ: المصباح.
(٢) الملاذُ: الحصن والملجأ.

ومجالسُه قُدّس سرّه لا تخلو من الحِكَم، والمذاكرات، والمواعظ المفيدة، فطوبى لمن حضرَ مجلساً من مجالسه، وسمعَ من مواعظه وكلامِه ونفائسه، رحمه الله تعالى، ومتّعنا برضاه، حتى نلقاه. آمين.

نصائحه التي يُبديها لحضرات الإخوان وأهل المحبة الخالصة: اعلم أيُّها الطالب طريق الوصول، الشائق في محبة الرسول، وآله وصحبه ووارثيهم الفحول، أنَّ شيخَنا كنزَ الأسرار، ومنبعَ الأنوار، نِبراسَ الأولياء، وتاجَ الأصفياء، شيخ الشيوخ، وملاذَ أهل التمكين والرسوخ، كثيراً ما ينصحُ الإخوان وأهلَ المحبَّة بعدم المعاملة بينهم إلا فيما يُرضي الله ورسوله؛ وذلك لدوام المحبَّة وصفاء القلوب، إذ قد تقرَّرَ لدى الساداتِ أنَّ أمورَ المقتضيات الحسّية تعوقُ المريد وتُقهقِره عن موارد المقامات المعنوية، فكثيراً ما يحرّضُ الأصحابَ على التمسُّكِ بهذه الآداب، والعمل بما يوجب التآلف، لدوام المحبَّة والتعارف، ويُؤيد ذلك قولُ أكرمِ الرُّسل الكرام: «**استكثروا من الإخوان فإن لكلٍّ منهم شفاعة**»[(١)].

ويحضُّ تلامذته كثيراً رضي الله عنه بعدمِ الظهور خوفاً من استيلاء النفس على المريد، فإن ذلك من الموانع التي تعطّلُ المَريدَ في طريقه إلى الوصول إلا من قهر نفسه، وتغلّبَ عليها، فذاك لا يغرُّه خفاء ولا ظهور، وهذا نعتُ المريدين، السالكين مسالك أهل اليقين، جعلنا الله منهم، وأمدّنا بمدد شيخنا، وبدرِ هدايتنا، وشمسِ طريقتنا، رضي الله عنه وأرضاه. آمين.

مجاهدات شيخنا رضي الله عنه في بدايته وعكوفه في جانب حضرة الله: اعلم أيُّها المجدُّ المجاهد، السالكُ طريقَ الأماجد، أنَّ شيخنا وسيلةَ الأسرار، ومنبعَ اللطائف والأنوار، جاهدَ في بدايته حتى وصل، ولازمَ الذِّكرَ حتى صار عن روحه وجسده لا ينفصل، أقامَ في طاعة الله مُستجلباً رضا مولاه حتى فَتح عليه، وأقبلتِ الناسُ إليه، وتبرَّكوا بالتنزل بين يديه.

قال قُدّس سرّه: لَمّا كنتُ في زاوية أستاذي وعمدتي وملاذي لاقتني بنتٌ صغيرة، لكنها بالذكر جديرة، قالت لي:

يا شيخ يالّلي ماشي	الدُّنيا ما منها شي
وكلُّ ما فيها لا شي	وغير ربّك ما يبقى شي

بنتٌ صغيرة لكنها في القدر كبيرة، ولعمري إن هذا سرٌّ من الأسرار، ووحيٌ

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٢٤٦٤٢)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ١٣٨).

من الملك القهَّار، وخطابٌ من المتوّج بالأنوار، سيدنا محمد المختار، عليه وآله صلاة الله آناء الليل وأطراف النهار.

فانظر أيُّها المحبُّ السالك إلى فعلِ مالكِ الممالك مع أوليائه السَّالكين أحسنَ المسالك، واقتدِ بهم، وانهجْ على نهجهم تفزْ بالعناية الربَّانية، وتحظَ بأنوارِ خيرِ البرية.

ووصل شيخُنا قُدّس سرّه في مقام المجاهدة منتهاه، حتى تحقَّقت بشاراته، وظهرت كراماته، وشهدتْ له الأعيان بأنه من ذوي الفضل والإحسان، فسبحان المُنعم على أوليائه والمفيضِ على أحبائه بما به تقرُّ العيون.

واعلم أنَّ شيخنا رضي الله عنه الغالب عليه الجمال، فتراه عاكفاً في حضرة ذي الجلال، مستغرقاً في شهود عظمته، تاركاً للتدبير والاختيار، مُسلّماً أموره للواحد القهار؛ فبلغَ أعلى مقامات المقرّبين، ونال درجاتِ العارفين.

وكان رضي الله عنه في بدايته قائماً بشؤون الإخوان، مستغرقاً في حضرة الرحمن، حتى أُشير إليه بالبنان. رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا على أثره، وأماتنا على حبِّه وحبِّ أصحابه وحزبه. آمين.

كراماته رضي الله عنه ومشاهداته وبشاراته: اعلم أيها المحبُّ لسماع الكرامات، الشائقُ في محبّة السادات، أنَّ شيخنا أبا المواهب والأنوار، المتوّج بتاج البهاء والفخار، زمزمَ أسرار الواصلين، وكعبةَ الوافدين كثيراً ما يقول، ويتمثَّلُ بقول الفحول: الاستقامة خيرٌ من ألفِ كرامة. لكن صحَّ عند أهلِ الله أنَّ الولي إذا كملَ، وسلك مسالك الأول، تقعُ على يديه الكرامات، لأمرٍ أراده عالمُ الخفيات، فتقعُ على يديه، وتتحقق الكرامة لديه، فمن ذلك شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، قد تقع على يديه الكرامة، وهو مستغرقٌ في الشهود، سابحٌ في بحر مَدد سيد الوجود.

فمن كراماته رضي الله عنه: قال: أول دخولي الطريق، واندماجي في هذا الفريق رأيتُ كأنّني في داره، وقد نفحتني أنوارُه، فدخلتُ عليه، وجلست بين يديه، فرأيتُ عنده القطب الفاني في الله غوثَ بلادنا الأوّاه سيدي ومولاي فتح الله ـ أمدَّنا الله برضاه ـ لابساً ملابسه المغربية وهي البُرنس[1] والكرزية جالساً بحضرته، فأقبلت عليهما، وسلّمتُ على كليهما، فضمَّني إليه مولاي المشار إليه،

(١) البُرْنُسُ: كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به. وـ: قلنسوة طويلة كان الناس أو النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام. و ـ: رداء ذو كمين يُلبس بعد الاستحمام (ج) برانس.

وأخذني وخرج، فناداه الأستاذ: إلى أين يا مولاي، وهذا ولدي معك؟ فالتفتَ إليه سيدي فتح الله، وقال له: يا سيدي، هذا ولدي؟ فقال له الأستاذ: هو ولدك وكررها ثلاثاً. فالحمد والمنة لله.

ومنها: رأيتُ أنني في الدار، فلاحت الأنوارُ عن سنا برقه الزاهر، فقبَّلتُ يديه، وقلتُ له: يا سيدي، يحبُّ الفقيرُ أن أكونَ في خاطركم. قال: يا ولدي، لا تقول تكون في خاطري، بل يكون الشيخُ في خاطركم.

ومنها: أنني رأيتُ كأنّي في الزَّاوية الشاذلية، وهي على غير هيئتها المعهودة، وبها طنافس[1] ممدودةٌ، وخوان[2] منشرةٌ، وأنوارٌ تبدو للناظرين، وكان ذلك في عيد فِطر[3] المسلمين، فدخلتُ وقلبي ملهوف، وفؤادي لرؤيا الشيخ مشغوف، فأقبلت إليه، فوجدته وحوله الأحباب، وهو يتكلَّمُ في الروح وماهيّتها، والعلوم ومنازلاتها، والأسرار ومحتوياتها، فأمدَّني بعطفه عليَّ، ونظرَ إليَّ نظرةَ الأبِ الشفوق، فحمدتُ الله، وأثنيت عليه.

ومنها: أنني رأيت أنَّني في داره، وهو جالسٌ مكانه، فقلت له: يا سيدي، جاء الفقير مستأذناً في الرَّحيل إلى بلاد الغرب، فأذنَ لي، وقال لي: سلّم لي على عربيٍّ درقاوي وقته. فقلت: يا سيدي، ومن هو؟ وقد فهمت المقصود. قال لي: أنت عارف، فحمدت الله، وعلمتُ القصدَ والنيّة، وفهمت مراده، والذي أخبرني به هو مولانا الشيخ فتح الله البَنَّاني رضي الله عنهما.

ومنها: ما أخبرني به أخونا في الله، ومحبُّنا من أجله مولاي السيد محمد عبد الحميد الحسيني قال لي: رأيتُ أنَّني دخلتُ إلى مسجدٍ واسعٍ عظيم، وقد فُرشتْ أرضُه بالبسط النفيسة، ورأيتُ أستاذنا ومولانا لابساً تاجاً فوق رأسه، فقرَّبني إليه، وأجلسني بين يديه، وسمعتُ قائلاً يقول: تهيؤوا يا كرام لحضور خيرِ الأنام، كيما يُصلّي بكم إمام، وكان الجمعُ قد زاد، وكثرت الأولياء والعباد، وبعد تمام الصلاة قلتُ للحاضرين: من صلى بنا إمام؟ قيل: هو شيخنا الهمام، وقلت: ومن تعني به؟ قال: الشيخ العقاد. فسُررتُ، وزادتِ الأمداد، وأيقنت بأنه هو حقًّا الإمام، وقائد الزمام، اللهم احشرنا في زمرته، واجعلنا من حزبه وأصحابه، وحقّق نسبتنا إليه، بجاه النبيِّ عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الطنافس: (ج) الطِّنْفَسَة والطُّنْفُسَةُ والطِّنْفِسَةُ: البساط.

(٢) الخُوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل فإذا وضع عليه الطعام فهو مائدة (ج) أخونةٌ وخُونٌ.

(٣) عيدُ الفطر: العيد الذي يعقب شهر رمضان.

ومنها: ما أخبرني به بعضُ الإخوان أصلحَ اللَّهُ لي ولهم الشأن، أنه رأي مولانا الأستاذَ فوق جبلٍ عالٍ، جالساً في أعلاه، غارقاً في حضرة الله، وسيدي الحاج محمد محسن صالح تحت هذا الجبل، قائماً في خدمته.

هذا ما شوهد في عالم الأرواح، وأمَّا ما شُوهد في عالم الأشباح فلا يحتاجُ إلى دليلٍ، ويكفينا ما هو مُشاهدٌ من إشفاء المرضى، وقضاء حوائج المتعسّرين، كما هو الحسّ المشاهد.

فمن كراماته رضي الله عنه وأرضاه قضاءُ مصالح الإخوان، وردعُ أهل الخذلان، بإقامة الدَّليلِ والبرهان، وكشف ما في خواطر الإخوان.

حدّثني أحد المحبّين في الله، الواصلين على يد هذا القطبِ الأوّاه، أنَّه تعسرت عليه أمورٌ أشغلت فكره ولبَّه، فجاء إلى طندتا حيث مقرّ الأستاذ، وزار السيد أحمد البدوي رضي الله عنه، وولّى خارجاً لزيارة الأستاذ، فلم يخرج من المقام إلّا والأستاذ أمامه، فأقبلَ إليه وقال له: يا سيدي، الدعاء! بعد أن قبَّل يديه، قال له: حاجتُكَ مَقضية، اذهب من حيث أتيت. قال: فذهبت، وتعجّبتُ مما حصل من قضاء حاجتي في الحال، ومن كون الأستاذ أَتاني في المقام الأَحمدي، ولم أَعهدْه يخرج من داره منذ نيّف وعشرين سنة، والأولياءُ بأرواحهم حيث شاؤوا، فسبحان من قرّبه إليه، وأنعمَ عليه، اللهم إنَّا نتوسَّل به إليك في دفع المُلمات، وتفريج الكُربات، والتحقُّق على آثاره. آمين يا رب العالمين.

وصاياه الجامعة وحكمه النافعة وكلامه في طريق أهل الله: اعلم أيّها المُريد السالك، إن رمتَ الوصولَ إلى مَالك الممالك، فاقتدِ بطريق أهلِ الله، وتأدّبْ بآدابهم، واعمل بنصائحهم، تفزْ بعناية الله، وأَصغِ بقلبك إلى ما أُمليه عليك من كلام الأستاذ، ونصائحه، ووصاياه، وكلامه في طريق الخصوصية، لتكون من أهل هذه الطريقة السنية، أيَّدَ الله دولتها، وأعلى شأنها وكلمتَها، بوجودِ الأعيان المغترفين من بحر سيد الأكوان، قال شيخنا رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد، فإلى حضرات إخواننا في الله تعالى بمصر، السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته. إخواني:

خلقَ الله العالَم، وأعطاهم قوَّةَ الفكرِ والنظر، ليتأمَّلوا ويتبصَّروا فيما يُوصلهم لسعادة الدارين، ولَمّا كانوا كثيري الخطأ في النَّظر، أرسلَ إليهم الرسل، وأنزل

عليهم الكُتب، حتى يتَّضِحَ الرُّشدُ[1] من الغيِّ[2]، فنظرَ كلٌّ من صفت مِرآةُ بصيرته في تلك الكتب. ولم يألُ جهداً حتى وصلَ إلى ضالَّته المنشودة، وغايته المطلوبة، الطريقةِ التي لو سلكها الشقيُّ لظهرت عليه أنوار السعادة. فالطريقةُ مأخوذةٌ من الحضرة الإلهية بواسطة الذات المحمدية، فليسَ الطريقُ طريقي، ولا طريقَ غيري، وإنَّما هو وضعٌ إلهي، أُنزل على سيد الخلقِ، وتناقلَه عنه أصحابُه، ثم من بعدهم إلى أن وصل إلينا محفوظاً من أيدي العابثين، ومن إلحاد المُبطلين الضالين. وبما أن أسلافنا ومشايخنا رضي الله عنهم، ما وصلوا إلى ما وصلوا إلا بالتمسُّكِ بأوثق الأسباب، والمحافظةِ على ما جاء به من الآداب، ولم يُبالوا بتقديم ولا تأخير، فكان كبيرُهم يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يرى لنفسه ميزةً على الصغير، وصغيرُهم يحترم ويجلُّ الكبير. بذلك سادوا، وحازووا مُنتهى الفخار والكمال. هذا هو طريقُ القوم، كانوا منزَّهين عن الأغراض، مُنزَّهين عن الحقدِ، والحسد، والغيبة، والنميمة.

إخواني: ظهرَ أقوامٌ ينتسبون إلى الطريق، وتقَوَّلوا فيه، وزادوا ونقصوا، وبدَّلوا من معالمه، فليسوا من أهل الطريق. والطريق بريءٌ منهم. سمعنا بمن يدّعي أنه رئيس، أو مفتشٌ، أو غير ذلك من الدعاوى الباطلة، وبمن يطوفُ البلاد ويجوبها باسم الإخوان الشاذلية، ويتجوَّلُ في أنحائها مُدَّعياً أنه بذلك مأمور منَّا ـ الله حسبهم، وأسألُ الله أن يردَّ عنَّا شرَّهم، ويجعل كيدَهم في نحورهم، ويعضدَ هذه الدعوى ـ وبأنّه تحصّل منَّا على إذن، كلا نحن لا نَملكُ هذا الإذن، ولا نعرفه؛ لأنَّه مخالفٌ لآدابنا، فكلُّ من ادَّعى أنه اختصَّ بمزيةٍ من المزايا فلا يُقبل قولُه، إلا إذا أَبرز إذناً منَّا كتابياً، مع العلم بأنَّ أكبرَ المزايا التي اختصَّ بها أهلُ هذا الطريق هو الكمال والأدب، والتخلّق بخُلق المصطفى ﷺ، والتباعدُ عن مواطن التُّهم. صاحبُ الطريق لا يتَّهِمُ إلا نفسه، ولا يرى العيبَ في أخيه أبداً، وإن بلغه شيءٌ عنه يستره عليه، ولا يشيع السوءَ على غيره حقاً كان أو باطلاً.

إخواني: ارتدعوا، تيقَّظوا، أتنتظرون منّي أن أصرّح لكم بأنكم مُحاربون للطريق وأهله، وأنّكم سجّلتم على أنفسكم عاراً بارتكابكم أموراً في الطريق مُنكرةً؟ لو سطّرتُ لضاق الصدر بها ذرعاً.

إخواني: اقبلوا نصيحتي، احذروا الانقسام، واخشوا عاقبتَه، وكونوا إخواناً

---

(١) الرُّشْدُ: نقيض الغيّ والضلال. أو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.
(٢) الغَيُّ: الضلال.

مُتحابّين مُتساندين، يحبُّ كلٌّ منكم لأخيه ما يُحبُّه لنفسه، وليكنْ أمرُكم بينكم شورى، وأسألُ الله من فضله أن يُصلحَ أحوالنا وأحوالكم، ويهدينا وإيّاكم إلى ما فيه رُشدنا، ويوفّقنا وإياكم لما يحبُّه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله.

القصائد التي مُدح بها شيخنا رضي الله عنه من الأحباب: اعلم أيُّها الأخ النافع، المستلذّ السامع بمناقب أهل الله، أنَّ شيخنا وأستاذنا حجَّةَ العارفين، وقدوة الواصلين، زمزمَ الأسرار، ومنبعَ الأنوار، لا يلتفتُ ولا يهتمُّ بمن مدحه بالقصائد أو باللسان، لاستغراقه في حضرة المنان، ولِما قد وردَ أن الكُمَّلَ من أولياء الله لا يُبالون بمن مدحهم أو ذمَّهم، فهم مع الله في كلِّ نَفَسٍ ولمحةٍ وطرفة، لا يشهدون سواه لكمال استغراقهم في حضرة شهوده، وكثيراً ما أرى منه ـ أمدَّنا الله بإمداداته، وسقانا من فيوضاته آمين ـ عدمَ ميله بمن يمدحه، وما رأيته يلتفتُ إلى ذلك لفنائه فيما هنالك، لا يرى لنفسه منزلةً ولا قدراً، ومع ذلك فالإخوان في حبه هائمون، وفي مدده يَجولون، ولسانُ حالهم يتغزَّلُ بالقصائد والألحان، فينظموها كما الجواهر الحسان، فمن ذلك قولُ بعض السادة الإخوان، أصلحَ الله لي ولهم الشأن:

إلى كعبةِ الآمالِ هامتْ مطيَّتي ... وفي رَحْلها قلبي وحسنُ طويَّتي[1]
فقلتُ لها روحي وروحي زمامُها ... وحيٌّ بذاك الحيِّ حيِّ التحيَّةِ
محمد العقاد شيخي وسيدي ... ونوري وأُستاذي وقطبُ الأوينةِ
هلال على وادي اليقين ضياؤه ... وشمسٌ على روضِ التُّقى والحقيقةِ
عليه سلامُ الله ما خطَّ كاتبٌ ... وما زيَّنَ القِرطاسَ درُّ اليراعةِ[2]

ومن ذلك قولُنا، وقد جادتِ القريحة بهذه الأبيات وهي تمثِّلُ أولَ ملاقاتي له، ورأيت منه ما لا تُنكره العين:

أما والمَشْعَرَيْنِ وبيتِ ربّي ... وربِّ البيتِ والسَّبعِ المثاني[3]
لقد جادَ الزَّمانُ فليتَ شِعري ... إذا جادَ الزَّمانُ بكلِّ آنِ
وقد سالتْ دُموعي مُهيجات ... بيوم تواصلي إذ كنتُ دانِ

---

(١) المطية: الدابة يُركب ظهرها (ج) مطايا ومطيّ.
الطَّوِيَّةُ: الضمير ينطوي عليه الإنسان (ج) طوايا.
(٢) القِرطاسُ: الصحيفة التي يكتب فيها (ج) قراطيس.
اليراعةُ: القلم الذي يُتخد من القصب.
(٣) المشعر: جبل في آخر المزدلفة.
والمثاني من القرآن: الآيات تُتلى وتُكرَّر: فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني، والقرآن الكريم كله.

وجاذبني إليه وقال أهلاً وأروى مُهجتي فغدوتُ فان
أسيفَ الله يا عقاد كنْ لي فقد ضاقَ الزَّمانُ وما والاني
وأجذبني لأوجِ القُدسِ جَذْباً فمثلُكَ ذو عوانٍ وامتنان
ألا يا خيرَ داعٍ نحو ربِّي لقد نلنا بصحبتِكَ التَّهاني
سَلوني عن إمامي بل وذُخري كريم الأصل حامي الخافقين
هو القطبُ الذي قد نالَ عزًّا نبيلٌ سيِّدٌ في الله فان
هو الأستاذُ والشيخُ المربّي هو الشَّهم الغيورُ أبو المعاني

غيره:

مريدَ الشاذلي إنْ رمتَ وصلاً فبادرْ للطريق تَر حلاه
فهذا الشاذلي أتانا نوراً بدا في الكونِ آهٍ لو تَراه
فبالروح افتديه وآت شوقاً فيا عزًّا لمن يدخل حماه
وتلك طريقة الفاسيِّ حقًّا ففي كلِّ البقاعِ تراه يا هو
وللعقاد حقًّا سرٌّ فيها فأشرْ بالسعود يا من تراه
يوصّلُ كلَّ من يأتيه حالاً ويَنكشفُ الحجابُ لمن أتاه
فإنَّا بالوصولِ إليه همنا وغبنا حينَ غبنا عن سِواه
ترانا إن ذكرنا نحن جمعاً من الأَنوارِ شاهدنا حلاه
فمنَّا من يرى الأنوارَ جهراً فيحظى بالنَّعيم فيا مُناه
ومنَّا من بكأسِ الحبِّ أضحى له نورٌ عجيبٌ لو تراه
ومنَّا من يغيبُ عن العيون وهذا حالُ من يدخل حماه
فإن رمتَ السَّعادةَ فاتَّبعه وقاطعْ كلَّ من تهوى سواه

غيره:

أبداً تحنُّ إليكم الأَرواحُ وحماكُمُ للقاصدين مُباحُ
وعلى يديكم يا سراجَ الأتقيا فتحاً قريباً يَفتحُ الفتَّاحُ
ومُريدُكم قد خصَّ أشرف رتبةٍ وشَذاكم فوقَ العُلا فيَّاحُ
ولكم حديثٌ في البقاع تَواترتْ أخبارُه يَزهو مساً وصباحُ
يا سادةً حازوا الفضائلَ كلَّها يا نسلَ طه يا غذا الأرواح
ما الفضلُ يا عقاد إلا بحيكم ولديكم الإسعادُ والإمناحُ
اللَّهُ خصَّكَ بالمكارم والتُّقى والنورُ يعلو من سناك مباحُ
إن شاهدتْ عيناك طلعةَ حُسنِهِ لغدوتَ مَسروراً وفيك رباحُ

هـذا طـريـقُ الـقـوم فـاقـصـدْ حـيَّـهـم ... فـطـريـقُـهـم لـلـقـاصـديـن مُـبـاحُ
بـشـيـخـنـا الـعـقـاد تـلـقـى تـكـرُّماً ... قـطـبِ الـطـريـقـة نـورُهـا الـوضَّـاحُ
مـن قـد تـرنَّـمـتِ الأنـام بـذكـره ... الـلَّـهُ يـحـرسـه مـسـا وصـبـاحُ

٦٤

والدي الحاج محمد بن قاسم الكوهن الفاسي
(... ـ ١٣٣٣)

الأستاذ العارف بالله، شيخُ الطريقة، سيدنا ووالدنا المرحوم بكرم الله الحاج محمد بن قاسم بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد الجيلاني الكوهن. ولد رحمه الله بحضرة فاس، ونشأ بها حتى بلغ مبلغ الرجال. وأخذ رضي الله عنه الطريقة، وتربّى في حِجر الأولياء والصلحاء، وورَدَ إلى مصر بقصد الحجِّ، فأقام بها إلى أن توفي.

وتولى مشيخة بني جنسه في القطر المصري، وجلسَ على سجادة الطريقة العيساوية، وأدارَ حلقاتِ الذكر، وعمل الموالد، وأحيا الليالي بذكر الله.

وكان قُدّس سرّه على قدم عظيم من الورع، مُحسناً مُتواضعاً، كريمَ الأخلاق، عالي الهمّة، له تلاميذٌ كثير، وأصحابٌ منتشرون، في بقاع الأرض.

وحجَّ رضي الله عنه أربع عشرة مرة، وزارَ مدينةَ الرّسول عليه الصلاة والسلام، وكان الغالبَ عليه المشيُ في طريقِ الحجِّ مع كبر سنه، ويقول: المشيُ من شرطِ الحجِّ أفضلُ لمن يقدر عليه، وتتوفَّرُ فيه شروطه. أو كلام هذا معناه.

توفي رحمه الله مساء يوم الخميس ثاني شهر شعبان المعظّم سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف، ودُفن صبيحةَ يوم الجمعة قبل الصلاة بالبستان، وقبرُه ثمَّ ظاهرٌ يُزار، أَسكنه اللَّهُ أعالي فراديس الجنان، ومتَّعه بالنظر إلى وجهه في حظيرة قدسه، وغفرَ لنا وله، ولكافة المُسلمين. آمين.

وقبل وفاته رحمه الله تولّى مشيخة السجَّادة الحندوشية، وعمارة حضرة مسجدِ الجيلاني الفاسي، ومسجدِ مولاي العربي السقاط، ومولاي النامولي، وسيدي يُونس المدفون خارج باب النصر، رضي الله عنهم أجمعين.

٦٥

سيدي الشيخ نسيم حلمي الدرمللي[1]
(... ـ ١٣٤٣)

النُّور الساطع، والبرهان القاطع، حجَّة الله في أرضه، الصوفي الجليل، العارفُ بالله، الذاكر الأوَّاه، الدَّالُ على الله بالله لله في الله، أحدُ أركانِ هذه الطريق، وقطبٌ يعتمد عليه في أسرار أهل التحقيق، صاحبُ الكرامات الظاهرة، والمعارفِ الزاهرة، والفتوحاتِ الكثيرة الباهرة، فاتحُ البلدان، ومربّي الإخوان، وموصّلُ السالكين إلى حضرة الرحمن، الزاهد المحقِّق الورع المدقّق، أبو المكارم والأنوار، والمتحلّي بتاج الفخار سيدي ومولاي الشيخ نسيم بن سيدي عبد الله بن عبد القادر بن سليمان من آل سليمان القبيلة المعروفة بأرض كردفان.

ولد رضي الله عنه بها، وحفظَ القرآن، وورد مصر، ودخلَ الأزهر الشريف، وحضرَ دروس المشايخ، حتى كمل أمرُهُ، ونال أعلى الدرجات، فأخذَ الطريقة ذوقاً وإشراقاً من شيخه ومربّيه أبو الفيض سيدي محمود الوفائي قُدّس سرّه، وبشَّره ببشارات، وأمدَّه بسائر الإمدادات، وقد تحقَّق ما بشَّره به، وظهرت على يديه عجائبُ وغرائب.

وكان رضي الله عنه من أكابر الرِّجال الرَّاسخين، ومن الأقطابِ العارفين المعدودين، ومن أهل الوجدان والتمكين، لا يستطيعُ الناظر إليه تحقيق النَّظرِ لما علاه من أنوارِ خيرِ البشر.

ساح رضي الله عنه في البلاد، ونشرَ الطريقة بين العباد، وأيَّده الله بالفتوح، فاشتهرت الطريقة على يديه.

كان رضي الله عنه إذا سارَ تلحظُه الأعين بالإجلال أينما سار، وكانت تنزل العلماءُ بساحته مُلتمسين من بركاته ونفحاته.

وكان رضي الله عنه نظرُه إكسير، ومدده كثير، له تأثيرٌ يَجلبُ المُريد بنظراته، ويدنيه لا بالكلام والدليل بل بإشاراته، والسببُ الأقوى في اندماجي في سلك هذا الطريق، إنّما هي نظرةٌ من نظراته، وعطفةٌ من عطفاته، وهو أوَّلُ من صحبت من الأشياخ، ونلتُ واللّه بصحبته خيراً كثيراً من الحسِّ والمعنى، كما هو الحس مشاهد، فجزاه الله عنّا أَحسنَ الجزاء، حيث أمدَّنا بهذا العطاء، ولقد فُتحت

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص٢٢١.

لي واللَّهِ أبواب القبول، فصرت في مدده أجول حتى منَّ الله عليّ بجزيل النعم.

وأول تأليفي هذه «الطبقات»، وبعد وفاته بقليل من الأوقات، رأيتُه في منامي في حضرة قدسيَّةٍ، وخلوة نورانية، يرتدي ملابسَ بيضاء، وأتى إليَّ هرولةً[١]، وأشارَ إليَّ بإشارةٍ خفية، ففهمت القصدَ والنية، وحمدتُ الله على هذه العطية، وكنتُ قد شرعتُ في درج مناقبه في هذه «الطبقات»، فعلمتُ أنه إذن إلهيٌّ، وعلامة التيسير، فقيَّدتُ ما سطرت، إذ بإذنه قيّدت، ولولا أن جاء الإذن عارياً عن التقييد لقلت: هل من مزيد؟ فالحمدُ لله على هذا التقييد.

كان رضي الله عنه آيةً في التحقيق، مناقبه لا تُحدُّ ولا يقف لها عند حدٍّ، فهو البحر المحيط الزاخر، ومنبعُ السرِّ والمدد الزاهر، ظاهره وباطنه محمديٌّ، وإن شئتَ قلت: نورانياً رحمانياً.

كان رضي الله عنه آيةً في الجمال، يغلب بسطُه على جماله، فتظهر عليه علائمُ أهلِ المحبَّةِ والدلال، مُتَّصفاً بصفات أهل الكمال؛ من التواضع، والذلِّ، والانكسار، والتقشف في الملبس، وتقليل الأكل، ودوام الذكر والفكر.

وكان قد أقامه الله رحمةً للعباد، فكانَ آيةً من آياته العظمى، ارتضعَ من ثدي التربية الربّية إلى أن ارتوى من الحقائق الإلهية، والمعارفِ الغيبية، فصار ركناً شديداً، يأوي إليه كلُّ ذي عقلٍ سديد، تعطَّر بطيب النَّفحات والإمداد، حتى صار من أقطاب الدلالة والإرشاد، فكم أروى قلوب الواردين! وأنعشَ أرواح المريدين! وهذَّب نفوس السالكين! تطهَّرَ بماء اللاهوت[٢] بنعت التخلّي عن هويات الناسوت، فهو نورٌ أشرقَ بين قلوب العارفين، فاستمدَّ منه من استمدَّ، وسعدَ بوصاله من سعد، تفجَّرت من بين أصابعه ينابيعُ الحكم الإلهية.

كانت مُذاكراته رضي الله عنه نورانيةً، لها تأثيرٌ في القلوب فيا سعادة من جلس بين يديه، ويا فوزَ من سعى إليه، وصارَ من المقربين لديه.

وله كرامات وبشاراتٌ مشهورة بين الطائفة الشاذلية قدس الله أنوارهم وأسرارَهم العلية، وحقَّقنا لهم بالتبعية، وإن تتبَّعنا كراماته فلا نحصيها، وما زالت أنواره في القلوب مشرقةً وزاهرة، وذكراه باقية، نفعنا الله بها، وجعلنا على أثره.

توفي رضي الله عنه غرَّة ذي القعدة سنة ألف وثلاث مئة وثلاث وأربعين،

---

(١) الهَرْولةُ: ضربٌ من العَدْو وهو ما بين المشيء والعَدْوِ.

(٢) اللاهوتُ: الألوهية. وأصله لاهٌ، بمعنى إلهٍ؛ زيدت فيه الواو والتاء مبالغةً. و ـ: الله و ـ: الخالق.

وكان يومُ وفاته يوماً مشهوداً، كثر أسفُ الناس عليه، وما عمَّ خبرُ وفاته بين الطائفة إلا وهلعتِ القلوب أسفاً عليه، فرحمه الله رحمة واسعة، ودفن رضي الله عنه بطنطا بمدفن أسيادنا آل العقاد رضي الله عنهم، وله ضريحٌ يُزار، ومقامٌ تحفُّه الأنوار، وعليه قبَّةٌ معقودة، ومقصورةٌ ممدودة، والناسُ يتوافدون إليه، ويتوسَّلون به إلى الله لديه، والحوائجُ عنده مقضية، بعطفةِ خير البريَّة، وقد زرتُه مراراً، وأمدَّني بنفحاته كما أمدَّني بها حال حياته، اللهم إنَّا نسألك بسرِّه لديك الذي منحته، وبلذيذ وصالك الذي به أدنيته وقرّبته، أن تسقينا من بحر حبِّه، وأن تمدَّنا وأحبَّتنا وإخواننا بمدده. آمين آمين آمين.

٦٦

مولانا سيدي محمود نسيم الشاذلي

وارث سرِّ أبيه، لم ينتقل والده رحمه الله حتى وَرِثَ السرَّيْنِ: سرَّ ذاته الشريفة، وسرَّ والده قُدّس سرّه، ونالَ الخلافتين: المعنويةَ والحسية، فصار إمامَ الفريقين، وواحداً من اثنين، فأُشير إليه، وكثرت الأَمْدادُ عليه.

نشأ رضي الله عنه وأرضاه ومتَّعنا برضاه، وأفاضَ علينا من فيوض إمدادته عفيفاً طاهرَ النفس محبًا للعبادة، ورعاً تقياً، صالحاً صادق الأنفاس، متخلِّقاً بالأخلاق الحميدة، وما زالت تعلوه الأنوار، وتنزلُ بساحته الرجال من سائر القرى والأمصار حتى أذنت العناية بانتقال والده قُدّس سرّه العالي إلى دار النعيم، حيثُ العزُّ المقيم، والفوز العظيم، فورثَ شيخُنا رضي الله عنه سرَّه، ومنحه بره، فلوحظَ بالأنوار، وأشرقت عليه أنوارُ والده وأسراره، وجدَّدتْ عليه تلامذةُ والده الطريق؛ لِمَا علموا أنَّه من أهل التحقيق، فزادتِ الخيراتُ عليه، وكثرت الأَمْدادُ لديه، وصارَ من كمَّلِ الرجال، ومن أهلِ الفضل والكمال، ولقد رأيتُه وكانت أول رؤيتي له، فتمثَّلَ لي في شخص والده، ولقد شاهدت منه أسراراً وأحوالاً بهرت عقلي، وقادتني إليه، وسمعتُ من مُذاكراته ما يُبهر العقول في معناه، وكنتُ أسبحُ في بحر مدده قبل ملاقاتي به حتى أكرمني الله بلقائه.

تربّى قُدّس سرّه في حِجر الأولياء بالدَّلال والكمال، وقد فتحَ الله على يديه الطريقَ، وحلَّ مشكلاتِ هذا الفريق.

ولقد حدّثني بعضُ الإخوان أصلحَ الله لي وله الشأن، أنَّ سيدنا ومولانا الأستاذ السيد محمد أحمد العقاد رضي الله عنه يحترمُهُ ويجلُّه ويعظّمه لمكانة والده

قُدّس سرّه العزيز، ولا شكَّ أنه كذلك، فإنه رضي الله عنه أُمةٌ لوحده، دعا الخلقَ إلى الحق، وأجلسهم على بساط الصدق.

وهو عندي من أشياخي الذين تبرَّكتُ بلقائهم، وانتفعت بهم، ويكفينا في فضائله ما هو مشاهدٌ بالعيان من خدمته إخوانه، وتغرُّبه عن الأوطان في حلِّ مشكلاتهم، فأينما شرف أيّ جهة ما، يشرق عليها شموسُ أنواره البهيَّة، وتتلألأ في سمائها كواكبُ أنواره المحمدية، فتزهو في ربوعها أنوارُه البهية، فانتشرت به البركات، وعمَّتِ الخيرات، فهو سراجٌ وهاجٌ سطعت أنوارهُ في قلوب المُريدين والمحبّين من أهل الإخلاص، وإن ما اتَّصفَ به مولانا الأستاذ الجليل من كمال الهداية، ومحاسنِ الأخلاق، والتمسُّك بأهداب الفضيلة والدين، والعلم الغزير، والأدب الجمّ، والتقوى، والزهد، والدعوة إلى الله عزّ وجلّ، وما يبثُّه في أرواح الأحباب قد قرَّبه من الله تعالى، وكشفَ له الحجابَ.

وقد أعطاه الله تعالى نوراً عظيماً، وأودعَ فيه سراً مكنوناً، وجعله صراطاً مستقيماً، دعا الناس للهداية، نفع الله به الطريق، وسلك بنا مسالكَ أهلِ التحقيق، وأماتنا على حبِّهم، وحشرنا في حزبهم وتحت لوائهم بجاه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. آمين.

٦٧

سيدي محمد الشنواني (١)

قطبُ الطريقة الشاذلية الشنوانية، وأصلُ مددها، قطبُ الدَّائرتين، وشيخُ الفريقين، العالم الرباني، والقطب الغوث الصمداني، شريفُ النسبتين، طاهر السلالتين، أحدُ من أقامه الله رحمةً للعباد، وصرَّفه في ملكه بما أراد، نشرَ الطريقة العلية، وبثَّ روحها في أُمَّةِ خير البرية، من افتخرت به الأزمان، ونزلت بساحته سكان مصر والشام والعراق والصعيد، بل وأقصى خراسان، سيدنا ومولانا الشريف الحسيب النسيب أبو عبد الله سيدي محمد عبد الرحمن الشنواني المنفلوطي الشاذلي الفاسي رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٢٩٧ وفيه «محمد بن علي بن منصور الشنواني» وفاته ١٢٣٣هـ ونسبته إلى «شنوان الغرف» من قرى المنوفية، وخطط مبارك ١٢/ ١٤٢، والجبرتي ٤/ ٢٩٤، وفهرست الكتبخانة ١/ ٣٣٣ ثم ٢/ ١٨ ثم ٧/ ٤٠ و٢٠١، ومخطوطات المصطلح ١/ ٢٤٠، والروض النضير ٧٤.

وهو أحدُ من أحببتهم حين سماعي بذكره، وتعلّق قلبي برعد محبته، وقد شاهدتُ ـ والمنة لله ـ سرَّه، إذ أتاني بعضُ الأحباب، ولم يكن يسمعُ به أو يعرفه من قبل، وذلك حال طبع هذه «الطبقات»، وكان من عادة هذا الأخ الصالح التردُّدُ إلى زيارتي متى سنحت له الفرص، فجزاه الله عنّي خيراً، لقد زارني قبل ذلك بيومين، وعاودني والبُشرى تُرى في وجهه، والسرور يبدو عليه، فأخبرني مبتسماً، وقال لي: ذهبتُ إلى صلاة العصر في مسجد الظاهر بيبرس، وبعد أن صلّيتُ جلست لأستريحَ، فأخذتني سِنَةٌ من النوم، فما شعرتُ إلا والمسجد امتلأَ بالقوم من الأولياء والصلحاء، يقدمُهم شيخٌ جليل، عليه مهابة وتبجيل، فقلت: من هؤلاء القوم؟ ومن ذا الذي يتقدَّمُهم؟ فقيل: هؤلاء بعضُ الأولياء المذكورين في «طبقات الشاذلية». قلت: ومن هذا الإمام؟ قيل: هو الشيخ الشنواني الهُمام. ثم صحوتُ من النوم، وقلبي يطفحُ بالسرور، وجئتُ لأبشّركَ بما رأيت، ففرحتُ كثيراً بهذه الرؤيا العظيمة، والمنقبة الجسيمة، وأيقنتُ بأن هذا من علامات القبول، ومن مددِ مولانا الرسول، وعطف ذلك الشيخ الجليل على محبِّه العبدِ الذليل.

وكان قبل ذلك قد أكرمني الله ببشارةٍ من رسول الله، نفحتني بملاقاة تلميذه العارف الرَّباني، والفردِ الهيكل الصمداني، مربي المريدين بالهمَّة والحال، وجامع شتاتهم، وموصلهم إلى مقامات الرجال سيدي ومولاي الدَّال على الله، الذاكرِ الأوّاه، شيخِ الطريق، وعمدة أهل التحقيق سيدي الشيخ عمران بن أحمد عمران الشاذلي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية العمرانية، وناشر لوائها في الأقطار الصعيدية والمصرية، فحدَّثني عن شيخه المذكور، وأطلعني على نقطةٍ من بحر مدده المنثور، فجزاه اللَّهُ أحسنَ جزائه، حقَّقنا الله بالسلوك على طريقهم بجاه سيدنا ومولانا محمد ممدِّهم. آمين يا رب العالمين.



سيدي الشيخ عمران الشاذلي

وأما شيخنا سيدي عمران رضي الله عنه وأرضاه، ومتَّعنا ببوارق نظراته وعطفه، ناشرُ الطريقة، ومظهرُ لواء الحقيقة، الواعظ الناصح، الزاهد العارف، فيكفينا في فضائله ومناقبه ما هو مشاهدٌ بالعين، من جَمْعِ قلوبِ عباد الله على الله، وتقرّبهم إلى حضرة أهل الله، صاحبُ المؤلفات النفيسة، والمذاكرات الجليلة، والقدم الرَّاسخ في طريق الله، والعلمِ الأسنى، والنور الأبهى، والسرِّ القاطع، والبرهان الساطع، والفتحِ الرَّحماني، والفيض الرباني، من أعطاه الله ناطقةَ

الأولياء، وخصَّه بأعلى مقامات الأصفياء، له اليدُ الطُّولى في جمع القلوب، والهِمَّةُ العليا في التسليك، والإشاراتُ الغنية عن التعريف، والذي يُطالع مؤلفاته الحسان، يعرفُ عظم قدره، وما خصَّه الرحمن من التحقق بمقامات الإحسان، كيف لا وقد افتخرت به الأيام، ونزلتْ بساحته الأعلام؟ مُقتبسين من أنواره المحمدية، ومعارفه الغيبية.

ولقد نفحني بدعواته، وأمدَّني بإمداداته، وإنّي لأرجو من سيدي ومولاي أنْ لا يَنساني من الدعوات، سيّما في الخلوات، نفعَ الله به المسلمين، وأقامَ به رايةَ الدين، وطهر بعاطر أنفاسه قلوبَ المحبّين، وثبَّتَ قلوبنا على محبَّته ومحبَّة الأولياء الصالحين. آمين يا رب العالمين.

ومن محاسن تآليفه، وبدائع تصانيفه: «سيوف المُريدين في نحور المنكرين» وهو كتابٌ لم يسبقْ له مثيل، أتى فيه بالعجب العجاب، وكشفَ النِّقاب[1] عمّن لزم الأعتاب من الأحباب، وكتاب «إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد» تكلَّمَ فيه عن أسرارِ الطريق، وإظهار معالم التحقيق، فهو كتاب فريدٌ في بابه. وكتاب «التَّوسُّلات العمرانية» وهي التوسُّلات التي نظمها بإذنِ سيِّد السادات. وكتاب «التوسلات الأبجدية بالحضرة المحمدية» تلقَّاها عن صاحب الرسالة. وكتاب «نور البيان عن بدع الزمان». ويكفي القارئ عنوانه، فلكلِّ شيءٍ دليل، وله شرحٌ على «الحكم» سماه «جلاء الظلم» وشرح على «الوظيفة» سماه «الواردات اللطيفة» وشرحٌ على «التحيات»، وشرح على «الآجرومية» بطريق الإشارة الربَّانية. وكتاب «الأدلة الشرعية على إشارة السادة الشاذلية» وغير ذلك من التآليف التي تزداد كلَّما تقادمَ الزمان.

وهذه الكتبُ كلُّها غررٌ وفوائد، ينبغي لكلِّ مسلم اقتناؤها، وهي مُتداولة، فلتطلبْ حيث تُوجد، اللهم أمدّني وأحبَّني بمدده. آمين يا رب العالمين.

وفي مدحه قلتُ هذه الأبيات:

سلوني عن بلادٍ فيها شيخٌ ... جليلُ القدرِ داعٍ ثم بانِ
هو الشيخُ الهُمام أتانا روحاً ... وقد أَروى المَسامع بالمعاني
أغوثَ الله يا عمرانُ جُدْ لي ... بفيضٍ منك إنَّك ذو امتنانِ
فيا لك من إمامٍ صرتَ داعٍ ... إلى بابِ الإله وأنتَ فانِ

---

(١) النِّقابُ: القناع تجعله المرأة على القسم اللين من أنفها، تستر به وجهها (ج) نُقُبٌ يقال: كشف النقاب عن المسألة؛ أي: أظهرها وكشف عن خباياها.

رويدك هل لمحبوبِ أتاك — يطيرُ إليكَ من شوقٍ يعاني
فمثلُكَ قد تحلّى إذ تملّى — فأَقربتَ الأباعدَ والأداني
فيا أهلَ الصعيد هلم طوفوا — بكعبة فضله آناً وآن
فإن الله ربِّي قد حباه — أموراً لا يُحيط بها جَناني
إمامٌ في الحقيقة نالَ عزًّا — وقد نشرَ الطريقَ بلا توان
فطب نفساً مريداً قد أتاه — لقد أَلقيتَ رحلكَ في الأمان
أإخوان الصفاء فلو علمتم — بما أعطاه ربِّي من معان
لأَقسمتم وحقّاً قد بررتم — يميناً إنه في الله فان

٦٩

سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي(١)

القطب الغوثُ، صاحبُ الدائرة والتصريف، والغنيَّةُ شهرتُه عن التعريف، مولانا السيد أحمد بن مصطفى العلّاوي المُستغانمي الشاذلي الدِّرقاوي، تلميذُ سيدي ومولاي محمد بن الحبيب البوزيدي الدرقاوي، أستاذ سيدي أحمد بن عجيبة الحسني، وسيدي عبد القادر الكوهن.

كان سيدي محمد البوزيدي من أكابر أولياء الله تعالى، وكان أُمِّياً، لا يكتب ولا يقرأ، ومع ذلك أعطاه الله تعالى ما لا يَخطر بالبال، من العلوم والأسرار التي أبداها بحضرة الرجال، ولو لم يكن من تلاميذه إلا سيدي ابن عجيبة الحسني لكفى، مع أنَّه تخرَّجَ من تلاميذه جملةٌ أفاضلُ من أهل الله، لا يحصرُ لهم عددٌ، كلُّهم على قدم المعرفة، وفي غاية التمكين.

وله كلامٌ عالٍ على لسان أهلِ الحقيقة، ومؤلفاتٌ حلَّ فيها مشكلاتِ هذه الطريقة، ومن يُطالع كتابه «الآداب المرضية في طريقة الصوفية» يحكمُ بأنَّه واحدُ الزمان، وشيخُ أهل العرفان.

ومن كلامه أمدَّنا الله بإمداداته نظماً على لسان أهل المغرب قولُه في قصيدةٍ له:

أيا حضرةَ الإطلاق هيَّجتِ مُهجتي — ويا روضةَ العشاق فِيْضَتْ صبابتي

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/٢٥٨ وفيه أحمد بن مصطفى العلوي الجزائري المستغانمي (١٢٩١ ـ ١٣٥٣هـ) وعدنان الجزائري في جريدة فتى العرب الدمشقية ٢ رجب ١٣٥٣.

ملكتني في الآفاق وردت بزردتي رفعتِ عنّي الرواق تعظيماً لسطوتي[1]
غرستِ غصنَ الهوى في قلبي ومهجتي وعندي منها نشوى كانت قبل نشأتي
سقتني من المعنى كؤوساً صفيَّةً فإذا قلت أنا أنا ولا فخرتي
كلُّ فقيه عليم بالفرض والسُّنَّة وأنا علمي عظيم ما له نهاية
كل عابدٍ يَهوى طالب الآخرة وأنا كلُّ السِّوى طويت بهمتي
كم من جاهلٍ أتى ودخلَ طريقتي صارَ من أهلِ المعنى ملوكِ الحقيقة
أنا ساقي الشَّراب والخمرة خمرتي أنا رافعُ الحجاب والحضرة حضرتي
أنا عين التحقيق يا من تَطلبُ رؤيتي أنا منهجُ الطريق والكون في قبضتي
الكونُ كسرابٍ كما جاء في الآية هباء في هواء عند أهلِ الحقيقة
اخلع نعليك وافنَ إن شئتَ ملاقاتي إن أردتَ تعرفنا أنا عينُ الحياة
من بحارِ الجبروت قد ظهرت نقطتي تلونت بالناسوت وسرِّ الملكوت
مُريدي لك البُشرى احفظ لي وصيتي تأدَّبْ مع الفقر لتسقى من خمرتي
مريدي يقل الله وحده في الكثرة لا ترى ما سِوى الله في كلِّ كائنة
مريدي يكن حفيظ حدود الشريعة تمسَّك بها تفيد كمال العناية
هذا اسمي يا لبيبُ قيد العبودية محمد بن الحبيب البوزيدي نسبتي
وجدّي رسولُ الله مقصودي وبُغيتي عليه صلاةُ الله صاحبُ المعجزة
قد تمَّت بحمد الله على كلِّ حالةِ لا إله إلا الله أفضلُ الكلمة

وله أيضاً رضي الله عنه:

قل للذي لامني في هوى عنفني
حيث لم يعرف قدري لذاك هو المعذور
فإذا السرُّ بدا من الغيب للشهادة
احترق مني الفؤاد وامتحق جبلُ الطور
جلسنا على حضرة مع رجال الخمرة
من عجائب القدرة كاسها عنَّا يدور
أنا عين التحقيق أنا مظهر الطريق
اشرب خمرتي تفيق والسرُّ منك يفور

---

(١) الزَّرَدَةُ: حلقة الدرع.
الرّواق: سقف في مقدم البيت، أو البيت من الشّعر يُحمل على عمود واحد طويل في وسطه (ج) أروقة.

ثـــــم صـــــلاة الله ❊ عـــلـــى حـــبـــيـــب الله
هـــو نـــور الإلـــه ❊ هـــو مـــصـــبـــاح الـــظُّـــهـــور

فليتأمَّلِ المحبُّ لأهل الله هذا الكلام، جعلنا الله على أثرهم، وأماتنا بحبهم، بجاه المصطفى ﷺ جدِّهم.

ومقامُ سيدنا ومولانا البوزيدي في مُستغانم من بلاد وهران محطُّ رجاء الطالبين، وقد عمل له تلميذُه سيِّدي العلاوي مقاماً ثَمَّ بالزاوية العلاوية يُزار، وتقصدُه سكانُ المغرب الأقصى يستسقون عنده الغيث؛ فيُسقون ببركته.

ويكفي من تلميذه سيدنا العلاوي ما هو مُشاهد، وقد شهدَ له شيخُه بأنَّه هو القطبُ الغوثُ، وصاحب الزمان، وكانت المؤذنون تؤذِّن على المنارات بذلك أيامَ ظهورِ دعوته، حتى خضعتْ له الرقاب، وأتته النَّاسُ من كلِّ واد من أهل الفضل والصلاح، مُستمطرين من فيضِ فضله. ومن نظمه في ديوانه المشهور:

مـــريـــداً بـــادرْ ❊ بـــقـــلـــبٍ حـــاضـــر
لـــســـان ذاكـــر ❊ بـــقـــولـــك الله
جـــاهـــدْ تُـــشـــاهـــد ❊ كـــلَّ الـــفـــوائـــد
ســـرَّ الأمـــاجـــد ❊ فـــي ذكـــرك الله
روح يـــا حـــادي ❊ بـــذكـــر أســـيـــادي
جـــذبـــوا فـــؤادي ❊ لـــحـــضـــرة الله
شـــوّش لـــي بـــالـــي ❊ حـــبُّ الـــمـــوالـــي
أهـــلِ الـــكـــمـــال ❊ عـــرّفـــونـــي الله
إنّـــنـــي عـــارف ❊ بـــذي الـــلـــطـــائـــف
أيُّـــهـــا الـــخـــائـــف ❊ ادنُ تَـــرَ الله
مـــن لا يـــرضـــانـــا ❊ مـــحـــروم هـــوانـــا
هـــو فـــي عَـــنـــا ❊ حـــتّـــى يـــلـــقـــى الله
إن شـــئـــتْ تـــدري ❊ تـــعـــرجْ وتـــســـري
خـــذْ عـــنّـــي ســـرِّي ❊ بـــه تـــلـــقـــى الله
صـــرّح يـــا راوي ❊ بـــاســـمِ الـــعـــلاوي
بـــعـــد الـــدِّرقـــاوي ❊ خـــلـــفـــه الله
قـــلـــبـــي يـــا قـــلـــبـــي ❊ افـــهـــمْ عـــن ربّـــي
احـــفـــظْ لـــي حـــبـــي ❊ هـــو هـــو الله

قـلـبـي لا تـغـفـل عـظّـم وبـجّـل
إيـاك تـعـجـلْ تـفـشـي سـرّ الله
كـتّـمْ الـحـقـائـق حـفـظْ الـوثـائـق
حُـسـنْ الـعـلائـق بـحـضـرة الله
صـلِّ وجـدّد ولا تـقـيّـد
عـلـى الـمـمـجّـد هـو رسـول الله

اللهم انفعنا بمحبّة أوليائك، وأمدّنا وإخواننا بمددهم. آمين.

وقال رضي الله عنه هذه القصيدة على أثر شهادة أستاذِه له بأنّه القطب الكامل وإنسانُ عين ذوي الفضائل وهي قوله:

بـشّـرنـي بـدر الـبـدور مُـحِـبُّـنـا فـي سـرور
بـالـنَّـصـر مـع الـظـهـور مـحـفـوفـاً بـلـطـف الله
والله لـقـد قـال نـصـرنـاك فـي الـمـلا
بـأفـصـح الـمـقـال أنـت فـي أمـان الله
بـشـرنـي روح الأسـتـاذ الـبـوزيـدي عـيـن الـمـدد
إذ قـال لـي بـاجـتـهـاد بـعـد أن أقـسـم بـالله
مـحـبُّـكـم فـي أمـان مُـريـدكـم فـي ضـمـان
أنـتـم عـيـون الـرّحـمـن بـيـديـكـم سـرّ الله
بـيـديـكـم الـمـنـشـور لـكـم تـرفـع الـسـتـور
أنـتـم أربـاب الـحـضـور أنـتـم أولـيـاء الله
فـي الـسـرِّ وفـي الـجـهـر خـاطـبـتْ أهـلَ الـسـيـر
فـمـن كـان فـي عـصـري يـأتـنـا يـجـد مـعـنـاه
نـصـحـت كـلَّ الـعـبـاد خـصـوصـاً أهـل الـبـلاد
فـمـن كـان فـي اجـتـهـاد طـالـبـاً يُـريـد الله
يـأتـيـنـا ولـو بـالـتـجـريـب فـلـه مـنّـا نـصـيـب
هـذا مَـسـلـك قـريـب أتـانـا مـن فـضـل الله
نـنـصـح لـه فـي الـطـريـق يـأخـذنـي فـيـهـا رفـيـق
نُـريـه مـعـنـى الـتـحـقـيـق خـالـصـاً لـوجـه الله
يـوافـقـنـي فـي أيـام لا نـطـلـب مـنـه أعـوام
فـإن حـصـل الـمـرام يـكـون عـبـداً لله

عــنــدي لــلــخــلــق الــدوا   عــنــدي لــمــحــو الــسّــوا
لا نـــرجـــو بـــه ســـوا   غـــنـــى بـــفـــضـــل الله

٧٠

الشيخ أمين البغدادي

بحر العلوم الدافقة، وإمامُ أهل الطريقة والحقيقة الناطقة، نورُ الدين أبو عبد الله سيدي محمد بن حسن بن عمر الكردي النقشبندي قُدّس سرُّه.

قدم مصر رضي الله عنه عام ألف وثلاث مئة وخمسة وثلاثين، بعد وفاة ولي الله الأكبر سيدي محمد أمين الكردي(١) الأوّل قُدّس سرُّه، صاحب «تنوير القلوب» وشيخُ مشايخ الطريقة العليّة بالديار المصرية.

وكانا ـ أي المترجمَ وسيدي الكردي ـ مُنتسبين على سيدي عمر قُدّس سِرُّه في بلادهما، وكانا من أخصِّ تلامذته.

ولَمَّا توجَّه سيدي الشيخ أمين الأول إلى الديار المصرية، وورثَ قطبانية الطريقة العلية، كان المترجم رضي الله عنه أقامَ بإذن الحضرة العلية بالمدينةِ المنورة ما شاء الله أن يُقيم، فلمَّا أذنتْ شمسُ الكردي بالزوال، قدمَ المترجم رضي الله عنه إلى مصر، وتخلف مكانه بإشارةٍ ربانية، وورثَ قطبانية المشرق، وصار من وقته قطبَ دائرة الطريقة العلية، ومحورَ رحاها، التي تدور عليه، فسار رضي الله عنه سيرَ أجداده، ولزم الخلوة، وقضى أيامه إلى وقتنا في الخلواتِ والجلوات، والذكر والمجاهدات، حتى أشرقتْ عليه أنوارُ السعادات.

تحلّى رضي الله عنه بالصِّفات الحميده من التواضع، والكرم، والسخاء، والهيبة، والوقار، لا يرى لنفسه قدراً، جميلُ الطلعة، تعلوه الأنوار، وتُشمُّ منه رائحةُ المسك، يَبيتُ أغلبَ أيامه طاوياً، ولقد حدَّثني بعضُ أصحابه أنَّه رضي

(١) محمد أمين الكُردي (توفي ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م).
محمد أمين بن فتح الله الإربلي الكردي. واعظ، من أهل إربل. تعلم بالأزهر وتوفي بالقاهرة. له كتب منها «هداية الطالبين لأحكام الدين» في فقه المالكية، و«إرشاد المحتاج إلى حقوق الأزواج» و«تنوير القلوب» تصوف، و«ديوان خطب» و«سعادة المبتدئين في علم الدين» و«فتح المسالك في إيضاح المناسك» على المذاهب الأربعة.
الأعلام ٦/ ٤٣، ومعجم المطبوعات ١٥٥٤، والمكتبة الأزهرية ٢/ ٤١٩، ومشاهير الكرد ٢/ ١٤٣، وفهرس المؤلفين ٢٣٠.

الله عنه يمرُّ عليه الأسبوعُ والأسبوعان وهو لا يأكلُ إلا تمرةً أو تمرتين.

ولقد رأيته بالمشهدِ الحسيني والنَّاسُ ملتفةٌ حوله يلتمسون بركته، ولقد دعا لي بدعواتٍ، فرجوت بها خيراً، أسأل الله تحقيقها، ولا زالتْ أنوارُه ساطعةً زاهرةً لأهلِ الطريقة العلية، أيَّد اللَّهُ دولتها السنية، تحت رايات ظلاله. آمين.

٧١

سيدي عوض الزبيدي الشاذلي
(... ـ ١٣٤٧)

الشيخ العالم العامل، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة، قطبُ دائرة التصريف، القطبُ الربَّاني، والهيكلُ الفرد الصمداني، العارفُ بالله، أحدُ أركان هذه الطريقة، وإمامٌ من أئمَّة هذا الفريق، مولانا سيدي عوض اليمني الزُّبيدي الشاذلي الأنصاري، أحدُ أصحاب الإمام الكبير قطبِ دائرة هذه الطريقة العلية، ومادة أنوارها المحمدية، مولانا محمد بن مسعود الفاسي قُدّس سرّه العزيز، أخذ عنه، وانتمى إليه، وأشرقتْ عليه أنوارُه، فتحقَّقت بشاراته، وظهرت كراماته، امتلأ من العلوم الظاهرية فحفظ «المنهاج» والمتون.

مولده قُدّس سرّه بزَبيد، وأصله من بني عفرم بني الأنصار، وحضر دروسَ الأشياخ الأُول في الأزهر الشريف.

وتُحكى عنه كراماتٌ كثيرة، لم أجتمع به غيرَ مرَّةٍ واحدة في زاويته خارج باب النصر، وقد نَفحني بنفحاته، وأمدّني بإمداداته، وهو من المشايخ الذين تبرَّكتُ بهم.

كان رحمه الله من أصحاب الكشف التام، وكانت حضرتُه التي يُقيمها في زاويته تحضرها العلماءُ الأفاضل، وله تلامذةٌ أخيار.

وانجمعَ عن الناس في آخر أيام حياته، وعمّر كثيراً، وكان من أرباب المُجاهدات في بدايته، وكان الغالبُ عليه الجمالَ مع القبض لاستيحاشه عن الخلق، وتحقُّقِه بمشاهدة الحق، واستغراقه في حضرة الله.

ومناقبُه كثيرةٌ، وله الشهرة التامة بمصر.

توفي رضي الله عنه يوم الثلاثاء اثني عشر شهر ربيع الثاني عام ألف وثلاث مئة وسبعة وأربعين، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، لم يُرَ مثلُه قطُّ في مصر، ودُفِن بزاويته

خارج باب النصر من أبواب مصر المحروسة بمقام أُعدَّ له في داخل زاويته، اللهم اجمع بيننا وبينه في دار الخلد بمنِّك، واحشرنا وأحبَّتَنا في زمرته وتحت لوائه، وأمددنا بمدده، واجعلِ اللهمَّ مقامَه كعبةَ القاصدين، وملجأ الوافدين، وأكرمنا بما أكرمته به بجاه مولانا رسولِ الله سيدِ الأولين والآخرين، آمين يا ربّ العالمين.

وله ديوانٌ تكلَّم فيه على لسان أهل الحقيقة، وله فيه تغزّلات رقيقة، وإشارات وشطحات، اللهم أمدّني وأحبّتي بمدده، وانفعنا بأسراره، وأمدّنا بأنواره. آمين.

٧٢

قطب العصر الشريف

الحسني الحسيني السيد سلامة حسن الراضي[١]

أحضر بين يديك خريطة العالم الإسلامي، وغمّض عينيك، وضع يدك، فما صادفك من مدينة أو قريةٍ أو عاصمةٍ إلا وتجد فيها من إذا تحرَّك، أو سكن، أو نطق، أو صمت، أو سار، أو قعد في ليل أو نهار يُنادي من أعماق قلبه: مدد[٢] يا سيدي سلامة، مدد يا أبا حامد، مدد يا سيدي الراضي.

هذا الاسمُ الشريفُ المحبوب لكلِّ القلوب، المذكورُ بكلِّ لسان مع الإجلال والخشوع، هو اسم سليلِ الرَّسول صلوات الله عليه وسلامه، وجدُّه الأدنى سيدي حامد صاحبُ المسجد والضريح بمدينة المنيا، وكذا سيدي أبو طقية الكائن مسجدُه وضريحُه بمدينة الريدة[٣] إحدى ضواحي المنيا.

نشأ السيد سلامة ببولاق، وتعلّم القراءة والكتابة إلى السنة التاسعة، ودخل الخاصة الخديوية يومئذٍ في ابتداء العاشرة، وتوظف في ابتداء الثانية عشرة، ولا يزال موظفاً يأكلُ بعرق جبينه، وابتدأ بالتأليف وهو بين أيدينا حوالي العاشرة.

واجتمع بالكثير من أهل الولاية والعرفان من مشارق الأرض ومغاربها، وأخصهم سيدي القطب العلامة سيدي الشيخ مرزوق المالكي البحر الجامع بين الشريعة والحقيقة رضي الله عنه.

ابتدأ شيخُنا رضي الله عنه بتلقين المُريدين في حدود السادسة عشر من

(١) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص١٤٩.
(٢) المَدَدُ: العون والغوث.
(٣) الريدةُ: مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء ذات عيون وكروم. (معجم البلدان ٣/ ١١٢)

عمره، آخذاً بالجدِّ في كلِّ أمره، فربّى إخواناً، وأخرجَ بتربيته العالية رجالاً هم غرَّةُ الطريقة وبدورها، أسمى طريقته: الحامدية الشاذلية. وبالحامدية الشاذلية أحيا للناسِ سُنَّةَ الصوفية الماضين، وأذاقَ الناس والقاصدين والوافدين من عَذْب مباني العرفانِ والتحقيق ما لا يجده الناظرُ إلا في الأسفار مسطوراً.

ولما رَفعَ شأنَ الطريق، وأعلى منازلها، وضَربت صيتها في البقاع، قرَّر المجلسُ الصوفي العالي، برئاسة سماحة السيد البكري طريقتنا ضمن الطُّرق المعترف بها سنة ١٣٤٥، ولأنها الطريقة الوحيدة الملتزمةَ جانب الشرع الشريف، أذِنَت لها وزارة الأوقاف المصرية بإقامة الحضرات في مساجدها الشهيرة، فتُقامُ حضرةٌ أسبوعية كلَّ مساء أحدٍ بمسجد سيدنا الحنفي رضي الله عنه، ومساء الإثنين بمسجد سيدي علي البيومي، ومساء الثلاثاء بمسجد السيدة فاطمة رضي الله عنها، ومساء الأربعاء بمسجد سيدي عبد الوهاب الشَّعراني رضي الله عنه، وهلمَّ من الكثير العديد من المساجد في المدن وعواصمها.

أما تآليف الأستاذ فقد زادتْ على الثمانين كتاباً، طُبع بعضُها مراراً، والبعضُ الغالب بخطِّ يده الكريمة إلى اليوم. فمما طبع: «المنح الحامدية» «الجواهر الحامدية» «الفيوضات الموعظية الحامدية» «نظام الروابط» «الجوهرة» «النفحة المحمدية» «مظهر الكمالات في مولد سيد الكائنات» «نفحات العشاق» «حنين العشاق» «حرب تفريج الكروب» «حزب الإخلاص» «السلسلة الذهبية» غنية المنشد» «قانون طريقة السادة الحامدية».

وممّا لم يُطبع: «شرح الوظيفة» نحو الألفي صحيفة، أسئلة على البسملة. «شرح الخمرية» نحو أربع مئة صحيفة. رسالة في معنى ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥]. إجابة لسؤال بعض الأطباء العصريين. «رسالة في معنى قول سيدنا عمر رضي الله عنه: نعم نعم العبد صهيب». «إجابة لسؤال بعض علماء الصعيد». «رسالة المنتظر». «رسالة لبعض الدَّكاترة اللاتينيين المستشرقين»، حضروا لمصر خصيصاً للأستاذ، واستأذنوا وزارة الأوقاف المصرية، فأذنتْ لهم بحضور حضراتِ الأستاذ بالمساجد، ثم سألوه أسئلةً صوفية دقيقة، فأجابهم رضي الله عنه بهذه الرسالة، وقد تُرجمت إلى الإنكليزية، ولها شهرةٌ في أوروبا كبيرة، ولو شِئنا أن نسردَ بقيَّة المؤلفات والرسائل لضاقَ بنا الكتاب.

أما طريقةُ تأليف الأستاذ فإنَّه إذا خطرَ له تأليفُ أي شيءٍ أو الكتابة عن موضوع، فما هو إلا أن يأخذَ القلمَ والكرّاس ويكتب ما شاء الله أن يكتب في وسط إخوانه: يذاكر هذا، ويجيبُ ذلك، ويُؤانسُ ثالثاً، ويأذنُ لرابع بالدخول، وهلمَّ.

وهذه نتف من بعض كتاباته:

قال رضي الله عنه ص٤٢ كتاب «النفحة المحمدية» (١٩٣): إذا سكَن النُّورُ في أرواحكم ظهرَ على ألسنتكم، فيحلو كلامُكم، وتذوقُ القلوب له طعماً لذيذاً تتغذى به، فتحيا به بعد موتها.

وفي ص٥٨ منها (٢٣٤ الشرائع): كلُّ مجموعة في النهي عمَّا يباعد عنه، والأمر بما يرضاه ويُقرّب إليه، فكلُّ ما يُقرّبك إليه طاعةٌ، وكلُّ ما يُباعدك عنه معصية، ولَمَّا كان وضعُ شرعٍ لكلِّ فردٍ خارجاً عن الحصر، ويتعذّر على الخلق تمييزه، كان التشريعُ بحسب الوسط العرفي، فكلُّ ما ظهر سرُّ التشريع فيه ندور فيه مع حكمةِ التشريع، وإلّا كان الأسلمُ لنا وقوفنا مع الوارد من غير تأويلٍ ولا توجيه، ولذلك قالوا: كلُّ ما ذكَّرَك ربَّك، وأخذَ قلبَك إليه فهو ذكر. اهـ.

وكتب رضي الله عنه هذه الرسالة إجابةً لأسئلةٍ وردت عليه، وهي:

١ ـ هل الذَّاكرُ عقب الذِّكرِ يكون في قربٍ مقدّس؟

٢ ـ ما يَشعرُ الذَّاكرُ عقبَ الذكر؟

٣ ـ إذا كان في قربٍ وتقديسٍ في المرَّةِ الأولى، فلم يكرِّرُ الذِّكرَ بعد ذلك؟

٤ ـ هل القرآنُ كافٍ في التقرُّب، أو يحتاج إلى تكملةٍ؟

٥ ـ هل يُمكن لرجلٍ ما أن يَرى الله؟

فأجابَ رضي الله عنه: لَمَّا كانت الحضرةُ الإلهية مقدَّسةً، ولا يَدخلها إلا مقدَّسٌ، كان مقصد السائرين إلى الله تطهيرَ نفوسهم عن شوب الهوى الناشئ عن المعاصي، وعن الظُّلماتِ المُتراكمة على القلب من أثر الخواطر السيئة التي تتولَّدُ في النفس بحبِّ الشهوات الدنيوية، والميلِ إليها، وذلك هو الخاطرُ النفساني، وهو يُحدثُ نكتةً سوداء في القلب، أو تقول ظلمةً أو تقول إن القلبَ يتكيَّفُ بذلك الخاطر، وذلك يعميه عن غيره، والشَّيطانُ الذي يَظهرُ بظلمة البعد عندما يُبصرُ تلك النُّقطةَ السوداء التي حدثت في القلب، يتَّخذُها مركزاً له بحكم التناسب، فيتَّصلُ بجوهره الظُّلماني بتلك النقطة السوداء، ويُلقي وسوسته، ويزيِّنُ للإنسان ذلك الخاطر النفساني، فإذا تخلّتِ العناية الإلهية عن ذلك العبدِ سارَ في طريق البُعد تبعاً لنفسه وشيطانه، فازداد بعداً، وانحطَّ إلى مصاف البهائم، إن كانت شهواته بهيمية، أو إلى مصافِّ الشياطين إن كانت شيطانية، فإذا أدركته العنايةُ وردَ على قلبه خاطرٌ ملكي، مُلقًى بواسطة الملائكة من العالم الأعلى، وهنالك يتعالج

خاطرُ النفسَ والشيطان، أو أحدُهما مع الخاطر الملكي، فأيُّهما غلب كان القلبُ لأحدهما، إمَّا لجنود الظُّلمة أو جنودَ النور.

وهناك خاطر رابع، يُقال له الخاطرُ الرباني، هذا الخاطر لا يُقاومه شيءٌ، ويمحقُ ما عداه من الخواطر، ويحصل عند الإنسان يقينٌ بأنه خاطر ربَّاني، فإذا صحبه ظنٌّ، أو شكٌّ، أو وهمٌ في أنه رباني، أو مَلكي فليس بخاطرٍ رباني.

وقد اختلفت طرقُ الأشياخ في تطهير القلوب، فمنهم من سلكَ طريقَ قراءة القرآن، وهي أعلى الطُّرق لأهلها، وبعضُهم سلك من طريق الذكر، وبعضُهم من طريق تصفية الأخلاق بالسفر وخدمة الفقراء والصدقة، وبعضُهم من طريق قراءةِ العلم، والعمل به، وبعضُهم من طريق الأحزاب، والطُّرقُ كثيرة جداً، وكلُّها ترمي إلى التخلّي عن الشهوات المُبعدة عن الله سبحانه وتعالى، وأن يسير فيما فيه رضاه، ولكنَّ أكثرَ الأشياخ وجدوا الذِّكرَ أقربَ طريقٍ للوصول إلى حضرة جناب الحقِّ سبحانه وتعالى، وذلك لا يتمُّ للسالك في بدء سيره متفرّقَ القلب، مُمتلئاً بالخواطر، مُشتغلاً بالدنيا، وقلبُه ليس مجموعاً على ربِّه، فإذا قرأ القرآن في بدءِ سيره، كان في أثناء القراءة مُتفرّقاً، فإذا مرّ بقصة موسى وفرعون ذهب مع ظاهر القصَّة، وتفكّر في سحرةِ فرعون، وفي الآيات التي نجا بها موسى، وغرق قوم فرعون، وهذا كلُّه مما يزيدُ قلبَه تفرقةً، أما إذا كان التالي يستشعرُ في حالِ التلاوة تعظيمَ القرآن، ويستغرقُ في الحضور بين يدي المتكلّم بالقرآن، ويَستحضرُ عظمةَ الحقِّ بحيث أن ذلك يأخذه من خواطره، ويبعده من تفرقته، فذلك هو الجمعيةُ الكبرى للقلب، وبها يزدادُ قرباً لا يُعادله قربُ الذكر، ولا الأوراد ولا غيرها.

ولَمَّا كان غالبُ الخلق في أسْرِ نفوسهم، وهم عبيدٌ لشهواتها، وقلوبُهم متفرّقةٌ عن ربّهم، فهم في مقام الضعفاء لا الأقوياء، وإذن يؤمرون بقراءة شيءٍ من القرآن؛ لئلا يتَّصفوا بهجر القرآن، ثم يُؤمرون بذكر اسم واحدٍ، وتنوعت طرقهم في ذلك، لكنَّ الكلَّ يرمي إلى حصرِ بصرِ القلب في نُقطةٍ واحدة لا يتعدَّاها. فيقول مثلاً بلسانه: (الله) وبقلبه: (الله) لا يحيدُ عنه في ليلٍ أو نهار، يكون ذلك دَيدنه بقيامِه وقعوده، ليله ونهاره، ويلتزمُ ذلك السنين العديدة، فيمتزجُ ذلك الاسم بروحه، ويَسري فيه، وإذن تنقطعُ الخواطر التي تُبعده عن حضرة ربِّه، ويُسمّى ذلك بالجمعية القلبية، ومع كل هذا لا يُفارقُ الذِّكر خوفاً من ضياع جمعيته؛ لأن بحارَ التفرقة تتلاطمُ أمواجُها حوله.

ولما كان التزامُ الاسم الواحد لا يكونُ منتجاً، ولا يتحقَّقُ للسالك جمعيته، وهو يخالط الناس، لأنَّ ذلك يفرّقُ عليه جمعيته، اضطر السَّالكون للعُزلة عن

الناس، أو دخولِ الخلوة، حتى تنقطعَ عنهم مادَّةُ التفرقة، فإذا انقطعت عنه الخواطرُ السيئة، تجوهرت روحه، وصارت طاهرةً من الشهوات، وظهرَ حكمُ الروح بسريان الاسم في الروح، ومعنى السريان أن الإنسان الطاهر يكون فيه مجانسةٌ ومناسبة، وتألّفَ بالملائكة كأنه أحدهم، فتظهرُ الملائكة، ويفيضون عليه العلومَ اللدنية من غير تعلُّم سابق، وتظهرُ قوّةُ روحه، فتعمل الأعمال العجيبة، وتتصرَّفُ في الأكوان بقوتها، ويندرجُ الجسمُ في الروح، فيظهر حكمُ الروح، ويبطن حكم الجسم، فيكون الشخص كأنه مَلَكٌ من الملائكة، ظهرَ في عالم البشر بقوةٍ، فإذا فرح الشَّخص بذلك، واطمأنَّ إليه، وأخلدَ إلى عالم الملائكة، واقتنعَ بأن كُشف له عن عوالم الجنّ وخواصّ النباتات، ووقف مع ذلك، كان هذا قاطعاً له عن السير إلى ربّه، ومهما تبرَّجتْ ظواهرُ المكونات إلّا نادته حقائقُها: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠١].

ومن أدركته العنايةُ، وعلمَ أن من كان مرادُه الحقَّ لا يقفُ مع سواه، ولا يقرُّ له قرارٌ حتى يصلَ إلى مولاه، وعلمَ أن الوقوفَ مع الأنوار حجابٌ عظيم له عن ربّه، لم يلتفت إلى كلِّ ذلك، ووصلَ التيار بتوجّه قلبه إلى ذكر ربّه، ولا يترك التزام اسم من الأسماء، فيذكر مثلاً اسم (هوْ) وهو ذكر الضَّمير، فيزدادُ استغراقاً في ربّه، ويتوالى الاستغراقُ حتى يَسري الذِّكرُ في أنفاسه، وحركاته وسكناته، وخواطره، وكلّيته ظاهراً وباطناً، فإذا اشتدَّ الاستغراقُ غاب عن نفسه ولم يشعرْ بها، وذلك هو مقامُ الفناء[١]، وحينئذٍ يتولاه الحقُّ بعنايته، فيقلّبه ذاتَ اليمين وذات الشمالِ وهو مُتقلِّبٌ في يد مولاه، ولا يشعرُ بتصاريف الأقدار التي تَسري فيه، وربَّما كلَّمَكَ وفَهِمَ منكَ وهو لا يَشعرُ، والحقُّ متولّيه، فإذا منَّ الله عليه بالبقاء أقام فيه وعاءً وجودياً، يشعرُ به وهو مع ذلك في مقام الفناء، فينظرُ الأشياءَ بنظرِ الله تعالى لا بنظره، ويشهدُ الأشياءَ فائضةً من الحقِّ مخلوقَة له، ويَعرفُ الفرقَ بين مَرتبةِ الربِّ ومرتبة العبد، ولا يزالُ يتدرَّجُ في درجات البقاء، ويقومُ بالعبودية لله بالله من الله، ولا يتركُ أفعالَ القربات من الصلاة، والصيام، فتراه كأنَّه من العوامّ، لا يتميَّزُ عنهم.

ومن كان صاحياً حاضرَ العقل، وقالَ بإسقاط التكاليف الشرعية، كان زنديقاً، ويخرجُ من الدين، أمّا من ذهبَ عقلُه في الله، لا يحسُّ بالظواهر، فهذا لا حكمَ للشرعِ عليه، ومتى ذهبَ العقلُ فلا تكليفَ على ذاهبِ العقل.

ومتى علمتَ أنَّ العبدَ يصلُ بعد الفناء إلى البقاء، يتجلّى الله له، فيشهدُ ربَّه

(١) انظر حديث القشيري عن الفناء والبقاء في الرسالة القشيرية ص٦٧ ـ ٦٩.

في حال البقاء الغارق في الفناء، بلا كيف، فلا يحجبُه الفناء عن البقاء، ولا البقاءُ عن الفناء، ولا تحجبُه وحدتُه عن كثرته، ولا كثرتُه عن وحدته، وهو مجموعٌ في تفرقته، ومتفرِّقٌ في جمعيته، فيشهدُ بقلبه أنوارَ ربِّه، ويشهدُ تجلّياته بصفاته من غيرِ حلولٍ، ولا اتِّصالٍ، ولا انفصال، ولا يشهدُ الحقّ عينَ الأشياء، ولا يشهد الأشياء عين الله، ويشهدُ الأشياء والأعيان ثابتةً في الحضرة العلمية من غير قدمٍ للعالم مع كون الحقِّ في أبدِه وأزله يشهدُ الأشياءَ في دائرة إمكانها، تنتقلُ من عدم إلى وجود، ومن وصفٍ إلى وصفٍ، ومن حركةٍ إلى سكون، وعكسه، ويعلَمُ أن الحضرةَ العلمية ليست محلّاً للحوادث، جلَّ علمُ الله عن أن يكون ظرفاً للمحدثات، وإذن يقال: إنَ العبدَ لا يرى ربَّه إلا بربِّه، ويكون مشهدُ ذلك القلبَ الذي هو وجه من وجوه الروح التي تطهَّرت من الأغيار كلِّها، فإذا عمَّ ذلك التطهرُ كلَّ وجوه الروح، ولم يبقَ فيها خاطرٌ للأغيار البتَّة، وغابَ حكمُ الجسمِ كلِّه، لا غياب الجسم، وارتقتْ عن العوالم كلِّها، ونفذتْ من عالم الظلمات والأنوار، جازَ أنه يرى الحقَّ عياناً بعين رأسِهِ، وعين قلبه في دار الدُّنيا، وقد منعَ العُلماء ذلك لغير رسول الله ﷺ، وأجازه القليل، وبعضُهم قال: إنَّ النبي ﷺ لم يرَ ربَّه إلا بعين قلبه، وبعضُهم قال: إنَّ النبيَّ ﷺ لم يرَ ربَّه، وهو حديثُ عائشةَ رضي الله عنها. ولَمَّا سُئل ﷺ: يا رسولَ الله، أرأيتَ ربَّك؟ فقال: «**نورٌ أنَّى أراه**»[1]. وإنكارُ المعراج من بيتِ المقدس إلى العرش ليس مكفِّراً، وإنَّما الكفرُ هو إنكار الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ لأنَّه إنكارٌ لصريح القرآن، فإن قيل: كيفَ يرى ربَّه بربِّه؟ قلنا: إن للإنسان بصراً، والبصرُ وإن كان قوةً في الروح آلتُها العين الباصرة، ولكن تلك القوَّةَ لا تُبصر بنفسها، بل بالله تعالى، فبالله تُبصرُ لا بعينك. وإن قيل: إنَّ في العين أو في الروح قوةً مُودعةً بها يُبصر الإنسان لا بالله. قلنا: هل تلك القوةُ منقطعةٌ عن الله وخارجة عن دائرة قدرته، وتركت تفعل ما تشاء؟ وكلُّ هذا باطل، لأنَّها لو لم تكن مُستمدةً بالأمر الإلهي في كلِّ لحظةٍ لتلاشت، ولم يبقَ لها أثر، فهي إذن مُستمدةٌ من الله، وهل تستمدُّ قوة مخلوقة تفعل وتبصر بها؟ هذا لا يصحُّ، إذ فيه الدَّورُ أو التَّسلسل، وهما مُحالان، فلم يبقَ

---

(١) أخرجه مسلم في (الصحيح ١٦١)، والترمذي في (السنن ٣٢٨٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ١٥٧، ١٧١، ١٧٥)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٣٨٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٦٥٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٣٠٤)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ٦٠٨)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٩/ ٦١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ١٢٥).

إلا أن حقيقةَ البصر لله تعالى، ولكنه يظهرُ في الروح والعين، بحسبِ استعدادِ كلٍّ منهما، فإذا علمت ذلك عرفتَ أنَّ العبد لا يشهدُ الحقَّ إلا بالحقِّ.

فالذاكرُ عقب الذِّكر يشعر بخشيةٍ، أو خشوع، أو بعلم، أو بنورٍ، أو بغيبة عن الخلق، أو بجذبةٍ إلهية، تأخذُهُ عن نفسه، أو تمرُّ عليه بروقٌ نورانية، أو لوامع، لذلك أمرَ الأشياخُ أن يسكنَ الإنسانُ عقب الذكرِ سكوناً تاماً؛ حتى إذا وردَ عليه واردٌ يتمكَّنُ منه، ويسري في عوالمه، وربَّما عمره الواردُ الواحد ما لم تعمره العبادةُ في ثلاثين سنة، والعبدُ عقب الذكر ما دامَ متفرِّغاً للتعرّض لنفحات الله، تائباً من ذنوبه، مقبلاً على ربِّه، غيرَ مصرٍّ على المعاصي يكون بالطبع قريباً من ربِّه، وإن لم يشهدْه، لأنَّ كلَّ مُطيع قريبٌ من ربِّه. وذلك نوعٌ من التقديس، وهذا ليس بأعلى المقامات، ولا نهايتها، فيعادُ الذِّكرُ، ويكثرُ منه كثرةً زائدةً حتى يَدومَ ترقِّيه، ويَسري الذكرُ في كلِّيته، وتشرقَ أنوارُه في عوالمه، وبها يفنى عن نفسه، ويبقى بربِّه، وإذن لا بدَّ أن يذكر الله كثيراً كثيراً. فالقرآنُ كافٍ للقربِ، فمن التزمَهُ بشرطِهِ الذي تقدَّمَ كان كافياً في الهداية، ولا يغيب أنَّ في القرآن كلياتٍ قد بيَّنها رسولُ الله ﷺ، وقد أمرَ الحقُّ في القرآن أن نأخذَ بما يأتينا به النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فهو ﷺ بَيَّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم من ربِّهم، فأصلُ الدين عندنا هو القرآن، ثم أفعالُ النبيِّ ﷺ وأوامره، فلا يقال إنَّ أمرَ رسول الله ﷺ تكملةٌ لنقصٍ في القرآن، وإنَّما هو بيانٌ لما أُبهمَ علينا في القرآن. اهـ.

وأما ما نظمه فهو كثيرٌ جداً، وهذه بعضُ أبياتٍ من شعره رضي الله عنه:

سكرنا بخمرِ الحبِّ في العالمِ الأسنى ... وفي حُسْنِ سَلمى مُذْ تجلَّتْ لنا هِمْنا
فنينا بها عنَّا وعن كلِّ كائنٍ ... فأَصبحتُ لا أدري وفي نورها غِبْنا
وصرتُ غريقَ الحُسنِ في كلِّ وجهةٍ ... وحفَّتْ بنا أنوارُها حيثما كُنَّا
تعالت عن الأَشباه نزِّهْ جمالها ... عن الغيرِ والأنوارِ لكنْ بها قِمنا

ومنها:

وروحُكَ قد كانتْ ولا قَيْدَ عندها ... فقيدتها لما رأيت بها الكونا
عليكَ بطيِّ الكونِ وامحُ نقوشَه ... ولا تبق كيفاً في الوجود ولا أينا
وكنْ فارغاً من كلِّ علمٍ وصورةٍ ... وعنك وعن زهدٍ وعما تفكرنا
تكنْ ذاهباً بالرُّوحِ نحوَ جمالها ... ولست ترى ذاك الذهاب ولا رينا
هنالك تَصفو الرُّوحُ عن وصمةِ السِّوى ... وتقييدها بالغير كان لها غينا(١)

---

(١) الوصمة: العار والعيب.

فتخرجَ عن كلِّ الجهاتِ وقيدِها ... وتخرج عن جسم وعما تخيلنا
يكونُ لها الإطلاقُ والحقُّ خالقٌ ... ومن نور أمر الله كانت فخذ عنا
وبالحقِّ قامَ الكلُّ والحقُّ قائمٌ ... على كل نفس بالكتاب تحققنا
فيشرقَ قلبٌ قد تسمّى بصيرةً ... وتشهد ذات الحق والنور والحسنا

ومنها:

فإنْ كنتَ من أهلِ المحبَّة والصفا ... ففي لحظة يبدو الجمال ولا مينا
فلا تلتفتْ للنَّفسِ واطرحْ مقالَها ... فمشربنا عذب وفيه تمكنا
فأَقبلْ تجدْ سرَّ المحبَّة ظاهراً ... وعم جميع الكون والحق نزهنا

وهذا موال[1] من كثير:

إن كان يقول ليلى ... وإلا هند أو سلمى
أو دعداً وزينب ... أو عَزّة أو سَلمى
دي ستاير والقصد ... في الحقيقة هو المحبوب
إن كنت منا تفهم كلامنا ... وقل للخليِّ دعنا

ومن الأدوار:

ياللي على روحي حَكَم ... كلّك جميل كلّك حكم
بسِ البعاد جسمي انضني ... يكفي دلال بقيت عدم
إن كنت تبخل باللقا ... فامنن بطيفك وحبني
هجرك يشمت بي العدى ... يعطف حبيبي يا ترى
إن كان دلالك يأمرك ... بالهجر دا لطفك غلب
هنيت كتير من غير تعب ... مين دا يقول حبي ظلم
واخضع لأمرك وامتثل ... وكل دا قصدي الرضا

أما كراماته رضي الله عنه: ادخل أيَّ مدينةٍ أو قرية أو مِصْراً من الأمصار، وأصغِ إلى من شئت منهم، يُحدِّثك بالكثير الطيّب الخالد من كرامات مولانا الراضي رضي الله عنه:

فمن شفاءٍ لمريض حارتْ فيه الأطباء.
من ردِّ ضائعٍ غاب السنوات.
من حضور عند مناداة بنجدةٍ في خلوات.

---

(١) الموال: نوع من الشعر كانوا يتغنون به.

من تَعَسُّرِ عيشٍ، فدعا الله ببركة حبيبه سلامة، ففتح الله الباب.

من مُتَّهمٍ في قضية وهو مظلوم، فنجَّاه الله من شبكة الظالمين.

من نار اشتعلتْ، فكادت تُهلك الحرث[1] والنسل، فأطفأها الله ببركة شيخنا.

من غريقٍ في النهر، فوجدَ شيخَنا رضي الله عنه بشخصه الروحاني يَنتشلُه من وسط اللُّجَّة[2].

من قوم ركبوا مركباً، فانقلبت بهم، فاستغاثوا باسمه الشريف، فاعتدلتِ المركبُ ولم يضَع منه شيءٌ أبداً.

وهل هناك أكبرُ كرامةٍ وخارق للعادة، من مثل ما ترى من قيام رجلٍ فردٍ بإيجاد طريقةٍ وبنشأتها، ورفع رايتها إلى السماء، وتضربُ شهرتُها في المشرقين والمغربين، ويفتخرُ بالانتساب إليها كلُّ سريٍّ وصاحبِ جاه ومنصب، ويسعى كلُّ زعيم وأميرٍ إلى التعرّف بشيخها، وإذا سارَ شيخُها بموكبٍ فلا يقلُّ عددُ الموكب عن الاثني عشر ألفاً أبداً طريقة ينشِئُها فردٌ، فتبتلع في أحضانها كلَّ طريقةٍ أُخرى. مضتِ المئات من القرون وهي قائمةٌ، وهذه الحامدية الشاذلية ومنشئُها قائمٌ بيننا خلَّدَ الله عمره، يبلغ عددها نحو المئة ألف أو تزيد. بربِّك، أليست هذه هي الكرامة المُضيئة كالشمس؟!..

ولكنّي لا أَتركك حتَّى أذكرَ لك بعضاً من بسيطِ الكرامات وعاديها، والتي أُبصرُها كلَّ يوم، أو أسمعها من أفواه من وقعت لهم، من ذلك:

١ ـ أحدُ الإخوان كُفَّ بصرُه فذاكر حضرة الأُستاذ، فقال له: إن كتمتَ الأمرَ أَبصرت، فرضي بالشَّرطِ، فمسحَ على عينيه فأبصرَ، ولكنه بعد أيام أخبرَ بما كان، فكُفَّ بصرُه ثانية.

٢ ـ بعض الإخوان توجَّه إلى مسجدِ سيدي أبي العلا ليُصلّي الظهر، حينما دخلَ المْسجد مرَّ على الضريح، فخطرَ له قراءةُ الفاتحة لسيدي أبي العلا، ولكن قال في نفسه: أقرأُ الفاتحة أولاً لشيخي قَبل السلطان أبي العلا، ثم لم يقرأ له، فلمَّا دخلَ إلى المرحاض، ما يشعرُ إلا وقد سقط في المرحاض إلى رقبته، وكان يومئذ من غير منجنيق، فنادى شيخنا، فحضر، وجذبه إليه من تحت إبطيه حتى أخرجه، وكانت إحدى نعليه غاصَّةً، فأحضرها له، ثم إنَّ

---

(١) الحَرْثُ: الكسب. وحرث الرجل: امرأته، وحرث الدنيا: متاعها من مال وبنين وغيرهما وحرث الآخرة: العمل الصالح الباقي.

(٢) اللُّجَّةُ: الماء الكثير تصطخب أمواجه (ج) لُجَجٌ.

هذا الأخ لما قابلَ شيخَنا بعد المغرب، قال له: يا فلان، ما جرى لك اليوم؟ يا فلان، لا تتركْ قراءةَ الفاتحة لهم.

٣ ـ حملتْ إحدى زوجات الإخوان، وفي التاسع مات الجنينُ، وبقي عشرة أيام ميتاً ببطن أمِّه، وعند الوضع ذاكر هذا الأخ شيخَنا، فعندما سمعَ شيخُنا مُذاكراته قال: كذلك يا فلان، وبتمامها تمَّ الوضع للأمِّ طبيعياً، كأن لم يكن هناك وليد ماتَ منذ عشرة أيام.

٤ ـ كان أحد إخوان أمبابة متوجِّهاً بعد المجلس إلى منزله، كان وقتها تصليح خشب الكوبري، فسقطَ هذا الأخ إلى الماء من فُرجةٍ بين لوحين، فما هو إلا ونادى شيخَنا، فحضر، وأطلعه من الماء، وناوله عصايةً، وأخذ بيده حتى انتهى من الكوبري، وسارَ إلى منزله، والتفتَ فلم يرَ شيخه.

٥ ـ كان هذا الأخ متوجّهاً إلى منزله، وكان الوقتُ بعد منتصف الليل، والظلامُ حالكٌ؛ لأنه آخر شهر عربي، فاستغاثَ بشيخه، فوجد أمامه إنساناً يحمل فانوساً[١]، ويَسيرُ أمامه، فتبعه حتى إذا قارب البيت سلَّم عليه حاملُ الفانوس، فردَّ عليه السلام، وسأله عن اسمه، فقال: عبد القادر، وسلّم على شيخك.

٦ ـ كان بعض إخوان جزيرة ميت عقبة أرمدَ العينين، وفيما هو جالسٌ بمنزله يتأوّه سمعَ امرأةً تقول: مدد يا أبا حامد، مناديةً شيخنا، فقال: أُمال، إحنا ما لنا؟ فما أتمَّ الكلمةَ حتى انشقَّتِ الحائط، ودخل منها شيخُنا، وقال له: نعمل لكم إيه في اعتقادكم؟ ثم مسحَ على عينيه، فبرئ لوقته.

٧ ـ كان لبعض وجهاء بندر[٢] الجيزة[٣] ابنةٌ وحيدةٌ، أصابتها حمى، وبعد شفائها خرست، فلم تتكلّم أبداً، فعرضوها على الأطباء سنوات، فلم تُشفَ، فأحضروها لشيخنا، فما حكوا له حكايتها حتى تألَّم لها، ونظر إليها نظرةً، فسألها عن اسمها، فنطقت به، وهكذا استمرَّ يسألُها، وتجيب، وذهب في الحال خرسُها، وكانت هذه الكرامة سبباً في دخول والدها وأقاربها في طريقنا.

٨ ـ كان بعض الإخوان موظفاً بالحكومة، وأرادت المصلحةُ تثبيته، فطُلب منه

---

(١) الفانوسُ: ظَرْفٌ جوانبه من الزجاج يوضع فيه المصباح ليقيه الهواء أو الكسر، ويمكن حمله أو تعليقه على أبواب الدُّور (ج) فوانيس.

(٢) البندر: البلد الكبير، يتبعه بعض القرىٰ.

(٣) الجيزةُ: بليدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهي من أفضل كور مصر. (معجم البلدان ٢/ ٢٠٠).

الدخول للكشف الطبي، فذاكر شيخَنا عن ذلك، وإنه متخوّفٌ من بصره، وقال له: يا فلان، نجاحك متوقّف على صدقك في محبَّتنا، فأنت وصدقك. وعند الكشفِ على بصره وجدَ لوحةَ العلامات أمامه على بعد شبرٍ من عينيه، وبذا نجحَ في الكشف ببركة شيخنا.

٩ ـ كان بعض الإخوان بأسوان[١] وهو أعزب، فحضر لمصر، وتذاكر مع شيخنا ليأذنه بالتزوج، فقال له: تمهَّلْ. فعاوده مرّتين، فلم يأذنه، فقال لشيخنا: إني مسافر، وسأزني. فقال له: إن قدرتَ. وهو بأسوان تهيَّأت له الفاحشةُ، فلمَّا همَّ، تمثَّل له شيخُنا، وربطه من ذَكره بحبلٍ، وسحبه، فأخذ في الاستغاثة، ومَنْ حوله يَعجبون، فأخبرهم، فرموه بالجنون، فلم يسعه إلا الحضور لمصر، ووقف أمام شيخِنا باكياً مُستغيثاً تائباً، فلمَّا صفح عنه، انحلَّ الحبلُ، وذهب الألم، ثم لم يمض إلا أيام إلا وزوَّجه الله زوجةً صالحة شريفة.

١٠ ـ حدَّثَ بعضُ الأحباب قال: كنت في داري ذات يوم، فأخذتُ أُقلِّبُ في خزانة كتبي علّي أجدُ كتاباً أطالع فيه ما ترتاح إليه نفسي، فوقع في يدي كتابُ تصوف، فقرأت فيه طائفةً، وطلبت الفهمَ، فلم أهتد إليه، فطويتُ الكتابَ، وخرجت من البيت، فقصدتُ ترويح النفس، فخطر لي زيارة سيدي الشيخ سلامة الراضي، فيمَّمتُ مكانه، واستأذنت في الدخول، ودخلت، فبادرني رضي الله عنه بقوله: ليس المُرادُ من مطالعة كتب التصوف أن لا يهتدي الإنسان إلى المعنى، ويقف على ما انطوى في إشاراتهم، بل المُرادُ فهمُ كلام القوم، والذي رأيتَ في هذا الكتاب ـ وسماه لي باسمه ـ هو كذا، والمُراد منه كذا، وأخذَ يشرحُ لي، ويبيّن، ويُورد لي ويصدر، فأخذَ مني العجب مأخذه، وقلت: واللَّهِ، هذا هو الولي العارف، وهذه كرامة.

وكراماتُه رضي الله عنه كثيرة وهذه واللَّهِ قطرةٌ من بحر، وزهرةٌ من بستان.

مجلسه رضي الله عنه: يجلس رضي الله عنه للإخوان بعد الخلو من أعمال وظيفته، فيأخذُ في تعليم الإخوان وإرشادهم، وتهذيبهم ومُلاطفتهم، فتارةً يطرح السؤال العلمي، ويطلب الإجابة، فيُجيب كل أحدٍ بما يحضره، فيناقشه، ويحرر له إجابته، ويُربّيه على أن لا يُلقي القول جزافاً[٢]، بل يزن الكلامَ، ويتخيَّر من

(١) أُسْوَانُ: مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه. (معجم البلدان ١/ ١٩١).

(٢) الجُزافُ: الشيء لا يُعلم كيله أو وزنه.

الألفاظ ما يُؤدّي المعنى تماماً، غير مشتت الفكرة، ولا مبدَّد الفهم، حتى إذا انتهتْ إجابات الإخوان، أخذ رضي الله عنه في الشَّرح والبيان بقولِ عذب، ولفظٍ سمح، سهلٍ يفهمُه العامّي، ويرضاه العليم، فإذا رأى تعطُّشاً عند الإخوان، واستعداداً لفهم أعلى، أخذَ في ذلك، وهكذا تعلو العبارة، فيعلو فهم الإخوان، وتتسامى هممُهم، ويتكامل فهمهم وشربهم، وتزاح الجهالة منهم، وتتبدَّدُ الغشاوة عن أعين بصائرهم.

مجلسُه رحمةٌ، وعلمٌ، ونور، وتهذيب، وتواضعٌ، وتربية للعقول والوجدان، فلا تجدُ مُريداً غيرَ بصير بمناحي القولِ وخفيّه، لا تجدُ مريداً غير حول، ولا متين الفكر والتبصُّر.

يخرج المريدُ من المجلس وكلُّه إقبالٌ على الله، وهيامٌ فيه، وحبٌّ له، ولا تجدُ مُريداً غيرَ متولّهٍ في محبَّةِ النبي صلوات الله عليه، ولا شغوفٍ بذكره، والتعلّق بجنابه الشريف، ولا تجدُ مريداً يقلّدُ في التوحيد، أو في فهم سقيم من علمٍ، أو مُتّبعٍ لرأي نازلٍ غيرِ ناضج، فمجلسُه مدرسةٌ عالية صوفية علميةٌ سامية.

أخلاقه: هذه والله الحيرةُ بعينها أن أُحدّثك عن أخلاقٍ محمدية، متجلّيةٍ واضحةٍ محققة في ذاتٍ حامدية، حياءٌ في أدب، وصراحةٌ في حقٍّ، وعزَّة في تواضع، وكرمٌ شامل، ومواساة للفقير، وإعانةٌ للعاني، وعطاءٌ ولا خشيةَ لفاقةٍ، ونجدةٌ هاشمية للقاصد، وحلمٌ مع غفران، ومسامحةٌ مع ستر، وذكاء نادر مكين، مِنْ حفظ ألفية ابن مالك[١] في عشرة أيام، ومع الشغل، وفراسة[٢] وفصاحة مع سهولة إفهام، وبسطٌ مع حشمةٍ، وصبر مع رضا، وشجاعةٌ وشهامة وثباتٌ على مبدأ، ورباطةُ جأشٍ[٣] في الأهوال، ومداراةٌ وتحمّل، ونزاهة، وعفاف، وتديّن مع كمال ائتمان.

---

(١) كتاب «الألفية في النحو» للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ وهي مقدمة مشهورة في ديار العرب كالحاجبية في غيرها. جمع فيها مقاصد العربية وسماها الخلاصة وإنما اشتهرت بالألفية لأنها ألف بيت في الرجز أولها:

قال محمد هو ابن مالك   أحمد ربي الله خير مالك

(كشف الظنون ١٥١).

(٢) الفِراسة: مأخوذة من التفرّس، وهو التثبت والنظر، ويطلق أيضاً على التوسم من السمة وهي العلامة، والفراسة قد تكون عادية تُعرف بقرائن الأحوال، وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله في القلب وهي المراد غالباً عند القوم.

(٣) الجأشُ: القلب والنفس (ج) جؤوش، ومنه (فلان رابط الجأش)؛ أي: ثابت القلب عند الشدائد.

أما علمُه، فماذا أحدّثك عن إنسان هو معارف جامعة؟ من أيِّ جهاتِ العلم قصدته أفتاك، وأفادك وأرشدك، وقوَّمَ فهمك، وردَّكَ عن حيرتك، ودفعَ عنك أوهامَك، وسوءَ ما علمتَ واعتقدت، وكم رأينا عالماً ممن يُشار إليهم بالبنان حضرَ لديه، وهو يَقصد تجهيله، فيسير معه شيخُنا واحدةً واحدةً حتّى ينتهيَ ما بيد العالم من معلوم، ويسقط في يده، ثم يأخذ شيخُنا في الإفادة والمحاضرة حتى يقومَ ذلك العالم فيقبّل يدي شيخنا، ويتتلمذُ، ويُحسب من مُريديه. والقولُ كثير، والشيخُ رضي الله عنه جليل جليل.

حليته رضي الله عنه: شيخنا نفعنا الله به معتدلُ الطُّول، ملفوفُ الجسم، أسمرُ للون قليلاً عربيّه، عظيمُ الهامة، واسع الجبهة، طويلُ أصابع اليدين، يدُه ليِّنةٌ كأنهال الحرير، يَمشي تَكفُّأً[1]، تُطوى له الأرض، ووراثةٌ محمدية، فإذا تأخَّر عنه مَنْ سار معه ولو خطوة أجهدَ نفسه حتى يلحقَ به، يدخلُ البيت، فيملؤه شذا المسك، قويُّ البصر، قويُّ الشمِّ، قوي السمع، ينطقُ قلبه في نومٍ ويقظةٍ، يذكر الله نفعنا الله به وأطال في عمره.

أمّا تربيتُهُ للمُريدين فبالحال والنظر، وفيهم من المباركين والصلحاءِ والأولياء، وأهلِ الخير والاستقامة حشرنا الله في زمرته وزمرة أحبابه، ولا حَرمنا عطفَهم ومددهم، ونظرهم إلينا، وأدخلنا في جاههم وبركاتهم، وأنالنا بصادقِ أنفاسهم وتوجّهاتهم آمالنا في خير وسلامة آمين.

---

(١) تكفأت المرأة في مشيتها: مادت وتمايلت.

الخاتمة

نسأل الله حسنها في قصيدة

التوسلات العلية برجال الطائفة الشاذلية

قدس الله أسرارهم العلية

يا ربِّ باسمك قد بدأتُ قصيدتي ... ورجوتُ بالهادي الحبيبِ ذخيرتي

تجبر خواطرَ من لبابك قد أتَوا ... مُتوسّلين ببحر جودِك قدوتي

يا سائلي عن سادةٍ حازوا الرِّضا ... بلغوا مقاماتِ الكمالِ بهمَّةِ

شربوا بكاساتِ الهوى خمرَ الصفا ... خمراً عتيقاً يا لها من خمرةِ

خذْ عقدَ درٍّ واسلكنَّ طريقَهم ... واجنِ ثمارَ الحبِّ في كلِّ وجهةِ

وافنَ بحبٍّ صادقٍ ترجو به ... نيلَ السَّعادة فاقبلنَّ نصيحتي

واقصدْ كريماً لا يُخيّبُ من أتى ... مُستشفعاً بالهادي ثم بعترةِ[1]

وبكلِّ قطبٍ قد علتْ أنوارُه ... لا سيّما أهلُ الفضائل جمّةِ

بالشاذلية أهلِ سلسلةِ الوفا ... وبشيخنا (العقادِ) ذُخري وقدوتي

بحرُ الفضائل والمواهبِ والعطا ... غوثُ البلاد وقطبُ كلِّ أوينةِ

ومن قد تحلّى بالطريقة فاجتنا ... ثَمَرَ المعارف حاوي كلِّ فضيلة

فهو المُدير لكأس راحاتِ الرضا ... في حضرةِ الخمَّار يَسقي أحبتي

وبمن أتَانا من خيارِ قبيلة ... بـ(نسيم) عطرٍ فاستنارت ظلمتي

قد شُرّفت إخوانُ مصر وطندتا ... لما سقاها جرعةً من شربة

بالشيخ (فتح الله) يا من قد غدا ... في حزبه تاللَّهِ نلتَ معزَّة

خضعت له طوعاً ملوكُ زماننا ... أولاه ربّي بالتفضّل منَّة

فتراه يَسقي الواردين لبابه ... من كأسِ راحٍ من تلوُّن خمرة

بالسيد (الدباغ) نسلِ المصطفى ... حامي الورى من هولِ يومِ الشِّدَّة

---

(١) العِتْرَةُ: نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى.

وبمن سقوه الرَّاح خمراً صافيا   فدنا بها وسقى الجميعَ بخلوة

ناداه ربُّ الحان منه تفضُّلاً   يا (فتح) دين الله ادن لحضرتي

وبشيخنا (البَنَّاني) غوثِ زمانه   قطبِ الطريقةِ مُنجدي في شدّتي

وبسيدي (عمران) غوثِ من انتمى   شيخٌ جليل ذو معارف جمّة

قطب الصعيد غياث من هُمْ في الحمى   حامي حمى من حامَ تلك الحومة

وبشيخه (الشنواني) قطبِ زمانه   وكذاك بـ(الشعراوي) ساقي الخمرة

وبسيدي (عبد الكريم) الشاذلي   من ذكره في مصرَ ثم بمكّة

وبسرِّ أهل الحيِّ ثمَّ بحبِّهم   أهلِ البطاح السَّاكنين حُشاشتي

بـ(أبي الهدى) الشيخ الوفائي بسرِّه   انشرْ طريقتنا وداوِ مضرَّتي

وبسرِّ (شمس الدين) وهو (محمد)   وأبيه قطبِ زمانه ووسيلتي

وبـ(ابن حمزةَ) شيخِنا وملاذنا   فبحقِّه يا ربُّ جُدْ بالتوبة

وبشيخنا (الدرقاويِّ) غوثِ من انتمى   وبعمدَتي (العمرانيِّ) ساكنِ بلدتي

وبغوثنا (العربي) ثم بـ(أحمد)   وبـ(قاسم) الخصاصي فخرِ طريقتي

وبشيخه (الفاسي) ثم بـ(عابد الر   حمن) قطبِ الوصل عالي الهمَّةِ

بالسيد (الصنهاجي) ثم بشيخه   (إفحامِ) من زانَ الرِّجال بحكمة

وبسيدي (زَرُّوق) من قال ائتني   يا أيُّها الملهوفُ عند الشدَّةِ

فأنا لكلِّ السالكين طريقتي   أحميهمو من حرِّ نارِ قطيعةِ

بـ(الحضرمي) أبي المواهب غوثِنا   بـ(القادري) يحيى العليِّ بنسبة

وبكهفِ أسرارِ الولاية عزِّنا   أهلِ الوفاء وأَصلِ كلِّ فضيلة

فهم الكرامُ أهلُ الوفاء وسرّهم   في مصرَ شاعَ وفي الصَّعيدِ وبلدتي

وبسيدي (داود) ربُّ فداونا   وبشيخِ أشياخِ التَّصوف سادتي

يا تاجنا تالله قد نِلتَ المنى   يا ربُّ فهو وسيلتي وذخيرتي

وبسيدي سندي وجاهي (أحمد)   العباس من أعلى رسوم طريقتي

وبقطبِ أقطابِ الدَّوائر كلِّها   أصلِ الفتوح وأصلِ كلِّ فضيلة

وبشيخه (عبد السلام) وشيخه   (الزيات) فاقبلْ يا إلهي دعوتي

بفقير سما بذلك رفعة   فهو الكريمُ الأصلِ مُجلي كُربتي

بالقطبِ (فخر الدين) طهِّرْ قلوبنا   بالغوثِ (نور الدين) سيدي فتية

وبسرِّ (تاج الدين) قدِّسَ سرُّه   حامي حمى الأحبابِ يومَ كريهة

بالشيخ (شمس الدين) ثم بشيخِهِ   عفواً ومغفرةً فحسبُكَ حالتي

وبـ(أحمد المرواني) قطبِ زمانه ... لا سيما (البصري) حامي حومتي
بسيدنا غوثِ الزَّمان وشيخِه ... (سعد السعود) الحاوي كلَّ سعادة
بملاذِنا (فتح السعود محمد) ... ليثِ الأفاضل بحرِ كلِّ عطية
وبسيدي (الغزواني) ثم بشيخه ... (أبي جابر) عالي المقَام برفعة
وبنور عيني وهو سِبْطُ نبيِّنا ... من قد هدانا للطَّريق بحكمة
بـ(عليِّنا) بحر العلوم المُرتضى ... أصلِ الطَّريق وبابِ كلِّ فضيلة
بنبيّنا خيرِ الخلائق كلِّهم ... (طه) المُظَلَّل بالغَمام وسيلتي
وبسرِّ قرآنٍ وعلم قد حوى ... خيرَ الخلائق من أروم لشدّتي
يا صفوةَ الخلّاق يا خيرَ الورى ... حاشا أُردُّ ولي ببابك وقفة
فغداً تقرُّ العين يا كلَّ المنى ... فارحم مُحبًّا واقبلنَّ شكايتي
أَهديك ألفَ تحيَّةٍ مُزدانةٍ ... عدَّ الرِّمال وعدَّ كلِّ أحبتي
ولقد شُغفتُ بحبِّكم منذ أنا ... في المهدِ والقلبُ احترق من نشأتي
ولقد أتيتك راجياً منك المُنى ... والشوقُ قد أَجرى دموعي بشدَّة
يا ربِّ بالهادي ومن هم في الحمى ... أقطابِ دائرةِ التَّصوف سادتي
حقِّق لنا ما نَرتجيه وكنْ لنا ... عوناً مُعيناً وانصرنَّ أحبَّتي
وبهم دعوتك يا إلهي فاستجبْ ... منّي الدُّعاءَ وكنْ لنا في شدَّة
واغفر لناظمها الذليل هو الحسن ... واقبل دعائي يا إلهي وشكوتي
ثم الصلاة على النبيِّ وآله ... أهل الحمى جمعاً بعدِّ خليقةِ

وليكن ذلك آخرَ ما قصدناه من هذا التأليف المبارك، وأرجو من مَددِ مولانا رسول الله ﷺ أن يكونَ جميع ما رقّمناه بأناملنا مَنقوشاً في نفوسنا، ومَلحوظاً في أرواحنا، ليكون ذلك وسيلةً إلى العمل بما فيه، ونسألُ الله العظيم أن يخلِّصَنا من الدنيا بالرِّضا والتَّسليم إنه هو الجوادُ الكريم، وإنّي أَستغفرُ الله العظيم من تقصيري وخطئي ونسياني وزللي ومما برز من لساني مما هو ليس من شأني، ولا ذاقت حلاوته جَناني، غيرَ أنّي تطفلتُ على الأبواب، ولازمتُ الأعتاب، فرحم الله امرءاً سترَ ما برزَ منّي من الخطأ والنسيان، حيث إني لم أكنْ من أهلِ هذا الشأن، وها أنا مُعترفٌ بقيودي وتقصيري، طالباً من كافَّةِ إخواننا ممن وقفَ على هذا الكتاب أن يدعو لي دعوةً صالحة، كي أفوز بدعواتهم، وأَحظى بمشاهداتهم.

اللهم، إنَّا نتوسَّلُ إليك بحبِّهم؛ فإنَّهم أحبُّوك، وما أحبُّوك حتى أحببتهم، فبحبِّك إياهم وصلوا إلى حبِّك، ونحن لم نصلْ إلى حبِّهم بحبِّك إلا بحظِّنا منك،

فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة، حتى نلقاك يا أَرحمَ الراحمين.

اللهم، إنَّا نسألُكَ أن تُميتنا وتحشرنا في زمرتهم يومَ القيامة، وتجعلنا يا مولانا من الذين تجري من تحتهم الأنهار، وتمتِّعنا بالفوزِ الأكبر في هذه الدار، وفي تلك الدار. واختم لنا بخاتمة السَّعادة، وارزقنا الحُسنى وزيادة. وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا محمد عبدِك ونبيِّك ورسولك النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً بقدر عظمةِ ذاتِكَ في كلِّ وقت وحين. قال ذلك العبدُ الفقير، والمذنبُ الحقير، أضعفُ خلق الله وأحوجُهم إليه.

وكان الفراغ من تبييضِ هذا الكتاب عشيةَ يوم الأربعاء منتصف شهر صفرِ الخير عام ألف وثلاث مئة وسبعةٍ وأربعين هجرية، على صاحبها أفضلُ الصلاة وأزكى التحيَّة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وبدءاً وختاماً، سبحانك لا نُحصي ثناءَ عليك أنت كما أَثنيت على نفسك[1]، ولا حَول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله رب العالمين.

(١) هنا إشارة لحديث «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٥٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٧١).

فهرس التراجم
مرتبة ترتيباً ألفبائيًا

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)



فهرس المحتويات

طبقات الشاذلية الكبرى

المسمى

جامع الكرامات العلية

في طبقات السادة الشاذلية



Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+ ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان

فاكس 804813 5 961+ رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com